

المركز القومي للترجمة

لويس عوض

ميراث الترجمة

الراهب

دراما تاريخية في ثلاثة فصول

تقديم

رمسيس عوض

الطبعة الثانية

2/1064



المركز القومي للترجمة

الراهب
(مسرحة)

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ١٠٦٤ / ٢

- الراهب (مسرحية)

- لويس عوض

- رمسيس عوض

- ٢٠٠٩

هذه ترجمة

The Monk

A Historical Drama in three Acts

by: Louis Awad

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

Tel.: 27354524 - 27354526

Fax. 27354554

الراهب (مسرحية)

تأليف وترجمة: لسويس عوض

تصديـــــر: رمسيس عوض

رقم الإيداع: ١١١٩٧ / ٢٠٠٩
التقييم الدولي: 3 - 357 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تصدير

قبيل وفاته فى سبتمبر عام ١٩٩٠ عهد إلى شقيقى المرحوم لويس عوض بحفظ بعض أوراقه الخاصة ، وتاه عنى المكان الذى احتفظت فيه بهذه الأوراق نحو ستة عشر عاماً أو ما يزيد . وفجأة عثرت عليها ؛ فوجدت فيها عملين يستحقان الاهتمام : أولهما ترجمة عن اللغة الفرنسية لمسرحية «رقصة الموت» للكاتب السويدى الشهير سترندبرج ، وثانيهما ترجمة إنجليزية أعدها بنفسه لمسرحية «الراهب» التى نشرها عام ١٩٦١ عقب خروجه من المعتقل .

كان لويس عوض فى تلك الفترة من حياته يتجرع كأس الخسف والاضطهاد على يد زبانية النظام الناصرى . وفى اليوم المحدد للإفراج عنه انتظرت خروجه من بوابة سجن أبى زعبل فوجدته حطام إنسان ؛ فحزنت عليه حزناً لا مزيد عليه . غير أن تجربة الاعتقال أوجت بتأليف مسرحية «الراهب» ، وبسبب إحساسه المزلزل بالاضطهاد لم يجد غير عصر الشهداء المسيحيين ينكفى عليه ويستلهمه لعله يعزبه عما فعله بنو جلته . ولعل القنوط منهم بلغ به كل مبلغ ، فقام بترجمة مسرحيته بنفسه إلى اللغة الإنجليزية ، ربما أملاً فى أن يجد من الأعراب من يستمع إلى أنينه .

مادام أهله قد تخلوا عنه ، وأذاقوه صنوف المر والعذاب . ويبدو أن مشاغل الحياة وعمله كمستشار ثقافى لجريدة الأهرام قد أنسياه هذه الترجمة الإنجليزية .

وعندما اكتشفت فى أوراق لويس عوض هذه الترجمة الإنجليزية لمسرحية «الراهب» اقترحت على الأستاذ الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة نشر نصها العربى وترجمتها الإنجليزية فى مجلد واحد فرحّب بهما مشكوراً . وأعتقد أن نشر مثل هذا العمل الفريد من نوعه ينطوى على نفع كبير لعشاق كتابات لويس عوض بوجه عام ولدارسى الترجمة بوجه خاص . ولا غرو ؛ فلويس عوض المؤلف الخلاق هو الذى تصدى بنفسه لترجمة مسرحيته ، ومن ثم فهو أقدر على فهم روحها من أى مترجم آخر ، فضلاً عن أننا لن نجد مترجماً إلى اللغة الإنجليزية فى مثل شموخ لويس عوض وعظمته .

وأملى أن تكون هذه الترجمة الإنجليزية درساً للأجيال القادمة التى تولى الترجمة من العربية إلى الإنجليزية اهتمامها .

والله ولى التوفيق

د. زمسيس عوض

القاهرة يونيه ٢٠٠٦

اشخاص المسرحية

والى الاسكندرية ونائب امبراطور روما ثم امبراطور الاسكندرية	}	لوثيوس دومتيوس دومتيانوس ، الشهر ياخيل
ولى عهد بيزنطة		الامر قسطنطين
كبير امناء الولى	...	مانيتون : نبيل مصرى
قائد حامية الاسكندرية	...	روستيكان
قائد حامية القصر	...	افريكان
قواد فى الجيش الرومانى	}	ديوجين
اميرال الاسطول الرومانى		بومبيان
ياور روستيكان		سفيروس
ضابط رومانى بحامية القصر	...	ماركوس سكستوس
ضابط مصرى بحامية القصر	...	اييب : ضابط مصرى
قائدان مصريان	}	ارمان
رسول دقيانوس		فيلامون
راهب مصرى	...	دامون الارمنى
راهب مصرى	...	فريسكا
زوجة اخيل	...	شيبو الاصفر
راقصة مصرية	...	ابانوفر
كبيرة كاهنات ايزيس	...	اريوس
وصيفات فاوسيتنا	}	فاوستينا
...		مارتا
...		هاتور
...	...	فيلامينه : فتاة مصرية
...	...	تفيتة : فتاة مصرية
...	...	ماريسا : فتاة يونانية

ضباط . حرس . رسل . جنود . غوغاء

DRAMATIS PERSONAE

**Lucius Domitius Domitianus (Achilleus), Constantinus,
Manetho, Rusticanus, Africanus, Diogenes, Pompeianus,
Severus, Marcus Sextus, Apepi, Armanus, Philammon,
Damon, Frisca, Scipio, Panofer, Arius, Faustina, Martha,
Hathor, Philammena, Taleeta, Marina.**

الفصل الاول

قاعة بقصر الوالى الرومانى دونهتيوس دومتيان ، الشهير
بآخيل ، فى الاسكندرية . نحن فى عام ٢٩٦ ميلادية . القاعة
كورنثية الأعمدة فى أركانها الأربعة . زخارف القاعة بالسقف وعلى
الأبواب كلها منتهبة . الباب الأيمن يفضى الى قاعة الاحتفالات
والأيسر الى ديوان الوالى . باب مغلق فى الصدر يفضى الى قاعة
العرش . على جانبى كل عمود طاقتان . الطاقات منحسوة فى
الجدران وبكل منها تمثال نصفى من المرمر لاله من آلهة الرومان .
التمائيل بالترتيب هى جوبيتر وجونو ثم مارس وفينوس ثم ابولو
وديانا . العمودان الأماميان يجاور كلا منهما تمثال واحد من
الداخل . فيما خلا هذا فالقاعة عارية تماما . أما أرضها فبلاطها
مربعات جسيمة لامعة سوداء وبيضاء . أرمانوس ، أو باختصار ،
أرمان ، ضابط رومانى فى الحرس عمره نحو الأربعين . واقف
بالباب الأيسر كامل السلاح حاملا حربة يدق بها الأرض .

تدخل فيلامينة ، وصيفة فاوستينا زوجة الوالى ، من الباب
الأيمن . فيلامينة فتاة مصرية فى نحو الثالثة والعشرين . تلتفت فى
حذر ، وحين يقع بصرها على أرمان تثبت فى مكانها مرتبكة .

أرمان (بتنظيم) : فيلامينة ، فيلامينة . . لا نحيفة ولا سمينة .

فيلامينة (تشير باصبعها) : هس . هل مولانا هنا ؟

أرمان (متلمظا) : لا أحد هنا . تعالى . تعالى هنا ، تعالى يا بطة .
(يفتح ذراعيه دون أن يتحرك من مكانه) : تعالى في أحضاني .

فيلامينة : اخلع سيفك وارم الحربة احضنك ؟

أرمان : اخلع سيفي وارمي الحربة ؟

فيلامينة : نعم ، اخلع سيفك وارم الحربة .

أرمان (مقتربا منها وهو يقهقه) : عندي حربتان فأيهما أرمي ؟

فيلامينة (في خجل) : ابعده ياسافل . (في عتاب) اسمع يا أرمان :
إذا لم تكف عن الكلام الداعر فلن أتزوجك . (تهز كتفيها)
ولكنك روماني والدعارة في دمك .

أرمان : يعنى المصريين ما شاء الله ؟

فيلامينة : لولا انى احبك ، يا أرمان .. (تتنهد)

أرمان (مقهقها) : تعالى . لا تخافى من الحربة . تعالى . هاتى
(يحدث صوتاً بشفتيه معناه : قبله)

فيلامينة : قلت اخلع سيفك وارم الحربة تأخذ (تحدث صوتاً
بشفتيها معناه قبله)

أرمان (مقهقها) : الروماني لا يخلع سلاحه ولو كان في فراش فينوس

فيلامينة : والمصرية لا تعطى قبلتها الا اذا خلع مارس السلاح

أرمان : هل نسيت ان مارس اغتصب فينوس ؟

فيلامينة (ساخرة) : طبعاً . انتم الرومان اساتذة في الاغتصاب
حتى آلهتكم ..

أرمان (محدرا) : فيلامينة !

فيلامينة : اعذرني نسيت لحظة انك روماني .. واننا في قصر نائب
الامبراطور . ومع ذلك كفى ثروة يا أرمان .. أخي فيلامون
ينتظرك .

أرمان : أين فيلامون ؟

فيلامينة : عند الباب الكبير مع .. الراهب (تنطق كلمة «الراهب»
بنشوة خاصة)

أرمان : كيف اترك مكاني ؟ أليديبان الآخر لن يأتي الا بعد ساعة .

فيلامينة : الدار امان . لن تغيب اكثر من ربع ساعة . اما أنا فعندي
شغل كثير مع السيدة فاوستينا زوجة الوالي . هيا اسرع .

أرمان : طيب . طيب . طيب (يحتضنها ويقبلها دون ان يتخلى عن
سلاحه . تسكره القبلة) فيلامينة .. يا حياتي .. متى
نتزوج ؟ (يضمها بعنف فيحس بجسم صلب بين طيات ثيابها
فيتركها غاضبا) ما هذا ؟ ماذا تخفين تحت ثيابك ؟

فيلامينة (في تحد) : أرمان .. أنت تعرف جيدا ماذا اخفي تحت
ثيابي .

أرمان : سامحيني يا فيلامينة . حبك يشتد في قلبي كل يوم رغم
معتقداتك السخيفة . متى نتزوج يا حبيبتي ؟

فيلامينة (تبتعد عنه وتنظر الى السماء شبه حالة) : عندما تعرف
ان الله واحد يا أرمان . عندما يأذن الله .. (تضحك) أو يأذن
جوبيتر .

أرمان (في امتعاض) : وما شأن جوبيتر بالزواج ؟ آه من المسيحيين
.. المسيحيين . انهم يدخلون جوبيتر في كل شيء . اطلبسي
بركة فينوس يا قبية .

فيلامينة : أسرع . أسرع . اذا أردت أن تتزوج فأسرع .

ارمان (متأففا) : الاله الواحد ! الاله الواحد ! (يخرج من الباب الأيمن)

(فيلامينة تلتفت يمينا ويسرة في حذر وتطل من الباب الأيسر ثم تتنفس الصعداء . تخرج من ثيابها صليبا خشبيا طوله نحو ٣٠ سنتيمترا وتضعه على تمثال جوييتر ثم تركع وتضم يديها وتصلى متطلعة الى الصليب)

فيلامينة : ايانا الذي في السموات . فليتقدس اسمك . فليأت ملكوتك . فلتكن مشيئتك . كما في السماء كذلك على الارض . (يخفت صوتها تدريجيا حتى يتلاشى ثم يرتفع من جديد) :

painyôt ait khain ni-viouwwee maraif-toovo enjai
paikran, maraissee enjai taik-mait-ooro (ينخفض صوتها)
Pait aihnâk maraif shopi, em-evreety khain et-vai,
naim heejain pi-kâhi (يتلاشى صوتها تدريجيا) Pain-ôyk
entai rassti meef nân em-vo-oo . . (بصوت مسموع)
Ameen (تظل تتمم لحظات)

(تنهض وتخفي الصليب في ثيابها وتخرج صورة صغيرة للعدراء محدثة نفسها وهي تفتش في ثيابها : « اين صورة العدراء ؟ . . اين صورة العدراء ؟ » تتجه الى تمثال ديانا وتضع الصورة فوق رأسها . تركع وتصلى)

فيلامينة : يا مريم . . يا بتول . . من اجل ابنك الحبيب ، افتحي عيني ارمان ليرى ان الله واحد ، وان المسيح (يتلاشى صوتها وتتمم لحظات ثم يرتفع صوتها) علميه ان يترك الاوثان . باركي حينا من اجل ابنك الحبيب .

(وقع اقدم في الخارج . جلبة ونقاش . تنهض فيما يشبه النهر وتخفي الصورة في ثيابها . يدخل من الباب الأيمن ارمان

وفيلامون . ارمان ، عليه امارات الغضب ، يعود الى مكانه
بالباب الايسر . فيلامون ضابط مصرى فى حرس القصر يناهز
الثلاثين وزيه رومانى كزى ارمان . يقف بالبواب الايمن) .

فيلامينة (تسرع الى فيلامون) : اتفقتم ؟

(فيلامون لا يجيب ويشير بيديه ورأسه وكفيه بما معناه : لم
نصل لنتيجة)

فيلامينة : فيلامون ! ماذا حدث يا فيلامون ؟

فيلامون : قلت : كل واحد على دينه . قال : لا .

ارمان (بجفاف) : الراهب يشترط ان اصبح مسيحيا (يمد شفثيه
فى تائف) مستحيل .

فيلامون : الراهب يقول : اوامر جديدة .

ارمان (مقتربا منهما) : قلت نتزوج فى معبد فينوس . قال تتزوج فى
الكنيسة . قلت : لا المعبد ولا الكنيسة . . نتزوج عند مسجل
العقود . قال : تتزوج فى الكنيسة . قلت : اذن نتزوج فى المعبد
وفى الكنيسة . قال : تتزوج فى الكنيسة ولا تتزوج فى غير
الكنيسة . (غاضبا) ماذا يظن هذا ال . . . (يكتفم غضبه فى
كبرياء) انا رومانى . انا ابقى على دين جويتر . دين اجدادى
كل واحد على دينه والاولاد يختارون . هل رايت تسامحا
اكثر من هذا ؟ من منا المتعصب : الرومان ام المصريون ؟

فيلامينة (مخاطبة اخاها) : ماذا جرى يا فيلامون؟ ألم يتزوج يوحنا
الفيومى من ابنة عمه الوثنية نفى ست ؟

فيلامون : معروف . معروف . لكن الراهب ابانوفر يقسول ان
المجمع المقدس افتى منذ اسبوع بان المسيحيين لا يتزوجون
الا من المسيحيين .

فيلامينة : يعنى ان مارية المسكينة لن تتزوج من ابيسب ياور روستيكان .

فيلامون : لا . لا . التحريم فى زواج المصريين بالاجانب فقط . اما بالنسبة للمصريين فالجمع المقدس منقسم على نفسه . غبطة البطريك ومنعه اقلية يرى منع المسيحيين من الزواج بالوثنيين على الاطلاق ، ولكن الراهب ابانوفر اثار ضجة وخرج من الاجتماع صائحا : هذا ضد الوطن . هذا ضد الوطن .

ارمان : هذه فتنة . تمرد على جلالة الامبراطور . من الحاكم هنا ؟ امبراطور روما المجمع المقدس وشرادم الرهبان وجماعاتكم السرية التى تلتقى فى الخرائب وفى مدينة الموتى وتتكلم عن معبود جديد مصلوب يصعد الى السماء ؟ لو علم الوالى بهذا لأمر باعتقال البطريك نفسه . الزواج المختلط سنة وضعها الامبراطور كونستانس خادم جويتر الامين منذ ثلاثين سنة يوم زار مصر ونزل بمدينة الرها وقتى بجمال هيلانة المصرية واصطفاه من الدير واجلسها على عرش بيزنطة ، ورزق منها مولانا الامير قسطنطين . ويوم اصطحبها الى معبد فينوس لم نسمع رهبانكم يقولون : تزوجها فى الكنيسة (تسمع اقدام فى الخارج)

فيلامون (محدرا) : اسكت . ارجع مكانك (ياخذ كل مكانه)

(يدخل من الباب الايمن روستيكان قائد حامية الاسكندرية الرومانى مائة فى المائة ، وهو فى نحو الخمسين ، وخلقه ياوره ايبسب ، وهو ضابط مصرى وسيم الطلعة شديد الدهاء فى الثلاثين ، انخرط فى الجيش الرومانى واكتسب ثقة روستيكان وبعد القائد يدخل مانيتون ، كبير امناء الوالى ، وهو شيخ وقور بطيء الحركة تجاوز السبعين ولكنه واضح القوة بالنسبة لسنة ، طويل اللحية ايضا ، مهيب المنظر . مانيتون

يحمل طروس البردى . عند دخول روستيكان يودى ارمان
وفيلامون التحية على طريقة الرومان) .

روستيكان (لارمان وفيلامون) : الليلة تقبضان عليه .

ارمان (في حيرة) : على من يا سيدى ؟

فيلامون (في حيرة وفي نفس الوقت) : على من ياسيدى القائد ؟

روستيكان : على الراهب يا غبى . على الراهب يا غبى .

فيلامون (جزعا) : ابانوفر ! (فيلامينة تنكمش بحركة عصبية ثم تكتفم
المها . ارمان يبدو عليه فرح صياني)

روستيكان (ملاحظا يخاطب فيلامون باستهزاء) : عندك اعتراض ؟
هل انت منهم ؟

فيلامون (بسرعة) : لا . لا يا سيدى . انا في خدمة مولانا الامبراطور .
وفي خدمة سيدى الوالى . تحت امرك يا سيدى .

ارمان (متهللا ولكن بصوت خفيض) : الحمد لله يا جويتر ! (يرنو
الى تمثال جويتر)

روستيكان : ماذا قلت ؟

ارمان : لا شىء يا سيدى القائد .

روستيكان (مخاطبا فيلامون) : هل انت مسيحي ؟

فيلامون (مترددا) : نعم يا سيدى .

اييب (متدخلا) : ولكنه مخلص لمولانا الامبراطور .

روستيكان (لمانيتون بأدب متكلف مشيرا الى اوراقه) : ارجوك . .

بمجرد وصول السيد الوالى تعرض عليه امر اعتقال الراهب

لتوقيعه . الخيانة . الفتنة . الخيانة انتشرت في كل مكان .

في القصر نفسه . ربما في ديوان الوالى . ولكن شكرا للالهة
(يضع يده على مقبض سيفه) الجيش لا يزال سليما . لو
كان الامر بيدي لفتكت بهذا الراهب . بالبطيرك نفسه . بكل
المسيحيين . (ينسى نفسه) بكل المصريين !

اييب (مستمع في ادب) : سيدي !

مانيتون (هازئا) : لا اظن مولانا الامبراطور يرضى عن هذا الكلام .

روستيكان : عفوا يا اييب . لم اقصد الاوفياء من امثالك . . ومن
امثال (مخاطبا مانيتون بنظرة استفهام غامضة) . . مانيتون ؟

مانيتون : كلنا في خدمة الامبراطور يا روستيكان .

روستيكان : ماذا تعبد يامانيتون ؟

مانيتون : الا تعرف ؟

روستيكان : ذكرنى .

مانيتون : اعبد توت ، مثل ياورك الامين اييب .

روستيكان : ولماذا انتشرت الفتنة في شيعة الاله توت ؟

اييب (مصححا في ادب) : الفتنة انتشرت في كل الشيع يا سيدي
القائد .

روستيكان : انت على حق يا اييب . توت . آمون . بتاح . المسيح .
فلاسفة افلوطين . الخونة منبثون في كل شيعة . في كل مكان .
سأطهر منهم البلاد . ولكن اقطعهم جميعا المسيحيون . انهم
يزدادون بسرعة مرعبة . روما نفسها امتلات بهم . الرعاع في
كل مكان يلتفون حولهم . حتى حاشية الامبراطور اندسوا
فيها . ولكنى سأجتثهم (يضع يده على مقبض سيفه) .
سأجتثهم قبل ان يفتك السرطان بالامبراطورية . (يخرج من
الباب الايسر ووراءه ياوره . يسمع تغير بعيد) .

مانيتون (يتهدد) : ايتها الالهة ! ارفعى هذا البلاء .

ارمان (مقطبا) : ماذا تقول يا سيدى ؟

مانيتون (متلجلجا) : اقصد الفتنة . اقصد بلاء الفتنة .

فيلامينة : الوالى !

فيلامون : الوالى آخيل !

ارمان : الوالى دومتيوس دومتيان . انه رومانى لحما ودما . انتم

اهل الاسكندرية تسمونه آخيل لتفرروا به .

فيلامون : اخفض صوتك !

ارمان : دعنى اتكلم .

فيلامينة : سيدتى فاوستينا ، زوجة الوالى .

(تدخل فاوستينا زوجة الوالى الرومانية ، جميلة ، متفطرسة ،
عمرها نحو ثلاثين سنة ، وخلفها الوصيفتان تفيته المصرية
ومارينا اليونانية ، وكلتاهما نحو خمس وعشرين سنة ، ومعها
هاتور كبيرة كاهنات الربة ايزيس ، امرأة فى الخمسين ، اطلال
جمال رائع قديم ، تكلم فاوستينا فى وثوق بيديها وحركات
راسها ، وصوتها غير مسموع . فيلامينة وفيلامون وارمان
ومانيتون يحيون فاوستينا .)

فاوستينا : فيلامينة . هل ارسلت الدعوات لسيدات البلاط ؟

فيلامينة : نعم يا سيدتى . منذ الصباح .

فاوستينا : كيف حالك يا مانيتون ؟

مانيتون : بخير يا فاوستينا .

فاوستينا : وثوبى الجديد ؟

فيلامينة : وصل يا سيدتى . وازلت منه الطيات المصرية عند الخصر

فاوستينا (مخاطبة هاتور) : من الآن فصاعدا : الأزياء من روما .
كفى مجاملة للمصريين يا هاتور .

هاتور (في برود) : اذا شئت يا فاوستينا .

فاوستينا : تفيته . فيلامينة . مارينا . أعددن الستائر في قاعة
الاحتفالات . لا . انتظري يا فيلامينة (تخرج تفيته ومارينا
من الباب الأيمن . مخاطبة هاتور) ومن الراقصة في حفلة
الليلة ؟

هاتور : مارتا .

فاوستينا (في انزعاج وغضب) : مارتا ! مارتا المسيحية ؟ الم تجدى
الا هذه البقى المسيحية ؟

هاتور : انها ليست مسيحية .

فاوستينا : ولماذا تسمى نفسها مارتا ؟

هاتور : اسمها الاصلى مريت آمون ، حبيبة آمون ، فسماها الناس
مارتا . ومع ذلك فهي أحسن راقصة في الاسكندرية
يا فاوستينا .

فاوستينا : لا ، لا ، يا هاتور . هي تعيش من السحرا الاسود . الرعاع
يسجدون امامها . السادة يقبلون قدميها . حتى نبلاء الرومان
يتركون زوجاتهم ويشربون الخمر في حدائها . هل سمعت
الاغاني البذيئة التي يفتيها الجنود ؟ « المسيح عنده فردوس
جميل . ادخلوا الفردوس مع مارتا » . انها امرأة خطيرة .

هاتور : لا داعى للتهويل يا فاوستينا . انت تعرفين ان المسيحيين
يكرهون الحب . مارتا تعلمت الرقص المقدس في معبد ايزيس .
انا بنفسى علمتها كل الشعائر منذ ان جاءت بها امها وهي في

التاسعة (تتنهد) كانت اذكى بنت عندي . ولما تعلمت كل شيء
تركنا . قالوا انها عشقت صاحب حسان مسيحي في حى
كليوبترا . ولكنى عرفت بعد ذلك انها مجنونة بشيئين
(تضحك) الفن والرجال .

فاوستينا (غاضبة) : انا اعرف انها امرأة خطيرة . سيرتها على كل
لسان . لماذا يتعلق بها رعاع المدينة ؟ مانيتون . اطلب من
الوالى ان ينفىها من الاسكندرية .. لا .. لا .. من البلاد .

مانيتون (حائرا) : مارتا امرأة معقدة ، ولكنها لم ترتكب جريمة .

فاوستينا : قلت اطلب من الوالى ان ينفىها .

مانيتون : ماذا يقول الناس ؟

هاتور : مارتا بنت طيبة توزع اموالها على الفقراء .

فاوستينا : لهذا يجب وضع حد لها .

هاتور : وهل هذه جريمة ؟

فاوستينا : يقولون انها تشفى المرضى .

هاتور (تضحك) : لا بأس . هذا يوفر على الوالى ارسال الاطباء
لاحياء الفقراء

مانيتون : السيدة فاوستينا على حق . هذا ينشر الخرافات بين
البسطاء ، سمعتهم يقولون ان مارتا قديسة تتجول في الظلام .
تدخل الاكواخ قبل الفجر وتترك كل يوم زاد النهار .. ولكن
النفى شيء آخر .

ارمان (باحترار) : سيدتى هذه دعايات مسيحية .

فاوستينا : سنرى . سنرى . هذا امر يامانيتون . فيلامينة !

فيلامينة : سيدتى .

فاوستينا : هل ايسيدور بين المدعوين ؟

فيلامينة : نعم يا سيدتى . والسيدة زوجته . ارسلت الدعوة الى
معهد التربية .

فاوستينا : الفى الدعوة .

هانيتون : لا . لا . مدير جامعة الاسكندرية يحضر دائما حفلات
البلاط .

فاوستينا : قلت الفى الدعوة . سنعلم هذا المشاغب كيف يززعج
مولانا الامبراطور بالعرائض ويطلب بمجلس تشريعى فى
الاسكندرية (ساخرة) ويقول انه منحة فرعون لشعبه من قديم
الزمن اخذها الرومان .

فيلامينة (حائرة) : ولكن سيدى الوالى ..

فاوستينا : سيدى الوالى رجل طيب . يطعم الافاعى . هيا بنا
يا فيلامينة نراجع قائمة الضيوف (تتنهد) كانت فيلامينة
تقوم بكل هذه الاعمال التافهة . اما الآن فلا بد ان اراجع كل
شئ بنفسى . لا بد . لا بد من الحذر (ينخفض صوتها) حتى
السقاة . حتى الطهاة . اتبعينى يا فيلامينة (تخرج فاوستينا
ومعها هاتور من الباب الايسر تتبعها فيلامينة . يسمع نكير
بعيد)

فيلامون : الوالى آخيل .

ارمان (هازئا) : آخيل ! آخيل ! اسمه دومتيوس دومتيان ، ابن
روما ، نائب دقيانوس امبراطور روما . ولكن حيلكم لن تنطلى
عليه . انتم تقولون له : (يغير صوته مقلدا المنافقين) « انت
فى باس آخيل ! انت فى قوة هرقل ! » ولولا خوفكم من سيفه
لقلتم له : « انت فى جيروت جويتر رب الارباب ! » ولكن
دومتيان النبيل لن تنطلى عليه حيلكم لانه رومانى لحما ودما .

فيلامون (بخبت) : تماما مثل مولانا دقيانوس .

أرمان (ينظر اليه في شك) : ماذا تقصد يا فيلامون ؟

فيلامون (بخبت) : هل أخطأت ؟

مانيتون (لأرمان) : لا تعرض يا ولدي . كلنا خدام الإمبراطور .

فيلامون : الفضب يعميه .

أرمان (يترسل) : طبعاً . أنا ضابط صغير لا يصح له ان يتكلم في

حضرة مانيتون كبير الأمناء ، ولكن هي الحقيقة . ألم تخذعوا

قبله الوالى اميليان المسكين وتعلنوه امبراطورا على

الاسكندرية ؟ ألم تتوجوه فى قاعة العرش (يشير الى قاعة

العرش) وتجعلوه يرفع سيفه على مولاه الامبراطور جاليان ؟

اين اميليان المسكين الآن ؟ هيكل عظمى بلا رأس واسمه فى

سجل الخونة . لا زلت اذكر اميليان النبيل ، ذا الجبهة

العالية ، يسير فى ردهات القصر فينحنى له الجميع ، رجالكم

والنساء (حالما) كنت يومئذ صبيا فى الثامنة حين ادخلنى زوج

امى فى حاشية الوالى . وفى يوم تتويجه على كرسى الاباطرة فى

هذه القاعة المشثومة ، رأيت اميليان يلبس ارجوان الملك .

كنت أحمل البخرة وأسير خلف الكاهن وأرتل مع الصبيان

هذه الاغنية الفظيعة : « المجد لك يا فرعون . . »

فيلامون (ينسى نفسه) : « يا ملك الأرضين . الاسكندرية تاجك .

مصر عرشك . الدنيا موطىء قدميك . »

أرمان (يشتم استهزاؤه) : فرعون ! فرعون ! اين فرعون الآن ؟ بعد

سنة واحدة . . خرائب . خرائب . الاسكندرية كلها حرائق

وخرائب .

مانيتون (متأسفا) : خمسون الفا من الابطال الاشداء سقطوا عند

أسوار الانسكندرية . فى الميناء . فى الشوارع . على الأبواب .

ارمان : نعم . خمسون الفا من العصاة المصريين والخونة الرومان
والمرتزقة من كل جنس وملة سقطوا في ساحة العار . رأيت
زوج أمي يسقط عند باب القصر ، ولولا ان امي هربت بي الى
صفوف القاذى ثيودوت ، حامل سيف الامبراطور ، لت
خائنا بين الخونة .

مانيتون (بهز رأسه في ذكرياته الحزينة) : ما زلت اذكر هذه المدينة
الحزينة ، وجنود ثيودوت المخمورة بالدم والنبيسد تملأ
الشوارع .

فيلامون : تذبح الشيوخ والنساء .

مانيتون : تحمل الاطفال على الحراب وكأنها تحمل الاعلام .

فيلامون : نضرم النار في الكنائس والاديرة

مانيتون : حتى معابد الالهة المصرية العريقة لم تسلم من الدمار .
ربطوا خيولهم في معبد بتاح الكبير . وبعد ان احرقوا معبد
ايزيس اجلسوا على هيكل الربة العظيمة بغيا قبرصية ، عارية
كما ولدتها امها وقدموا لها القرابين وهم يقهقهون ويسخرون
(يتصيب عرقا ويصيبه دوار) .

فيلامون : كيف نسي ؟

مانيتون (ينسى نفسه) : والوباء ! كيف نسي ؟ (مستدركا) لا . لا .
دعونا من هذه الذكريات الحزينة . كلنا خدام الامبراطور .
كلنا اوفياء لروما . (نقى قريب . يعتدل كل في وقفته .
مانيتون يخاطب ارمان وفيلامون) كفى شجارا يا ولدي . كلنا
اخوة . (يدخل اييب من الباب الايسر لياخذ مكان ارمان)

اييب : القائد روستيكان ارسلنى لاجل محلك . . (هامسا) بسبب
المهمة . الراهب ابانوفر عنده موعد مع الوالى . ايساك ان
تقبض عليه في القصر . انتظر حتى يخرج .

مانيتون : لو قبضت عليه وهو ضيف الوالى تلوث شرف الامبراطورية
وتسبب لنا متاعب شديدة (بتهمكم) مع الفوغاء الذين يعبدونه.

ايبب (الارمان) : سارسل لك الامر بعد توقيعه (يسلم مانيتون بردية
ملفوفة . يخرج ارمان من الباب الايسر . فيلامسون بهم
بالانصراف فيشير له مانيتون بالبقاء)

(يدخل من الباب الايمن القائدان المصريان دامون الارمنى
وفريسكا فيما يشبه العجلة)

دامون : معذرة . تأخرنا . هل وصل الوالى ؟

مانيتون : مرحبا يا دامون . مرحبا يا فريسكا .

فريسكا : متى يصل ؟

مانيتون : نحن فى انتظاره .

(يدخل من الباب الايسر الوالى دومتيان الشهير بأخيل ،
وهو رومانى فى نحو الخمسين هادىء الطبع ، ومعه الامير
قسطنطين ابن الامبراطور كونستانس ، وهو فى نحو الثالثة
والعشرين ، مشوق القامة وسيم الطلعة ، وافريكان قائد
حامية القصر ، وهو من مواليد الاسكندرية ولكنه مجهول
الجنسية ، والأغلب أنه مغربى . الكل يحيون بالتحية المصرية.
تقع عين مانيتون ودامون وفريسكا على الامير قسطنطين .
يندفع مانيتون اليه ويقبل يده)

مانيتون : مولاي الامير قسطنطين !

دامون (بحمق فيه) : ولى عهد بيزنطة !

قسطنطين (مشيرا بيده) : لا ! لا ! لا !

فريسكا : ابن هيلانة المصرية !

دامون : الامبراطورة الحزينة

فريسكا : كل القلوب تأسى لها .

مانيتون : لولا ان دقيانوس الغادر ارغم اباك على طلاقها وزوجه من
ثيودورا لكانت هيلانة المصرية تجلس اليوم على عرش
الامبراطورية .

قسطنطين : ولكنها الآن .. والأسفاه (يتنهد) منزوية في قصرها
الصغير على ضفاف البسفور .

مانيتون : تبكى بيتها المحطم .

فريسكا : وتلعن ثيودورا التي اغتصبت مكانها في بيت ابيك ، مولانا
الامبراطور كونستانس .

دامون : تتأسى بالمجد الفابر .

مانيتون : وتحطم بالمستقبل الفامض .

آخيل : كفى . كفى . هذا دامون الارمتى

قسطنطين : سمعنا كثيرا بشجاعتك مع قبائل ابريم يا سيدى
القائد (ينحنى دامون) .

آخيل : وهذا فريسكا

قسطنطين : وانت يا سيدى ، ولاؤك لآخيل حديث الجميع (ينحنى
فريسكا)

آخيل : الامير قسطنطين جاء الى هنا خفية . اياكم ان يذاع النبا .
هو مقيم في جناح افريكان (يشير الى افريكان) باسم الضابط
نرسييس ، وسيعود بعد غد الى بلاط دقيانوس في نيكوميديا .

مانيتون : كيف حال مولاتى الامبراطورة ؟

قسطنطين : تحييك ، وتحىي شعب مصر ، وترجو ان تلتفوا حول
آخيل وان تعملوا بوصاياها .

مانيتون : كل اوامرها نافذة يا سيدى الامير .

آخيل (بومىء لايبب ان يقترب) : ما اخبار روستيكان يا ايبب ؟

ايبب (مقتربا) : كل يوم يزداد هياجا وضراوة ، يؤلب الرومان على
المصريين جهارا ويهين آلهتنا في كل مناسبة . اما المسيحيون
فهو يتشنج كلما جاء ذكرهم : انه يجهز لهم مذبحه في حى
النبي دانيال يوم الاحد القادم : اوامره لى ان اذهب على راس
عشرين فارسا الى كنيستهم هناك وتفتحم الكنيسة بحجسة
التفتيش على جندى مسيحي هارب من الجيش ، وان نحطم
الهيكل ونقتل من نستطيع ثم نضرم النار في المكان .

آخيل (مطرقا) : يوم الاحد يوم بعيد .

مانيتون (يبسط لفائف البردى) : وهذا امر اعده روستيكان بالقبض
على الراهب ابا نوفر . . وهو يطلب توقيعه . وسيدتى
فاوستينا تطلب نفى الراقصة مارتا من البلاد . . آه . .
وروستيكان له طلب آخر غريب . يطلب اصدار امر . . لا . .
قانون . . يحتم على جميع المسيحيين ان يسموا انفسهم
ومواليدهم بالاسماء الجديدة الغريبة التى يأخذونها عن كتابهم
المقدس : لوقا . متى . مرقس . يوحنا . زكريا . مريم .
مارتا .

آخيل : طلب غريب !

مانيتون : وان يدق كل مسيحي وشم الصليب على معصمه .

قسطنطين : وما غرضه من ذلك ؟

مانيتون : هو يقول بهذا سهل تمييزهم وحصرهم . يقول ان اتباع
المسيح يسمون انفسهم اتوم . اباهور . ابا نوفر . فكيف

يمكن تمييزهم من أتباع آمون وتوت وبتاح ؟ وهو يطلب أيضا
حظر اتخاذ المصريين لاسماء يونانية او رومانية ويعتبر هذا
وقاحة منهم .

قسطنطين : هذا الرجل مجنون .

أخيل : حتى الامبراطور نفسه لا يستطيع ان يصدر هذا القانون .
ومع ذلك فهذه فكرة زوجتي فاوستينا .

مانيتون : وهو يقول اذا استمر الشغب على هذا النحو فسيطالب
باعتقال البطريرك نفسه وكل اعضاء المجمع المقدس ، وبسحب
التصريح الامبراطوري الذي حصل عليه المسيحيون باقامة
شعائهم علنا ، ولو ادى الامر ان يسافر بشخصه الى
نيكوميديا لاقتناع دقيانوس .

أخيل (هازئا في هدوء) : او الى روما لاقتناع السناتو . ربما جاء
دقيانوس بشخصه الى الاسكندرية ليقتنع .

مانيتون (يسط الامر باعتقال ابانوفر) : امر اعتقال ابانوفر .

أخيل (ياخذه ويتمعنه) : لا بأس . الريشة (مانيتون يناوله الريشة
فيوقع الامر ويناوله لافريكان وهو يهمس في اذنه ، فيناوله
افريكان لفيلامون . فيلامون يأخذ الامر على مضض)

افريكان (هامسا وهو يضحك) : اراك تتردد يا فيلامون . اذا اصدر
المسيح امرا والوالى امرا فايهما تطيع ؟

فيلامون (مرتبكا) : المسيح . . اقصد الوالى . . اقصد المسيح .

افريكان (ضاحكا وبنظرة خاصة) : اذا داومت على هذا الارتباك
ارضيت الوالى . . وارضيت المسيح !

فيلاميون (مبتسما) : فهمت يا سيدى .

أخيل (بجد وهدوء) : والامر الآخر ، هل اعددتته ؟

مانيتون (يسط الورقة) : نعم ، يا أخيل .

(أخيل يأخذ الورقة ويتمناها ويهم بتوقيعها)

مانيتون (محذرا) : هل تدبرت الامر جيدا ؟

أخيل (يبتسم ويهز رأسه طويلا علامة الايجاب ويوقع الامر ويسلمه لافريكان) : وبقية الاوامر ؟ (افريكان يسلم الورقة لأيب)

أيب (مندهشا في فرح بعد أن يقرأ الورقة) : بحق توت العظيم !
اقبض على روستيكان ! (الكل يلتفت اليه ، بعضهم عاجبا)
هذه مفاجأة كبرى .

مانيتون : تماك نفسك يا أيب ، هذه ليلة المفاجآت ، وامامك اعمال كثيرة . انا اعرف انك تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر ، ولكن تماك نفسك (يسط ورقة فيوقعها أخيل ويسلمها لافريكان) وهذا امر بعزل روستيكان وتعيين افريكان في مكانه (يخرج من ثيابه ورقة أخرى كبيرة يوقعها أخيل . أخيل يسلم الورقة لافريكان ، فيسلمها افريكان لدامون الارمنتي)

أخيل (لدامون) : دامون . راجع الاسماء ٣٨ اسما . تقبض عليهم بعد حفلة الليلة .

دامون : فورا يا سيدي .

أخيل : وانت يا فريسكا . لا تترك اللازاريتا حتى تسام الحامية الشرقية تماما .

فريسكا : مؤكد . مؤكد .

(يدخل ضابط من الباب الايمن ويعلن : «الراهب ابانوفر»
فيوميء الوالى برأسه . ينصرف الضابط ويدخل ابانوفر وهو راهب في نحو الأربعين ذو لحية كثة سوداء يلبس جبسة سوداء وعلى كتفيه عباءة سوداء وعلى رأسه قلنسوة سوداء .

ومع أبانوفر راهب شاب تجاوز العشرين بقليل في مثل زيه .
يؤديان التحية على الطريقة المصرية) .

آخيل : ماذا قال غبطة البطريرك ؟

أبانوفر : قال انه لا يستطيع . قال هو يخدم بالروح ولا يخدم بالجسد . ولكنه سيصلى من أجلك يا آخيل . قال انسه سيصلى وحده في المحراب ويصوم ثلاثة أيام (تقع عينه على الامر قسطنطين : ذاهلا) مولاى الامير ! (يسرع اليه ويقبل يده)

آخيل (يحذر باصبعه على شفتيه ثم يشير الى الراهب الشاب) :
ومن صاحبك هذا ؟

أبانوفر (لا يزال متطلعا الى قسطنطين) : ربما استطاع مولاى الامير قسطنطين ان يقنع ابانا البطريرك (ملتفتا الى آخيل ثم الى الراهب الشاب) هذا . . آريوس ، هو هديتى اليك يا آخيل . الراهب آريوس . المع رهبان الجيل الجديد . انهم لا يحبونه كثيرا فى المجمع المقدس . افكاره الدينية لا تعجبهم . ولكن هذا الراهب الشاب شعلة من نار حين يخطب فى الجموع : يبكى فتسيل الدموع على الخدود ، ويصرخ فتلتهب الدماء فى العروق . وهو يستطيع ان يجادل الاحبار وحده عشر ساعات دون أن يتعب . ان فيه روحا من الله (يهز كتفيه) ولكنهم لا يحبونه كثيرا .

قسطنطين (باهتمام) : وماذا يفضيهم فى افكاره الدينية ؟

آريوس (رافعا اصبعه كأنه على المنبر) : انا اقول ان الله لم يتعذب فى المسيح . اقول ان المسيح الذى صلب وتعذب كان بشرا من لحم ودم ، والجسد مجرد ظل . . مجرد مظهر . اما جوهر المسيح فهو روح الله وكلمة منه ، والجوهر لا يصلب ولا يتعذب

انا اقول انهم با صليوه الا في الظاهر فقط . اقول ان المسيح
الكلمة رفع الى السماء، اماالمسيح البشر فصلب على الأرض،
ولكن العامة تتوهم ان روح الله تعذب في جسد المسيح ، وان
المسيح صعد الى السماء روحا وجسدا .

(آخيل وقسطنطين وفيلامون يبدو عليهم الاضطراب)

قسطنطين : لا عجب انهم يكرهون افكاره .

آخيل (مخاطبا ابانوفر) : ولماذا جئت به يا ابا نوفر ؟

ابانوفر : لانه ساعدى الايمن في تنظيم المقاومة الشعبية .

آخيل : وما رأى المجمع المقدس ؟

ابانوفر (في حيرة) : عشرون مع البطريرك وعشرون معي . ابونسا
البطريرك يقول : المسيح لا يحمل السلاح . المقاومة السلبية
هى طريق الخلاص . اقول : الرومان يزرعون الشر في البلاد.
ولا بد من اقتلاع شرهم . فيجيب : المسيح قال : «سمعتم انه
قيل للقديس ابن بعين وسن بسن . اما انا فأقول لسكم : لا
تقاوموا الشر بالشر . من لطمك على خدك الايمن ادر له
الايسر ايضا . » اقول : ابغضوا اعداء البلاد ، فيجيب : سيدى
وسيدك قال : « سمعتم انه قيل للقديس : احب قريبك وابغض
عدوك . اما انا فأقول لكم : احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ،
احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم » .
«طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض» . «طوبى لكم اذا عيروكم
وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من اجلى كاذبين» .
اقول : الرومان ينهبون اموالنا ، فيجيب : المسيح قال : « من
اخذ منك رداءك فاعطه قميصك ايضا» . اقول : الرومان
يسخرون المصريين ، فيجيب : المسيح قال : «من سخرك ميلا
فاذهب معه ميلين» : لقد تعبت معه . تعبت . تعبت . تعبت .
(فيما هو يتلو هذه الآيات يجثو قسطنطين على ركبتيه ثم

يحدو آخيل وقيلامون حدوه ويتمتمون بالصلاة ، وبعد أن
يفرغ ينهضون (

قسطنطين (يدفن وجهه في راحتيه) : كفى ! كفى ! الدين شيء والدولة
شيء آخر .

ابا نوفر (مخاطبا آخيل في ذهول) : سيدي الوالى ! انت واحد منا !

آخيل (يومئذ في حزن عميق) : نعم ، نعم ، (ينظر الى مانيتسون
ودامون وفريسكا وأينب بنظرة ساهمة ثم يتجه كالسائر في
نومه الى تماثيل الآلهة الرومانية القريبة منه واحدا بعد واحد
ويمسحها في رفق وهو يقول) ما أسعدك يا مانيتون ! انت
تعبد ربك جهارا . وانت يا اييب ، انت تمشي رافع الرأس
الى معبد ربك توت . اما انا فأعبد ربي في الخفاء . . كلما
خلوت الى نفسي . . فى مخدعي . . حتى فى مخدعي اخاف
شر زوجتى فاوستينا ، وفى ردهات القصر اطلقت يمينه ويسرة
لكيلا يرانى احد . انا الوالى . . نائب الامبراطور دقيانوس ،
على أن اظهر التقديس لهذه الأوثان لأن الامبراطور يعبد
آلهة روما . ما اشقانى ! ما اشقانى !

قسطنطين : وانا يا آخيل ، هل اقل عنك شقاء ؟ امى التقية هيلانة
ارضعتنى من المهد الايمان بالله الواحد وبمخلصنا المسيح .
ومع ذلك فأنا اخفى عقيدتى وامشى فى موكب العبد دقيانوس
وأحرق البخور لأوثان روما . ولو افترض امرى لفتكوا بى
. . ولكن هيلانة المصرية علمتني ان البس مائة قناع وقناع
حتى يشاء الله أن تنفذ كلمته .

أريوس (بصوت رهيب) : المسيح قال ايضا : « ما جئت لالقي سلاما
على الأرض بل سيفا » .

ابانوفر : نعم ولكن البطريك لا يفهم هذا . انه يعيش فى برج عاجى .
يتكلم عن قوة الضعفاء . . عن القوة العزلاء . عن الانتصار

بالروح . من حسن الحظ ان اعوانى فى كل مكان سيحملون
السلاح . ولكنه وعد ان يساعدنا من طريق آخر . وعد بان
يأمر كل جندى مسيحي بان يلقى السلاح ويهرب من جيش
الامبراطور . ان يعيش للمسيح .

قسطنطين : من اجل هذا نقاتل .

اييب : عفوك يا مولاي . من اجل مصر نقاتل (الكل ينظر اليه)

آخيل : غدا يعبد كل ربه فى سلام . افريكان . بعد ان نفرغ .
امض مع الراهب الى مكتبي وادرس معه الخطة . اعطه كل
ما يطلب من سلاح لتوزيعه على رجاله . كلمة اخيرة
يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم يا آخيل .

آخيل (فى حزم) : ارفع سلاحك على الاعداء وحدهم .

ابانوفر : هذا ما افعل .

**آخيل : لا . لا . روحك الجامحة بحاجة الى زمام قوى . انت تشكو
من الاضطهاد . وتوقع بفرك الاضطهاد . لقد اثبت لى
روستيكان انك المسئول عن الشغب الذى حدث فى معبد
جويتر وجونو .**

ابانوفر : آلهة الرومان آلهة الاعداء .

آخيل : اعلم اذن انها آلهة الكثيرين من رجالى .

ابانوفر : (لا يجيب) ...

آخيل : لهذا وقعت امرا باعتقالك .

ابانوفر (ماخوذا) : ولكن ...

آخيل : دبر امرك مع أفريكان حتى الصباح ، ثم اختبىء ، و حذار
ان يراك جنودى بعد الشروق فى الاسكندرية . آخيل يحكم
بقانون واحد : حرية العقيدة للجميع . حرية العبادة للجميع ،
العدل والمساواة للجميع . اين كنا يا مانيتون ؟

مانيتون : هذا نداء للجنود الرومان المخرجين فى ولائهم بين آخيل
ودقيانوس ، ان يلقوا السلاح لنضمن لهم الامان .

آخيل (يوقع) : واين ورقة تيماجين ؟

مانيتون (يسنط الورقة الاخيرة) : وهذا قرار بتعيين الامير تيماجين
حاكما على طيبة والصعيد . اما بقية الأوراق فهى فى الديوان .

آخيل (يوقع) : ارسل نسخة من هذا القرار الى كل من يعنيه الأمر .

مانيتون : هل ابلغ دقيانوس ؟

آخيل : ابتداء من الغد لن يعنى دقيانوس فى نيكوميديا من نعين
من رعايانا فى مصر المستقلة . هل انت مستعد يا أفريكان ؟

أفريكان : الاستعداد كامل . القواد الثلاثة أجريبا وليسياس
ومكسيموس موزعون على ابو قير وكليوبترا والمينساء .
والقائد المصرى فريسكا سيرابط فى مستشفى اللازاريتا ،
ودامون الارمنى سيحتل كرموز ، وفيلق الفرسان سينتشر
من باكوس الى الميناء تحت امره اغايوس ، اما اوامر الاعتقال
فسينفذها ايبب وفيلامون بتوجيه دامون الارمنى . بقية
الخطة عند سيدى الوالى . . (ينحنى امام آخيل) اقصد
عند مولاي الامبراطور .

آخيل : مهلا ، مهلا ، يا أفريكان .

أفريكان : الرسائل كلها وردت ؟

آخيل : الخطة منسقة تماما . الكل يهبون في وقت واحد . جوليان في قرطاجنة وكاما في موريتانيا وخمسون من قبائل البربر والطوارق تتحرك من الصحراء وتناوش الرومان في جبال أوراس وأطلس .

أفريكان : رسول جوليان يقول انه سيحاصر قرطاجنة قبل اول الشهر .

آخيل : ويؤكد انها ستسقط في يده .

قسطنطين : الأمل كبير . . الأمل كبير .

أفريكان : اذا كانت روما لا تعرف كيف تحكم نفسها . .

مانيتون : فلتترك كل شعب يحكم نفسه .

قسطنطين : الأسطول الصغير الموالى للامبراطورة هيلانة أبحر من بيزنطة سرا منذ أسبوع ، وسيصل غدا الى أبو قير . تسع قطع .

أفريكان : والملابس اللازمة أرسلناها مع الأعلام المصرية للبحارة .

قسطنطين : في سرية تامة بحسب الاتفاق ؟

آخيل : نعم ، نعم ، حتى لا تحدث أزمة بين هيلانة ودقيانوس . الاسكندرية مضمونة في أربع وعشرين ساعة .

مانيتون (يهز رأسه في حزن وانزعاج) : المشكلة ليست في الاسكندرية .

قسطنطين : أين المشكلة ؟

مانيتون : تكلم يا آخيل .

آخيل : لا تقلق يا مانيتون (يربت على كتفه)

مانيتون : المشكلة في اسوان والعريش .

آخيل (مخاطبا قسطنطين) : آخر أخبار تيماجين المصرى أن رؤساء قبائل ابريم عاهدوه على عدم التحرك من سواحل البحر الاحمر وغزو الأقصر كما فعلوا أيام ثورة اميليان .

أفريكان : والنوبيون عاهدوه على عدم التحرك شمال أسوان .

آخيل : وقد أرسلنا له المال اللازم لارضاء قبائل ابريم ، وتبرع أمراء الصعيد بالمال اللازم لتهدئة النوبيين .

أفريكان : والأمير تيماجين جهز مع الأمير تادرس قوة من خمسين ألف جندي .

مانيتون : ستين ألفا .

أفريكان : موزعة بين اخميم وأبيدوس ، والقيادة في مدينة قفط ، وبمجرد وصول الأنباء سيتحرك الى الأقصر ويحاصر حاميتها ويحكم في طيبة والصعيد باسم الامبراطور آخيل .

مانيتون (في كآبة) : وهل تثق في ابن زنوبيا ، ملكة تدمر ؟

قسطنطين : وهب اللات ؟

مانيتون : نعم .

أفريكان : من ناحية وهب اللات فانا أضمن أنه لن يهاجم العريش

مانيتون (ساهما) : وهب اللات . النوبيون . قبائل ابريم (يتنهد) وإسفاه . . كل هذا يذكرني بثورة اميليان المسكين .

أفريكان (مؤنبا) : مانيتون .

مانيتون : هل أصمت يا آخيل ؟

قسطنطين : بل تكلم .

مانيتون : اذن استعدوا للمزاد . دقيانوس يرشو النوبيين وقبائل ابريم ليغيروا على اسوان والاقصر ، واخيل يرشسوهم ليلزموا الحياض . ترى ماذا يحدث لو زادت رشوة دقيانوس على رشوة اخيل ؟ ينضمون لدقيانوس . هل نسيتم ان دقيانوس هو الذي اقطع النوبة لقبائل النوبيين المتجولة في صحراء ليبيا ليحموها من قبائل ابريم ؟

اخيل : باختصار مانيتون كان يرى الانتظار .

قسطنطين : الى متى ؟

مانيتون : حتى ندرب جيشا من الفلاحين ، مائة الف على الاقل . لن يحرر مصر الا المصريون هل نسيتم اميليان ؟ كان اميليان قويا ، في قوتك يا اخيل ، ولكنه ذكر الاسكندرية ونسي الصعيد . نعم ، طرد الرومان . ولكنه لم يحسب حساب احباش اكسوم المغيرين على الصعيد . فلما استولوا على اسوان وطيبة سحب اكثر جنوده من الاسكندرية لسحقهم وطردهم الى ما وراء الشلال ، فترك الاسكندرية شبه عزلاء ، وهكذا استردشا ثيودوت واثاع فيها الدمسار . والامر تيماجين ؟ لماذا فشل ؟ بعد سبع سنوات ، سبع سنوات فقط ، من مأساة اميليان ؟ تيماجين النييل ، كان يطوف بنفسه القرى والضياح يدكي روح الوطنيين في الفلاحين والامراء ، فلما اجتمع له عشرون الف مقاتل ، ثار على الامبراطور كلوديوس واستنجد بزنوبيا ملكة تدمر فارسلت اليه قائدها زيدا على رأس سبعين الف مقاتل .

دامون (يتدخل في حماس) : وسحق تيماجين وربدا جيش الوالي فروبوس في بابلين فانتحر فروبوس تخلصا من الدمسار ، واوشكت مصر ان تستقل .

هانيتون : نعم ، اوشكت . في كل مزة اوشكت . وهل استقلت ؟
لا . لا . ماذا اجدى يا ولدى ؟ ماذا اجدى ؟

فريسكا : لولا جشع زنوبيا لكنا اليوم احرارا . الم يتفق تيماجين
مع زنوبيا على ان تكون مصر للمصريين وتدمر للتدمريين ؟

هانيتون : نعم . ولكن ماذا حدث ؟ زنوبيا بسطت سلطانها على مصر
ورضيت بان تحكمها باسم اوريليان امبراطور روما . باعتنا
زنوبيا لاوريليان ، فعين ولدها وهب اللات واليا علينا ،
فصفي جيشنا ، وطارد اميرنا ، وسك العملة في الاسكندرية
ظهرها بصورته ووجهها بصورة الامبراطور . ثم ازداد جشع
وهب اللات فأعلن ان مصر ضيعة من ضياع تدمر ، وتحدى
الامبراطور ، وسك العملة بصورته وحده . فخرج اليه
اوريليان وخرّب مصر وتدمر جميعا ، وأسر زنوبيا ، وساقها
الى روما في موكب العار مكبله بالاصفاد .

ايب : سيدى فريسكا على حق . لولا جشع زنوبيا لكنا اليوم
احرارا .

هانيتون : وانا اقول لولا سذاجة تيماجين لما كنا اليوم عبيدا . اجنبي
يطرد اجنبيا . بديهي . يحل محله . انا لا اعتمد على
الحلفاء . انا اعتمد على نفسى وعلى الالهة .

آخيل : لا لا يا هانيتون . انت متشائم . لو علمت هذه الملكة العظيمة
ان الكفاح المشترك هو سبيل الحرية لما نزلت بكم كل هذه
الكوارث .

ايب : بستين الفا نحمى الجنوب .

هانيتون : حماس الشباب . تقصد بالاحلاف نحمى الجنوب . لم
تمض ثلاث سنوات على فشل تيماجين حتى أشعل
فيرموس نار الثورة في الاسكندرية من جديد ، وطرده الرومان

واعلن استقلال مصر . ولكنه اخطأ نفس الخطأ . . نفس الخطأ : اعتمد على جنود تدمر وعلى قبائل ابريم . انا اقول وهب اللات ينسحب من العريش ويحرر بلاده . يحرر انطاكية وتدمر .

افريكان : ولكن . . ربنا احتجنا اليه .

قسطنطين : مانيتون على حق . افتحوا في سوريا جبهة ثانية .

آخيل : اكتب يا مانيتون لوهب اللات ان يتحرك الى سوريا ويحاصر تدمر ، وان يحاول الاستيلاء على الترسانة ومصانع السلاح التي انشأها دقيانوس في انطاكية وحمص ودمشق . واكتب للامير تادرس ان ينقل قيادته الى تانيس ليدافع عن العريش . تيماجين وحده يدافع عن الصعيد . تادرس معبود المسيحيين ، وهم يتبعونه الى الموت دون تردد .

مانيتون (سأهما وهو يهز رأسه) : ولكن اتباع امون وبتاح وتوت لا يتبعونه الى الموت دون تردد .

اييب (بتأفف) : سيدي مانيتون لا يرى الا ظلاما .

مانيتون (غاضبا) : تأدب يا فتى .

اييب : لو سمعنا كلامه لما فعلنا شيئا .

مانيتون (مستنجدا) : سيدي الوالى .

آخيل : هذه حكمة الشيوخ يا اييب .

مانيتون : البلاد ممزقة . خمسون شيعة وشيعة . كل شيعة لا تثق في الاخرى . الكل يكرهون الرومان ، ولكن كل شيعة تريد ان تحرر البلاد لحسابها . الكل يسأل : ما مصرنا اذا استولى هؤلاء على السلطة .

ابانوفر : أيد خفية تعمل فى الظلام: تؤلب المصرى على المصرى . أتباع
توت يمقتون أتباع آمون . أتباع آمون يمقتون أتباع بتاح
الجميع يمقتون المسيحيين . والفلاسفة يمقتون الجميع .
الآلهة الاجنبية ملأت المدينة . انهم اليهود . . يهود الاسكندرية
يعملون فى الظلام . يتجسسون لدقيانوس . .

مانيتون : اهدأ يا ابانوفر . لا تصب الزيت على النار .

أخيل : غدا يبش الكل فى سلام . المصرى والاجنبى فى سلام .
حرية العقيدة للجميع . حرية العبادة للجميع . العدل
والمساواة للجميع .

مانيتون : من اجل هذا نحارب .

أخيل : مانيتون . بلغ اباكبر كبير كهنة آمون و ابانوب كبير كهنة توت
واورى كبير كهنة بتاح ان يسافروا الى الريف فوراً . . قبل
بزوغ الفجر ليؤلفوا القلوب حول الامر تادرس .

افريكان : لا يا أخيل . . هل نسيت حفلة التتويج ؟

أخيل : يمكن ان يرسلوا من ينوب عنهم .

افريكان : لا . لا . فليسافروا بعد التتويج . أخيل سيجلس على
عرش فرعون . لابد من حضورهم شخصياً ، والا استهانت
الرعية بسطانتك .

مانيتون : ماذا تقول يا افريكان !

ابانوفر (بصوت راعد) : عرش فرعون لا يجلس عليه الا مصرى .

أريوس : عرش فرعون لا يجلس عليه الا قسطنطين .

مانيتون : ستلبس تاج الامبراطور لا تاج فرعون يا أخيل .

أخيل : نعم ، نعم . سأحكم باسم مولاتى هيلانة المصرية .

ابانوفر : حتى يعود الينا قسطنطين .

اييب (بصوت رهيب) : ويجلس على عرش اجداده .

آريوس (بصوت رهيب) : هذا ما وعدنا به الشعب .

آخيل : نعم ، نعم .

ابانوفر (بحماس) : قسطنطين !

آريوس : سيف الله المسلول .

قسطنطين : لن اعود اليكم حتى اجلس على عرش ابي كونستانس النبيل ، واحكم بالحق والعدل من بريطانيا الى اسبانيا ، واسترد عرش روما الذى اغتصبه السفاح مكسيميان وهو تركة اجدادى ، ثم اطرد العبد دقيانوس من بيزنطة المجيدة عرش امى القديسة هيلانة المصرية . وبعد ان اوحى العالم تحت صولجان واحد انقل عاصمة ملكى الى الاسكندرية والبس تاج اجدادى الفراعنة .

اييب (كالحالم) : المجد لك يا فرعون .

فيلامون : يا ملك الارضين .

مانيتون (بتحمس) : الاسكندرية تاجك .

اييب : مصر عرشك .

فيلامون : الدنيا موطىء قدميك .

مانيتون (يفيق ويكلم نفسه بصوت خفيض) : هكذا كنا نغنى لاميليان (تسمع جلبة شديدة قرب الباب الايمن وصوت امرأة ثائرة تصرخ : «اترك ذراعى» «لايد ان اراه» مختلطة باصوات رجال : «مستحيل» «ارجعى .. ارجعى» تدخل الراقصة مارتا فى ثياب الرقص مندفعة وهى تصرخ «سيدي الوالى !

سیدی الوالی ! «ومن ورائها حارسان يبدو عليهما الارتباك
وفي ملبسهما اضطراب نتيجة لغضب الراقصة . مارتا بنت
جميلة عنيفة تجاوزت العشرين تفيض بالحيوية والانوثة ،
متقلبة المزاج ، يمكن أن تكون كاسرة كالنمرة ، ووادعة كنسيم
الربيع . كل من في القاعة يضطرب لدخولها الا آخيل
وقسطنطين ، فهما يتسلمان في هدوء»

آخيل (يصرف الحارسين بإشارة من يده) : اتركوها في سلام (يخرج
الحارسان من الباب الأيمن) تعالى . اقتربي . من انت ؟ ماذا
تريدين ؟

مارتا : سیدی الوالی ؟

آخيل : انا الوالی .

مارتا (ترتبك لهدوئه) : انا . . انا مارتا . . الراقصة مارتا

آخيل (يتأملها) : آه . . سمعنا عنك كثيرا . . انت في الاسكندرية
أشهر من الوالی .

مارتا (في خجل) : عفوا يا سیدی .

آخيل : وماذا تريدين من الوالی .

مارتا (يعود اليها غضبها) : منعوني من الدخول . اتفقت معي هاتور
كاهنة «الرية» ايزيس (تعض شفقتها السفلى) اتفقت معي ان
ارقص الليلة في حفلة البلاط . وجئت ومعى الرجال والآلات
والبنات المساعدات ، ولما اردنا دخول قاعة الاحتفالات تعرض
لنا الحراس وقالوا انى ممنوعة من دخول القصر بأمر
فاوستينا ، اقصد سيدتى فاوستينا زوجتك . ارادوا ان
يخرجونى بالقوة . ولكن (في كبرياء) انا مارتا . . (تقلص
يدها) . . مارتا . . كاسرة كالنمرة . . (تخطر فجأة امام

الوالى فى ايقاع هادىء جدا وقد عقدت بديها خلف شعرها فى
اغراء) ناعمة كنسيم الربيع .

آخيل : واضح . واضح . ولكن اذا كانت سيدتك فاوستينا تفضل
راقصة اخرى ، فيجب ان تفهمى .

مارتا (تعود الى غضبها) : تفضل؟ تفضل؟ (فى كبرياء) انا احسن
راقصة فى الاسكندرية . المسألة ان مارتا . . مسيحية (تظهر
صليبا ذهبيا صغيرا معاقا على صدرها فى تحد شيطانى) هذا
هو . . هل رأيت ؟ لا مكان فى البلاط لراقصة مسيحية . هذا
راى فاوستينا . كل المصريين يعرفون ذلك . واذا كان هذا
راى آخيل ايضا فليتكلم بصراحة . الاسكندرية تنتظر الجواب

آخيل (ينظر الى قسطنطين والآخرين حائرا) : ماذا أقول ؟ العادة
جرت انى لا أتدخل فى مثل هذه المسائل . ولكن اهدئى
يامارتا . سترقصين الليلة فى حفلة البلاط (تسمع من قاعة
الاحتفالات انغام ايقاعية ناعمة وخافتة . مارتا تتحرك امام
الجميع بعرض المسرح فى رقصة ايقاعية قصيرة تستغرق
دقيقتين ، وتنتهى عند قدمى الوالى . الوالى يأخذ بيدها
وينهضها ويربت على يدها) .

آخيل : قولى للاسكندرية ان فى البلاط مكانا لراقصة مسيحية .

(تقترب مارتا من الامير قسطنطين كأنما تجذبها اليه قسوة
سحرية ، وتتفرس فى وجهه بمزيج من الدلال والجد العميق .
تضربه على خده بمنديل حريرى صغير) .

مارتا : ومن يكون هذا الفارس الجميل ؟

آخيل : كم انت محبة للاستطلاع يا مارتا ؟

مارتا (كمن يقرأ الغيب) : اقرا فى عينيه اسراراً عظيمة !

آخيل : تقرئين الغيب الى جانب الرقص !

مارتا : نعم ، تعلمت الكهانة في معبد ايزيس . اقرأ في عينيه انه
سيغير وجه الدنيا .

ابانوفر (ينتحي بجانبها ويتمتم بصوت مسموع وعيناه تنتقلان
كالمسحور من مارتا الى السقف) : رؤيا ! رؤيا !

افريكان : ماذا يقول ؟

ابانوفر : ارى حمامة سوداء .. قادمة من المشرق .. من معبد
الشمس .. ظماتة .. رفرفت على وجه المياه .. سقطت في
البركة المقدسة .. خرجت منها بيضاء .. ناصعة .. كتلوج
الجبال .. كالروح القدس .. جطت على مذبح الرب .. لا
تبرحه .. تغنى انا القريان ! انا القريان !

افريكان : انه يهذي .

آخيل : ماذا تقول يا ابانوفر ؟

ابانوفر : لا شيء يا سيدى . لا شيء .

مارتا (كالمسحورة كأنها تفهم ما يقول) : آمين . آمين .

افريكان : ما معنى هذا ؟ ما معنى هذا ؟ ويل لنا من الكهان .

آخيل (مبتسما) : هيا استعدى للحفلة يا مارتا . امض معها
يا فيلامون واجعلهم يكرمون وفادتها، وعد لنا سريعا (تنحني
مارتا وتراجع بظهرها الى الباب الايمن . آخيل ينظر الى
قسطنطين ثم الى مارتا) كلمة اخرى يا مارتا .. قولى
للاسكندرية .. ان تلكم .. تكانا بين هذه الالهة (يشير الى
تمثيل الالهة . مارتا تنحني انحناء عميقة وتخرج يتبعها
فيلامون) .. تقدم يا اييب .

اييب (يتقدم نحوه) : سيدى .

آخيل : بعد الحفلة مباشرة تبدأ الاعتقالات .. تبدأ بروستيكان .

أبيي : بالتأكيد يا سيدي

آخيل (في تودة كأنه يملئ) : وانت يا مانيتون . اكتب رسالة بشأن روستيكان الى دقيانوس امبراطور روما . قل اننا هزلنا واعتقلناه بعد ان ثبت لدينا انه ، وهو قائد جامية الاسكندرية ، يهين آلهة المصريين ، ويعمل على الاخلاص بالامن بدلا من العمل على اقراره في المدينة ، وانه يتعمد كل يوم الامر الامبراطوري القديم الذي يخول لابناء كل ملة اقامة شعائرهم الدينية في حرية مطلقة ، وانه يدبر المذابح للمسيحيين ويرسل جنوده المخمورة لتدنيس كنائسهم وتخريبها . ولا تنس ان تذكر الاتاوات التي كان يفرضها على سراق المصريين ليعفيهم من عدوانه . اذكر كل شيء بالتفصيل . .

(جلبية في الخارج . يدخل فيلامون من الباب الايمن على عجز لاهثا صاحب الوجه)

فيلامون : سيدي . سيدي . لقد قتل روستيكان . وجدوه صريحا على درج القصر وفي ظهره خنجر (الاضطراب يسود الجميع)

آخيل (بعد صمت) : لا تكتب شيئا يا مانيتون (يهز رأسه أسفا) ستظن روما اننا قتلة سفاحون . في الصباح سنتدبر ما نقول . والى ان يأتي الصباح ، فليجر كل شيء حسب الخطة المرسومة .

(ستار)

الفصل الثانى

بهو فى قصر رأس التين ، بإبان على اليمين وعلى اليسار ، فى الصدر باب يـؤدى الى شرفة تطل على حديقة القصر . بجوار كل من الجدار الأيمن والأيسر مائدة من الرخام ضيقة مستطيلة ذات أرجل عالية مخروطة مقوسة ، وفوق كل مائدة مرآة جسيمة عليها دنان وكؤوس فضية ضخمة . فى الصدر أريكتان من الرخام ، وفى الأركان فوتيلات من المرمر . أعمدة البهو أربعة ورومانية . فى نهاية الجدار الأيمن قبو على السقف يفضى الى دهليز ، ويقابله مثيله تماما فى الجانب الأيسر . القادة الرومان سويروس وديوجين وبومبيان وأركان حريهم ، وماركوس سكستوس أميرال الأسطول الرومانى فى الاسكندرية ، وروفينوس ، كبير كهنة جوبيتر فى هيئة اجتماع ، يناقشون تسليم القصر .

بومبيان : والموقف فى أبو صير ؟

سويروس : فى منتهى السوء .

بومبيان : وفى قفط ؟

سويروس : أسوأ .

بومبيان : اذا ضاعت قفط ...

ديوجين : اذا ؟ اعتبرها ضاعت ..

بومبيان : اذن لن يمكن تحويل تجارة الهند الى طريق ليبيا .

سويروس : نحن انتهينا في داخل البلاد يا بومبيان منذ ان استسلمت حامية طيبه . ولم يبق لنا الا هذا الجناح من قصر رأس التين .

ديوجين : انا اقول لا بد من اخلاء هذا البهو . المصريون اسنولوا على حديقة القصر وعلى الاسطبلات والمطابخ .

سويروس : وعلى الديوان الكبير والديوان الخاص .

ديوجين : لم يبق لنا الا البرج وجناح الشاطيء ، واذا دافعنا عنهما نرقتنا باستمرار .

سويروس : بومبيان ! رأي ان نسلم القصر وتنضم الى اخيل .

بومبيان : هذا جنون يا سويروس . الإمبراطور دقيانوس ابخر بأسطوله من نيكوميديا . اذا ثبت يومين جاءت النجدة .

سويروس (باحتقار) : انت تعرف رأيي في امبراطورك المبعجل انا لن احارب تحت راية هذا العبد الدلاسي .

بومبيان : لا تذكرني يا سويروس .

سويروس : آه .. تذكرت . هذا العبد الاجنبي اشتراه عمك أنولينوس من سوق النخاسة .

بومبيان : نعم ، نعم في ديوكله . بالقرب من قوله ، مسقط رأسه ، عمي اشترى اياه وامه بخمسين قطعة من الفضة . الأسرة كلها : الثلاثة بخمسين قطعة : الاب والام والابن . نعم ، نعم ، وهم الآن سيد الدنيا . اتعرف انهم ينادونه

الآن بصاحب الجلالة ؟ يوليوس نفسه وأغسطوس العظيم
لم ينتحل لنفسه هذه الألقاب الالهية . ولكن دقيانوس تعلم
هذه الأبهة الجوفاء من ملوك المشرق منذ حروبه مع الفرس .
وقد عشنا لنرى الرومان يساسون كعبيد المشرق .

سويروس : الطاغية قضى على الجمهورية .

ديوجين : وحطم السناتو .

سويروس : وصادر حريات الرومان ، وشتت أشرافهم .

يوميان (يتنهد في حزن) : أكثر من هذا . نقل عاصمة الامبراطورية
من روما الى آسيا الصغرى . ديوجين اسويروس ! كفى ،
كفى . هذه افظع جريمة ارتكبتها هذا العبد الأجنبي
ومع ذلك فرأى لن يتغير . سأحارب تحت لوأته الى أن
يقضى جوبيتر بيننا وبينه .

سويروس : أنا روماني حر . ولن أحارب من أجل حكم الاغوات في
امبراطورية المشرق .

روفينوس : أنا روفينوس كاهن الاله الأكبر جوبيتر ، أكثركم
حقدا عليه ، ومع ذلك أقول لكم - من أجل روما - قاتلوا
تحت رايته . من زعزع دين جوبيتر ؟ دقيانوس . من زعزع
مكانة الالهة للعظمة ؟ دقيانوس . من نشر المسيحية اللعينة
في الامبراطورية فتركها تسمى كالحية الرقطاء تنفث سمومها
في كل مكان ؟ دقيانوس . ومع ذلك أقول : من أجل روما
قاتلوا تحت رايته .

سويروس : روفينوس . أنا سمعت أن زوجته بريسكا اعتنقت
المسيحية سرا .

روفينوس : نعم ، بريسكا مسيحية . وبنته فاليريا مسيحية
أيضا . هذه ليست مجرد اشاعات . هذه حقائق .

اتعرفون ان اربعة من خصيان قصره في نيكوميسديا من
المسيحيين ؟!

بومبيان : من ؟ من ؟

روفينوس : لوسيان وجورجون ودوروتئوس واندرائوس . انها
الحية بريسكا ، واللعيثة فاليريا ملاتا الوظائف العامة
بالمسيحيين .

بومبيان : وضباط القصر يا روفينوس ؟

سويروس : نعم ، نعم ، نصفهم من المسيحيين .

روفينوس : وأسفاه ! زال مجد الآلهة ! دقيانوس ترك للمسيحيين
الحبل على الغارب وأباح لهم عبادتهم علنا فطفوا وبفـسوا
وامتلأت بهم الأكواخ والقصور .

بومبيان : حتى الجيش أشاعوا الفتنة فيه . لعلكم سمعتم بحكاية
الضابط مارسيل ..؟

سويروس (يضحك) : الذي قطعوا رأسه ؟

بومبيان : نعم . قالوا انه وقف خطيبا بين جنوده في موريتانيا ،
وخلع درعه وألقى بسلاحه على الأرض ، وأعلن في رجـاله
انه لن يطيع الا يسوع المسيح (ضحكات صفراء .. أصوات
تأفف) والفتى مكسيميليان في قرطاجنة ..

سويروس : سمعنا عنه . سلمه أبوه للتجنيد ولكنه رفض أن يلبس
عدة الجنود لأن هذا يتعارض .. مع ضميره (يشير اشارة
تدل على أن رأسه قطع . ضحكات صفراء وأصوات تأفف)
مالك صامت يا ماركوس سكستوس ؟

بومبيان : ماركوس سكستوس يفكر في أسطوله العزيز .

ماركوس سكستوس : لا تضحكوا يا سادة .. هذه مأساة ..
لو انتشرت هذه الروح الخبيثة بين الجنود لما عرفنا كيف
نحمى الامبراطورية من البرابرة .

(يظهر ارمان وفيلامينا بالباب الايمن فلا يلتفت اليهما احد)

روفينوس : بدأت اشتبه في ان دقيانوس .. (ينخفض صوته
كمن يطلق سرا) مسيحي .

اصوات : مسيحي !

ديوجين : لا . لا . لا .. انتم لا تفهمون دقيانوس .. كل ما يشغله
هو السلطة . هو يقدم القرابين لجويتر وآلهة روما ارضاء
للرومان ، وهو يتقاضى عن مفاسد المسيحيين ارضاء لعبيد
الامبراطورية ، ولكنه في قرارته لا يقدس الا شيئا واحدا ..
هو دقيانوس . هو هاديء في الظاهر ، ولكنه في الواقع
اقسى من صاحبيه مكسيميان وجاليريوس . هو لا يأخذ
بالعنف ما يستطيع اخذه بالسياسة واللين . ولكنه أضرى
من النمر اذا وجد مقاومة فعالة . وكلما أراد ان يبطش
بأحد كلف مكسيميان او جاليريوس بتدبير المذابح والاغتيالات ،
ثم تدخل هو كالأب الرحيم ليصلح ما أفسده صاحبه .
هكذا انتهى هذا العبد الدماسي الى عرش الامبراطورية .

روفينوس : انتهوا الى قرار . انتهوا الى قرار .

بومبيان : انا مع دقيانوس .

سويروس : انا روماني حر (يضع يده على مقبض سيفه) لن أعود
الى روما حتى يسقط الطاغية دقيانوس .

ديوجين : وأنا مع سويروس . ما دامت عاصمتي ليست روما ،
فلتكن الاسكندرية . انا مع أخيل .

روفينوس (مخاطبا الاميرال) : وسيدى الاميرال ؟

ماركوس سكستوس : انا مع أخيل ، لان أخيل مع روما .

بومبيان : كيف ؟ كيف ؟ الم تقل ...

ماركوس سكستوس : نعم ، نعم ، ولكن أخيل بحاجة الينا لنحميه
من الذئاب المصريين .. أخيل بحاجة الى رومان .. هل
فهمت ؟

بومبيان (مفكرا) : آه ...

روفينوس : انا مع بومبيان .

أرمان (يشهر سيفه) : وانا مع بومبيان !

بومبيان : ارمان ..

ديوجين : ارمان ..

أرمان (يتقدم مع فيلامينا) : نعم هربت من الازاريتا . هربتني
فيلامينة وهربت معي .

روفينوس : المصرية !

فيلامينة (في اشمزاز وكبرياء) : نعم المصرية . افضل من
الرومانيات . انا اتبع زوجي في كل مكان .

أرمان : الرعاع ملأوا رأس التين . اذا لم تسرعوا الى البرج دهمكم
الرعاع .

بومبيان : والجنود ؟ ماذا تفعل بهم ؟

سويروس : انهم رومان احرار . لا اكراه في الولاء . من اراد ان
ينضم لآخيل يبقى في البرج .

بومبيان : ومن اراد ان ينضم لدقيانوس ؟

ماركوس سكستوس : سأعطيهم قطعة من الأسطول ليبحسروا
عليها

بومبيان : اتفقنا ..

أرمان : هيا .. هيا ..

بومبيان : لا . أنا باق . غيرت رأيي . ماركوس سكستوس رجل
حكيم . اذا انفرد المصريون بأخيل أصبح تحت رحمتهم .

أرمان : ماذا افعل ياسيدي القائد .

بومبيان : ابهر فوراً مع روفينوس الى دقيانوس . انه بحاجة الى
خبرتك .

(تخرج الجماعة على عجل من الباب الأيسر ويدخل من الباب
الأيمن في الوقت نفسه أربعة من الجنود الرومان)

الجندي الأول : انت مع أخيل ؟

الجندي الثاني : انا مع روفية المصرية .

الجندي الأول : وانت ؟

الجندي الثالث : انا مع نفسي .

الجندي الرابع : وانا مع الجميع .

الجندي الثاني : هذه مشكلة . كيف تحلها ؟

الجندي الرابع : بسيطة . احارب مع الغالب .

الجندي الثالث : وانا لا احارب ابدا (يشير اشارات معناها انه
دائماً يروغ من القتال)

الجندي الأول (سقطبا) : انا مع دقيانوس .

**الجندي الثاني : وماذا تنتظر ؟ هيا .. اجر .. قبل ان ياتي
المصريون .**

الجندي الأول : وماذا ستفعلون ؟

**الجندي الثاني : بمجرد وصولهم طبعا نلقى السلاح (ينصرف
الجندي الأول من الباب الأيسر)**

**الجندي الثالث : روفية بنت حلوة (يشير الى الموائد الرخامية
ويصيح : « نبيذ ! نبيذ ! » فيندفع الجميع الى الدنان
والكتوس ويشربون بشراهة) .**

الجندي الثاني : ... لوز ..

الجندي الثالث (للرابع) : عندك صاحبة ؟

**الجندي الرابع : هيء ، هيء ، هيء ، خمس ! أربع مصريات وواحدة
يونانية !**

الجندي الثالث : يا خبر !

الجندي الثاني : هذه مشكلة ! كيف تحلها ؟

**الجندي الرابع (يخرج عملة من جيبه ويمثل بها) : بسيطة . ارمى
العملة .. ان وقعت امبراطور .. الليلة مع مارية ، وان
وقعت طرة ، الليلة مع صوفية ، وان وقعت على سنها ،
الليلة مع روزينة .**

الجندي الثاني (مبهورا في ترقب) : والباقي .. والباقي ..

الجندي الرابع : يوم الفلس .. الليلة مع خرسينة .

الجندي الثالث : والخامسة ؟

الجندى الرابع : باسمينة ؟

الجندى الثالث : اسمها باسمينة ؟

الجندى الرابع : هذه زوجتى التى أهرب منها (يبدأ فى الغناء)

ماريه غاليه عليه

صوفيه بنت طريه

روزينه حلوه سمينه

خرستينه خيرها علينا -

ياسمينة شاويش المينا

(يدخل أبا نوفر وآريوس وأيب من الباب الأيمن شاهرى
السيوف على رأس جماعة من الفوغاء المسلحين . يبدأ قتال
لا يستغرق دقيقتين ، ويلقى الجنود الرومان سلاحهم ، منهم من
يصيح : نحن معكم)

أبا نوفر : اتركوهم . انهم سكارى .

أيب (مشيرا للجماعة) : اتبعونى .

أبا نوفر : تقدم بجذر يا أيب .

الجندى الثانى : كلهم فى البرج . وفى جناح الشاطيء .

أبا نوفر : الى البرج .

الجندى الثانى : لا داعى للهجوم .

أبانوفر : ماذا تعنى ؟

الجندى الثانى : سويروس وديوجين والاميرال مع آخيل .

أيب : ماركوس سكستوس ؟

الجندي الثاني : نعم ، نعم ، وحق جويتر .

ابانوفر : هذه معجزة .

الجندي الثاني : فاضهم على تسليم القصر .

ابانوفر : آريوس ، لا ، لا ، لا . ايب ، اذهب مع الجماعة . اطلب من ديوجين أن يقابلك خارج البرج (يخرج ايب من الباب الأيسر وخلفه الجماعة والجنود الرومان . يبقى ابانوفر واريوس وحدهما) يدخل فيلامون من الباب الأيمن لاهثاً في فزع شديد يتبعه ثلاثة جنود مصريين شاهري السلاح)

فيلامون : ابانوفر ! الويل لك يا ابانوفر ..

ابانوفر : ماذا جرى ؟

فيلامون : ألم تعرف ؟

ابانوفر : ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

فيلامون : البطريك .

ابانوفر : أين هو ؟

فيلامون : لما رأى جموع المصريين تحمل السلاح وتخرج عن طاعته ثار وصرخ بأعلى صوته في الهيكل : هذا من عمل ابانوفر .. عليك اللعنة يا ابانوفر .. لن تدخل الملكوت يا ابانوفر .

ابانوفر : يا الهى ! انا .. ملعون !

فيلامون : انه يقول لكل من صادفه : ابانوفر يحب الدماء . ابانوفر جسد بلا روح .. ابانوفر روح نجسة هائجة تهيم على وجه الأرض ولن تستقر الا في قاع الجحيم ..

آريوس : هل قال عنى شيئاً ؟

فيلامون : لا يا آريوس ، ولكن دورك آت لا ريب في ذلك .

أبانوفر (لا يزال كالذهول) : يا الهى ! لعنة الكنيسة !

فيلامون : ويقول انك تفسد دين المسيح .

أبانوفر (حالما) : ماذا فعلت ؟ الفداء . . الفداء : هذا دين المسيح

أنا أقول : كل مصرى يفدى مصر بدمه يدخل الملكوت .

فيلامون : ويعلن أنك مطرود من سلك الرهبان .

أبانوفر (ينظر الى ثيابه غاضبا) : مستحيل ! لن يجردنى أحد من

من مسوح الرهبان . (ينظر الى بنصر يده اليسرى حالما)

وهذا الخاتم الحبيب الذى لبيسته يوم زفانى لمريم العذراء . .

لن اخلعه حتى أموت .

آريوس (ساخرا) : أبونا البطريرك يهذى ! يريد ان يخرج الرومان

بالصوم والصلاة ! سمعته مرة يقول : الله وحده سيرسل

عليهم ضرباته ويطهر منهم البلاد ، وما علينا الا ان نبتهل

وننتظر مشيئة الله . وحين سألته : لماذا لم يرسل الله

عليهم ضرباته حتى الآن ؟ نظر الى فى ارتياب وقال : اتحاكم

الله يا آريوس ؟ لو لم تكن خطاة مثل الرومان باولدى

لخلصنا الله من شرهم منذ زمن بعيد .

أبانوفر : البطريرك على حق . أنت تحاكم الله يا آريوس .

آريوس : ماذا دهاك يا أبانوفر ؟

وفن : لكنه ينسى أننا احدى هذه الضربات التى يرسلها الله على

الرومان . بالخطاة يضرب الخطاة ! الله السلام يأذن بالحرب ،

الله الفضيل يأذن بالرديلة ، الله الرحيم يترك الوحوش

الكاسرة . هذه عدالة الله : يعاقبنا فى الارض وفى السماء .

لا تفكر كثيرا ، والا وقعت فى الحيرة ، فى الحسرة الكبرى :

الكامل . . كيف يخلق الناقص ؟ الخير كيف يخلق الشر ؟

مرة .. سمعت راهبا في مثل سنك يقول : من يرى الشر ويستطيع ان يزيله ولا يزيله فهو شرير ، سمعته يهتدي قائلا : الله .. لماذا لا يزيل الشر ؟ اهو ناقص في الخير ؟ اهو ناقص في القوة ؟ قلت اهدا يافتى .. لحكمة خلق الله الشر .. لحكمة ترك ابليس يعيث في الوجود . اتعرف بماذا اجاب ؟ قال : اذن هو يلعب بنا .. اذن .. نحن دمي نتحرك على مسرحه وهو يحرك الخيوط . قلت : لا . لا . الله يتعذب معنا لانه فينا . قال : اذن هو الخالق والممثل والمشاهد . قلت : لا تفكر كثيرا .. العقل ليس نورا يهدي .. العقل ضباب يتوه فيه الاحياء .. الايمان هو كل شيء الله في قلبك . اتبع قلبك . لا تسلك اذن السبيل . اتبع قلبك يا آريوس . انا اقاتل بالايمان . والبطريك يسالم بالايمان . احدثنا سيذهب الى الجحيم . ربما كلانا . هيا الى القتال .. لا تضيعوا الوقت .. الى القتال . فيلامون خذ رجالك والحق بأيب ..

فيلامون : اباتوفر ..

اباتوفر (مستظلم) : نعم ؟

فيلامون : للمرة العاشرة ، اريد وعدا بتأمين فيلامينة .

اباتوفر : انا لا اعد بشيء .. الا العدالة .

فيلامون : اكتب لآخيل .

اباتوفر : لا ، لا . لا وساطة للخونة .

آريوس : هيا يا ابطال . الى النصر وراء اباتوفر ، بطل الابطال ، الشعب كله يهتف : اباتوفر والحرية ! (يخرج فيلامون من الباب الايسر تتبعه الجنود . وما ان يختفوا حتى تدخل مارتا من الباب الايمن في اندفاع حاملة علما ووراءها جمهرة

من أبناء الشعب المسلحين . مارتا تلبس جلبابا أسود
كالفلاحات)

أصوات : مارتا والحرية !

أبانوفر (محيا مارتا) : الشعب كله يهتف مارتا والحرية !

أريوس : مارتا وأبانوفر !

مارتا (صائحة) : مصر والحرية . لا تذكروا الا مصر والحرية
(الجماهرة تهتف : « مصر والحرية »)

أبانوفر : الى برج القصر يا أبطال .

مارتا : الى جناح الشاطيء يا أبطال .

أبانوفر : لا ، الى برج القصر يامارتا .

مارتا : هل استوليتم على جناح الشاطيء ؟

أبانوفر : لا ، لا ، هذا آخر ما نهاجم .

مارتا : وما الحكمة ؟

أبانوفر : في البرج ألف وخمسمائة روماني فيهم ثلاثة قواد .

مارتا : ديوجين وبومبيان ؟

أبانوفر : نعم ، وسويروس

مارتا : هذا ادعى . تقطع عليهم الطريق فلا يهربون .

أبانوفر : لا ، لا .

مارتا : اذا استولينا على جناح الشاطيء حصرناهم في البرج .

أبانوفر : هناك مفاوضات لتسليم القصر .

مارتا : مفاوضات ؟ مفاوضات ؟ اقتلوهم عن بكرة أبيهم .

أبانوفر : لا يامارتا . ربما انضموا إلينا .

مارتا : لسنا بحاجة إليهم .

أبانوفر : سنحتاج للأسطول .

مارتا : الاميرال معهم ؟

أبانوفر : نعم . دقيانوس تحرك من اللاذقية منذ أسبوع . معه

مائة قطعة . دقيانوس بشخصه يقود الحملة .

(الجمع يهيج .. لفظ .. هتاف : « يسقط الطاغية .

يسقط السفاح » - مارتا تشير لهم بالهدوء) .

أبانوفر : ماركوس سكستوس معه عشرون قطعة . اذا انضموا

إلينا ربما منعنا الحصار .

مارتا : كما ترى .

أبانوفر (متطلعا الى وجهها في حنان بالغ) : : مارتا : .. عيناك : :

مارتا (تحول عنه وجهها) : نعم يا أبانوفر

أبانوفر : ملتهبتان .. اكنت تبكين ؟

مارتا : (تمسح عينيها بكمها) لا ، لا .

أبانوفر : أنت متعبة يامارتا .

مارتا : نعم ، نعم .

أبانوفر : يجب أن تستريحى .

مارتا (جانبا بصوت هادىء غامض) : الراحة الكبرى (لأبانوفر)

بعد النصر نستريح .

أبانوفر : فيلامون واينب عند البرج ، الحقى بهما ، فليقاتل الشعب

مع الجيش .

مارتا : وموضوع فيلامينة ؟

أبانوفر (تاضبا) : قلت لا شفاعة للخونة .

مارتا (تحاول تهدئته) : فيلامينة بنت مجنوننة .

أبانوفر : ستحاكم محاكمة عادلة .

مارتا : تتركها للرعاع ؟ سيمزقونها اذا قبضوا عليها .

أبانوفر : قلت ستحاكم بالعدل .

أريوس : لا تدافعي عن مجرمة . .

مارتا : انا اطلب لها الرحمة .

أبانوفر (في قسوة) : العدل فوق الرحمة .

مارتا (تنهد) : الحب أعمى يا أبانوفر .

أبانوفر : نعم ، نعم ، الحب أعمى يامارتا (يصيبه أعياء ويترنج

فيخف اليه أريوس ويسنده من ساعده)

مارتا (في لهفة) : مالك ؟ ماذا أصابك ؟

أريوس : أنت مريض يا أبانوفر .

أبانوفر : لا ، لا ، مجرد وعكة .

أريوس : وجهك شاحب .

مارتا (تضع يدها على جبينه) : جبينك ملتهب . أنت محموم

(تمسح عرقه)

أبانوفر (يفتق ويعتدل) : نعم يا مارتا . الحب أعمى . الحب

أصم . الحب أبكم . الحب لا يعي ولا يفهم إلا نفسه .

(يصرخ) هكذا حبي لمصر . . انه أعمى وأصم وأبكم . انه

لا يعى ولا يفهم الا نفسه . فيلامينة هربت الى معسكر
الاعداء . لا رجعة للخونة .

مارتا : فكر في اخيها المسكين .

ابانوفر : كفى . كفى .. هيا .. هيا .

(تخرج مارتا وجماعتها من الباب الأيسر ، يتفرد ابانوفر
وآريوس . ابانوفر يعود اليه الاعياء ، يكاد يتهافت ، فيسنده
آريوس) .

آريوس (بصوت عال) : طيب ! طيب ! الينا بطيب .
(تحدث حركة عند الباب الايمن . رأس يطل ثم ينصرف لتلبية
النداء)

ابانوفر (فى حزن) : لا ، لا . ان مابى لاينفع فيه طب ولا يرجى
منه شفاء .

آريوس : ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

ابانوفر (يشير الى قلبه) : قلبى . قلبى

آريوس (بصوت عال) : طيب ! طيب !

ابانوفر (يضحك ضحكا عصبيا) : هذا جنون . جنون . جنون .

آريوس : ماذا ؟ .. تكلم .

ابانوفر : انت لا تفهم . لا تفهم . لن تفهم .

آريوس : ماذا ؟ .. تكلم

ابانوفر (يتجول فى الغرفة محملا فى الفراغ ومشيرا الى السقف
والاركان) : الشيطان ! الشيطان ! انظر ! انظر !

آريوس (مبهوتا) : ماذا دهاك يا ابانوفر ؟

ابانوفر : الا تراه ؟ انه هنا .. يسبح في الهواء .. هنا .. يقبع في اركان الغرفة .. هنا .. يلبد في السقف . الا ترى ؟ (يمسك عباءته) ههنا .. في هذه العباءة . في هذه العباءة (مشيرا الى الباب الأيسر) لا ، لا .. انه خرج ، خرج من الباب .

آريوس : أنت محموم . تماسك . سيأتي الطبيب بعد قليل .

ابانوفر (يضحك ضحكا أجوف) : تعال يا بني ..

آريوس (يقترب منه) : أتريد شيئا ؟

ابانوفر : هل اعطوك في الدير سر الاعتراف ؟

آريوس (عاجبا) : نعم . لماذا تسأل ؟

ابانوفر : لا بأس . أنت أصغر منى بعشرين سنة . ولكن .. لا بأس .. لا بأس .. تعال اعترف على يدك .

آريوس (متراجعا) : ابانوفر !

ابانوفر (متلعثما) : تعال .. نصل من أجل مارتا .

آريوس : نعم .. انها تستحق الصلاة (يتمتم) .

ابانوفر : لقد عرفت رجالا كثيرين (يتمتم)

آريوس (ينظر الى السماء) : رحمة الله واسعة .

ابانوفر : اثبت مكانك (يجثو امامه) .

آريوس (ذاهلا) : ابانوفر .

ابانوفر : صل من أجلى يا ولدى .

آريوس : ابانوفر !

ابانوفر : نعم ، نعم ، ابانوفر عاشق .. هل سمعت ؟ عاشق .
انا عاشق .. انا احب مارتا ، منذ رايتها في قصر آخيل .
اتذكر كيف رقصت امام آخيل ؟ (في الم) امام قسطنطين ؟
جسدها .. كان يتلوى كالحية . الايقاع . الايقاع .. اتذكر
الايقاع ؟ عطرها .. ايقظ جسدي .. كالف وردة حمراء ،
لا ، لا . انها فتنة . كالف حية تلتف حول جسدي . تهصره .
تهصره . تهصره . لم أعد أصلى يا ولدي (ينظر الى الخاتم
في بُنصره الأيسر) يا مريم .. عفوك عميم .. (يجهنس
بالبكاء)

آريوس : يا الهى ! لعنة البطريك !

ابانوفر : لعنة الكنيسة !

آريوس : انهض ، انهض يا ابانوفر (ياخذ بيده وينهضه) هل
بحت لمارتا بشيء ؟

ابانوفر (مطرقا) : لا . انها تجهل كل شيء .

آريوس : انت تخون عهدك مع الله .

ابانوفر : سأخلع مسوح الرهبان .

آريوس : لا . لا . لا تياس من رحمة الله . اترك كل شيء . اعتكف
في الدير ، وصل كثيرا .. كثيرا .

ابانوفر : اترك كل شيء ؟ محال . لا بد من انجاز ما بدانا .

آريوس (مطرقا) : نعم . نعم .

(يظهر فيلامون في الباب الأيسر)

**فيلامون (في مظهر الحائر) : رسول من عند دقيانوس ، يطلب
أباتوفر .**

أباتوفر : دقيانوس !

فيلامون : هكذا يقول .

أباتوفر : هل فحصت أوراقه ؟

فيلامون : أييب فحصها .

أباتوفر (يمشى خطوات) : أسأله يا آريوس عما يريد .

فيلامون : هو يطلبك شخصيا ياأباتوفر .

أباتوفر : اعطوه الأمان . اسطول الرومان . هل وصل ؟

فيلامون : لا شيء في الاتفاق .

آريوس : خديعة . . اطرده . اقبضوا عليه .

أباتوفر : لا ، لا . اعطوه الأمان . اذكروا حرمة الرسول .

آريوس : لا شك انه يهدد ويتوعد .

أباتوفر : لماذا لم يذهب الى أخيل ؟

(يدخل ضابط روماني . فيلامون ينتظر بالباب)

الضابط : من منكما أباتوفر ؟

أباتوفر : أنا هو .

الضابط (يخرج من ثيابه رسالة مختومة يفضها أباتوفر) : مولاي

الامبراطور ينتظر الجواب .

أباتوفر : ابن مولاك الامبراطور .

الضابط : اسطول روما ينتظر خارج الميناء .

أريوس : كذب . كذب . لا شيء خارج الميناء .
الضابط (بأدب) : وراء الأفق ياسيدى الراهب .

أبانوفر (يقرأ على مهل بصوت مسموع) :

« من دقيانوس امبراطور روما العظيمة الى الحبر التقى
أبانوفر :

سلامنا اليك ، وسلام الرومان الى المصريين . أما بعد ،
فقد انتهى الينا ما يدور في نفوسكم من قلق وتدمر ، وأحاط علمنا
بما تزرع تحته مصر العزيزة ، جوهرة الامبراطورية ، من الظلم
والظلم . فليعلم المصريون أن عدالة روما لا تنام ، وان لها
سيفا مسلولا لن يعود الى غمده حتى يعود لكل ذى حق حقه ،
ويعبد كل ربه في سلام .

وقد تأكد لنا أن مشاكل أبنائنا المصريين المخلصين للامبراطورية
المجيدة لا يدركها الا مصرى من أهل البلاد . ولما كنت يا أبانوفر
موضع ثقة شعبنا العزيز في مصر ، فقد عزلنا ابن روما الظالم
العاصى دومتيوس دومتيانوس ، الشهير عندكم بأخيل ، ورأينا
أن تقيمك مكانه واليا على الاسكندرية ومصر كلها ، بشرط تسليم
هذا الخائن وحاشيته المتمردة وكل من اشترك في اغتيال خادمنا
الأمين روستيكان لعدالة روما ، وبشرط أن يستقر الأمن في ربوع
مصر العزيزة . فان كنت بحاجة الى يد ضاربة فأسطولنا ينتظر
خارج الميناء رهن اشارتك » .

أريوس : اذن . . الاسطول وصل !

أبانوفر (يقهقه في سخريه) : الماكر ! الماكر ! دقيانوس الماكر . انه
يساوم .

أريوس : قلق . تدمر . انه لا يعترف بالثورة . انه يتكلم كأنه
لا يزال سيد البلاد .

أبانوفر : انه يرشونى يا آريوس ! ها ! ها ! ها ! سلم . . نجعلك
واليا على مصر ! ها ! ها ! ها !

الضابط : مولاي الامبراطور لم يذكر التسليم .

أبانوفر : هذا افظع . . مولاك يطلب منى الخيانة . . ان انضم
اليه وافتك بالوطنيين . . حتى يستقر الامن فى ربوع مصر
العزيزة . .

الضابط : اليس هذا ما يطلبه المصريون ؟ ان يحكمهم مصرى ابن
مصرى ؟

أبانوفر (فى تهكم مآكر) : ماذا تكتب يا آريوس ؟

آريوس (يدرك تهكمه) : نجيبه الى طلبه .

أبانوفر (كأنه يملى) : اكتب يا آريوس : الى سيدى ومولاي وتاج
رأسى دقيانوس العظيم ، قيصر المشرق وامبراطور العالمين .
باسم مصر المذنبه اقبل طرف ردائك . . لا ، لا ، لا . لا يكفى .
اقبل موطىء قدميك (يتفجر ضاحكا) ها ! ها ! ها ! ها !

الضابط (غاضبا) : أنت تسخر من مولاي الامبراطور .

أبانوفر (مهدئا) : لا تفضب . لا تفضب .

الضابط : اذن أنت ترفض .

أبانوفر (يملى بلهجة جادة) : اكتب يا آريوس ، قل : ان الامن
مستتب فى ربوع مصر العزيز ، تحت راية مصر العزيزة ،
ان الاسكندرية كلها تهتف : عاش الامبراطور آخيل ، وأبانوفر
ايضا يهتف : عاش الامبراطور آخيل . اكتب ان آخيل
اختاره المصريون فلا يعزله الا المصريون . اكتب . . ان فى
مصر قضاء نزيها يحاكم قتلة روستيكان . . لا تنس ان تقول
ان ابانوفر راهب مسكين فقير الى الله لا يطمع فى شىء من

متاع الدنيا (بعض شفته) أقصد . . لا يطمع الا في ملكوت
الله (يجملق في آريوس ويقول بمرارة) اليس كذلك يا آريوس؟
(ينصرف آريوس الى الباب الايمن) آريوس ! ابدا الرسالة
من مصر المستقلة المحبة للسلام (يخرج آريوس)

(يدخل من الباب الايمن اثنان من النوتية وجندى مهرولين
صائحين : « أسطول روما ظهر في الأفق . أسطول روما »
فيشير لهم ابانوفر بالهدوء)

الضابط (محذرا) : فكر جيدا يا ابانوفر .

ابانوفر (مزمجرا) : هل أنت مكلف أيضا بالتهديد ؟

الضابط : لا ، لا . ولكن مولاي الامبراطور يجب السلام .

**ابانوفر (بلهجة تحذ شيطاني) : قل لمولاك الامبراطور : اذا كان
يريد أخيل فليأت بنفسه ويأخذه (يخفف لهجته) لا ، لا .
قل لمولاك أن يعود الى بلاده ان كان يحب السلام .
يا رجال !**

(يبادر اليه من البابين جمهرة من الجنود والمدنيين المتحمسين)
الى البرج ، الى البرج . . وراء فيلامون (تخرج الجماعة
وهي تنشد « المجد لك يا فرعون . . » يدخل آريوس حاملا
صحيفة وريشة . يتمعن في الصحيفة ثم يتناول الريشة
ويوقع وهو يهمهم : « جميل . . جميل » ويسلمها للضابط
الرسول . (مخاطبا آريوس) أخرج معه يا آريوس . اياك أن
يتعرض له أحد (يخرج آريوس والضابط الروماني من الباب
الايمن . ابانوفر وحده يخاطب نفسه) مارتا على حق .
لا مفاوضات . اليوم ترفع راية مصر على برج القصر .

(تدخل مارتا من الباب الايسر . وتمشى الى ابانوفر في هدوء
غريب)

مارتا (في استحياء) : أبانوفر ، يا ابتاه !

أبانوفر (يحنان) : مارتا !

مارتا : باركني يا ابتاه .

أبانوفر : ماذا أرى على وجهك ؟

مارتا : أترى شيئاً ؟

أبانوفر (عاجباً) : نعم ، هالة من ضياء .

مارتا (متهللة) : هذه نعمة ربي .

أبانوفر (عاجباً) : أكنت تصلين ؟

مارتا : باركني يا ابتاه .

أبانوفر (يتسبح بوجهه عنها وهو يتعذب) : ياركك الله . برحمته
يبارك الأخطاء .

مارتا (في خجل) : نعم ، كنت أصلي ، لماذا تتفر مني ؟

أبانوفر (يتعرس في وجهها) : ما هذا الهدوء الغريب ؟

مارتا (كالحالة) : أرى النور .

أبانوفر : أي نور ؟

مارتا : أنا سألتها . .

أبانوفر : سألت من ؟

مارتا : العذراء . طبعاً العذراء . ألا تفهم ؟ رأيتها وسألتها .

أبانوفر : أنت . رأيت . . العذراء ؟

مارتا : نعم . . رأيت العذراء .

أبانوفر (يتشكك في عقلها) : أين ؟ أين ؟

**مارتا : منذ هنيهة . أغفيت ثم صحت . ألم تقل أتي متعبة ؟
ألم تقل يجب أن تستريحى ؟**

أبانوفر : نعم ، هذا ما قلت ..

**مارتا : وهذا ما فعلت .. خرجت الى حديقة القصر لاستريح ،
وهناك رقدت تحت شجرة التين وأغفيت ، وفي نومي رأيت
العذراء .. فى رداء أخضر .. لماذا تعلموننا الخطأ ؟**

أبانوفر : فى رداء أخضر ؟

**مارتا : نعم ، لم تكن فى رداء أزرق كما تقولون .. كانت فى رداء
أخضر ، وكان فى جبينها هلال ، عليه ثلاثة نجوم .**

أبانوفر : هذه ليست العذراء .

مارتا : هل رأيت العذراء ؟

أبانوفر : لا ، لا ، فى الصورة فقط .

**مارتا : أنا رأيت العذراء ، وكانت فى رداء أخضر ، تبسم وتوميء
لى . أشارت لى أن اقتربى .**

أبانوفر : وهل قالت شيئاً ؟

مارتا : فاقتربت وسألتها : هل فات الأوان ؟

أبانوفر : الأوان ؟ أى أوان ؟

**مارتا : فأجابت : لا . سألتها : هل هناك أمل ؟ فأومأت وهى تبسم
قائلة : نعم ، نعم .**

أبانوفر : عم تتحدثين يا مارتا ؟

مارتا : العذراء قبلت توبتى .

أبانوفر (يلوح بيديه أمام عينيها كأنها نائمة يريد إيقاظها) : سحر .
سحر . أنت مسحورة يامارتا .

مارتا (بصوت مجلجل) : العذراء قبلت توبتي (تخفض صوتها)
رفعت أصبعها الى السماء وقالت : ولدي ، ان عفا عفوت ،
وان عفوت عفا . فركعت أمامها وقبلت طرف ثوبها .

أبانوفر (في حيرة) : تباركت يا رب .

مارتا : فلما سألته ..

أبانوفر (في حيرة) : أنت .. سألته ؟

مارتا : نعم . جاء وسألته .. الا تصدقني ؟

أبانوفر : نعم ، لا ، لا ، اقصد نعم ، نعم .

مارتا : من الأعلى جاء ، وانحنى ، وأخذ بيدي قائلاً : انهضى ' انهضى ! من أجل المجدلية مغفورة لك خطاياك .

أبانوفر (مرتاعا كمن يرى الشيطان) : المسيح !

مارتا (بفخر) : انه الآن سيدي ومولاي .!

أبانوفر (في ارتباك) : مارتا ! هذا تجديف !

مارتا (تبتسم في هدوء) : اتعرف من كان يشبه ؟

أبانوفر : حذار يا مارتا ! حذار !

مارتا : كان يشبه الامير قسطنطين . عيناه زرقاوان من زرقاة الفدير . ذوائبه الشقراء تدلت على كتفيه . لحيته الذهبية كأمواج الذهب . خيل الى اني اخاطب الامير قسطنطين . قلت مبهورة الأنفاس : يا سيدي ! لماذا لم تتجل لي قبل الان ؟ منذ أن وقعت عليك عيني اضاء الحب في قلبي كما

يضىء البرق حالك الظلمات . فلما فارقتنى شهدت اللبالي
وطال بكائي وفرحت عيناى . فهل تقبل هواى يا اميرى
الجميل ؟ . فابتسم وريت على يدى واجاب: ان قبليت خاتمى
هذا فانت عروسى . قلت : ومنذ الآن انت سيدى ومولاى .
انظر (تريه يدها اليسرى) اليس جميلا هذا الخاتم ؟

ابانوفر (يحماق فى يدها مئذوها فلا يرى الخاتم) : اى خانم !
انا لا ارى شيئا ! ماذا تعان يا مارتا ؟

مارتا (كمن يفيق من حلم) : ابانوفر . . بعد ان نستولى على
القصر . . سادنا الدير .

ابانوفر : ماذا تقولين ؟

مارتا : سادخل الدير !

ابانوفر : انت ؟

مارتا : نعم انا !

ابانوفر (فى ضحك هستيرى) : ها ها ها ها ! مارتا فى الدير !
ها ها ها ها . . ارتا فى الدير . اظنك ستذهبين الى الدير
ببداة الرقص ومعك آلات الطرب وفرقة الراقصات! (مقطبا)
هذا تجديف . تجديف . نجديف . هل تفهمين ؟

مارتا : لا . لا . لا .

ابانوفر : اتظنين الدير كمعد ابزيس ؟ هل نسيت من انت
يامارتا ؟

مارتا (تحاول ان تررع امامه فيمنعها) : ساعدنى يا ابتاه .

ابانوفر (وهو ينهضها بيده) : لا . لا . لا تعترفى . ذنوبك كثيرة
عدد رمال البحر ، بعدد نجوم السماء ، لا تعترفى . لافائدة

سأصلى من أجلك . هذا كل ما أملكه . ماذا دهاك
يامارتا ؟

مارتا (تنهد) : الحب يا أبانوفر !

أبانوفر : الحب ؟ وأي جديد في هذا ؟ أنت ولدت بمعبد الحب
(يمسح شعرها برفق اختلط فيه الحنان والاشتهاء)
تغمضين عينيك على الحب .. تفتحين عينيك على الحب .
أنفاسك من أنفاس الحب .

مارتا : لا . لا . لا تذكرنى بأثامى . هذا شيء مختلف .

أبانوفر : سئرى .. سئرى .

مارتا : من أول نظرة أحببته يا أبانوفر !

أبانوفر (فى لهفة) : من ؟

مارتا : قسطنطين .

أبانوفر (يتراجع) : قسطنطين !

مارتا : لا تتركنى ..

أبانوفر : مارتا !

مارتا : من أول نظرة .. عرفت .. انى أسيرة هواه . كم بكيت
وبكيت ، حتى جف الدمع فى عيني ، وأشواك الندم نبتت فى
قلبي .. أدمتني كالحراب . أصلى للمسيح فأرى وجه
قسطنطين !

أبانوفر : كفى ، كفى .

مارتا : ثم حل فى نفسى سلام غريب . خرجت من هذا الجحيم .
حبه طهرنى . لم أعد أفكر فى جسدى . أتعرف بماذا نحس
حين نخرج فى الليل بعد انقضاء المطر ؟ هكذا انتعش

جسدى .. وانتعشت معه روحى . عرفت أن دموعى غسلت
ذنوبى عرفت أن الله قبل توبتى : فنذرت نفسى للمسيح بعد
أن ينتهى القتال .

أبانوفر : كفى . كفى ياساقطة .
مارتا : أبانوفر !

أبانوفر : أنت لا تحبين المسيح . أنت تحبين قسطنطين .
مارتا : أنت غاضت يا أبانوفر !

أبانوفر : هذيان . هذيان . قسطنطين فى بيزنطة . أمير الأمراء .
وأنت هنا ..

مارتا : قلها .. أميرة البغايا .. أعرف انه عال كالسحاب ، بعيد
كالسراب ، طاهر كثلوج الجبال . لهذا هدأت نفسى . وهذا
سر سعادتى . لأنى أحب بالروح لا بالجسد . هل فهمت
الآن ؟

أبانوفر (برفق) : هيا .. هيا ، عودى الى الجماعة .. سأصلى
من أجلك يا مارتا (تخرج مارتا من الباب الأيسر تشيعها
حشرجة أبانوفر) كل شىء الا الدير ! كل شىء الا الدير !
(يدخل أيب وفيلامون من الباب الأيسر ثم القواد : ديوجين
وبومبيان وسويروس وجماعة من الضباط الرومان ، وفى
وسطهم فاوستينا وفيلامينة . أحد الضباط يحمل علما
رومانيا)

أبانوفر : السيدة فاوستينا ! (ينحنى بتهكم) .

فاوستينا (فى غضب وكبرياء) : أيها المصرى القدر (لفظ)

ديوجين (يتدخل) : لاداعى ياسيدتى .

فاوستينا : صمتا أيها الخائن .

سويروس : أنت الآن على أرض مصرية يا فاوستينا

فاوستينا (بتأفف) : سويروس بطل جاليا .. يسلم القصر (تفطى وجهها بكفها) بالعمار! (منتفضة) خونة... كلكم خونة .

ديوجين : أنت مازلت زوجة أخيل يا فاوستينا .

أباتوفر : دعوها تفرج عن غضبها .

فاوستينا (باحترار) صنيعة المصريين ، أنا لم أعد زوجتسه . ستجرون جميعا في موكب النصر في شوارع روما . ستقطع دءوسكم . وأنت أيها الراهب القدر ، ستصلب على طريق كابوا مع العبيد وقطاع الطرق وتنهش جثتك الطيور .

أباتوفر : لا بأس . لا بأس (مخاطبا الجماعة) : هل اتفقتم ؟

أييب : القائد ديوجين .

أباتوفر : مرحبا . مرحبا يا سيدي بومبيان . (بومبيان ينظر اليه في استعلاء ولا يجيب)

فيلامون : والقائد سويروس .

أباتوفر : من لا يعرف البطل سويروس ؟ هل اتفقتم ؟

أييب : على كل شيء .

فيلامون : والعلم المصري يرفرف الآن على البرج .

أباتوفر (يدور حولهم ويتفحصهم بنظرة مستفهمة) : اذن قبلتم .

ديوجين : نعم قبلنا .

أباتوفر : ستذهب فورا الى أخيل .

ديوجين : الى أخيل ؟ لا أنا باق هنا مع رجالي .

- بومبيان : ورجالى يدافعون عن القصر .
- أباتوفر : لا ، لا ، الرومان يذهبون الى آخيل .. فوراً .
- ديوجين : قلت أنا باق هنا مع رجالى .
- أباتوفر : وأنا قلت رجالى يدافعون عن القصر .
- بومبيان (متهمك) : رجالك .. لا تحدثنا عن رجالك . جماعات
من الفوغاء يحملون المدى والبلاطى ..
- أباتوفر (هائجاً) : ومع ذلك هزموكم .. لن أسمع .. لن أسمع
(يحدث اضطراب بين الحاضرين)
- فيلامون : اهدأ يا أباتوفر . سيدى ديوجين على حق .
- أباتوفر : اسكت . أنت قاصر .
- أييب (يتدخل) : الحصار بدأ يا أباتوفر ، هذه ليست معركة
للمدنيين .
- أباتوفر : عرفنا .. عرفنا . حصار أو لا حصار ، لا بد من تغيير
القيادة .
- بومبيان : نحن لسنا أسرى يا أباتوفر .. نحن جئنا ..
- أباتوفر : باختياركم .. نعم .. نعم (يفكر)
- سويروس : نحن رومان . دقيانوس خرج على روما فخرجنا نحن
على دقيانوس .
- أييب : سيدى ديوجين على حق .
- أباتوفر : سلم العلم يا سويروس .
- بومبيان : لا .. علم الرومان يبقى فى يد الرومان .

سوريوس : لسبنا أسرى ، نحن انصار .

أبانوفر : انصار . انصار . نحن هنا رعايا . . كلنا رعايا لآخيل
امبراطور الاسكندرية .

ديوجين : فليكن . . فليكن . . لن نضيع الوقت في الجدل .

سوريوس : آخيل سيد البلاد . سلمه العلم بنفسى .

أبانوفر . وابن الباقون ؟

ديوجين : ابحروا الى دقيانوس . .

أبانوفر : ابحروا الى دقيانوس ؟ ماذا اسمع !

فيلامون : نعم ، ابحروا الى دقيانوس

أبانوفر : كم عددهم ؟

فيلامون : ارمان وروفينوس وعشرة ضباط وثلاثمائة جندي .

الباقون في البرج .

أبانوفر (غاضبا) : لماذا لم تقبضوا عليهم ؟

بومبيان (ساخرا) : تقبض عليهم ؟ انهم رومان . احرار . اختلفنا

في الراى . . هم يخدمون روما تحت راية دقيانوس ، ونحن

نخدم روما تحت راية آخيل .

أبانوفر (نائرا يتجول في الغرفة) : الأفاعى . . الأفاعى . . مارتا

كانت على حق . . رومان يخدمون روما . . تحت راية آخيل

(مهددا بقبضته) ايبب ! فيلامون ! اقبضوا عليهم . ليس

هنا رومان . آخيل نفسه يخدم مصر تحت راية مصر . .

بومبيان : خديعة ! خديعة ! نحن أسرى !

(الضباط الرومان يبادرون الى سيوفهم فيشهرونها)

أييب (هادئا) كل سيف في غمده . أنت جاد الطبع يا أبانوفر .

أبانوفر (يقدر الموقف رائحا غاديا) : عفوا . عفوا . أييب

أييب (يتقدم) : نعم يا أبانوفر .

أبانوفر : استطيع أن تدافع عن البرج ؟

أييب : بالمدينين ؟

أبانوفر : حتى يأتي آخيل ..

أييب : متى ؟

أبانوفر : هو في طريقه إلنا .

أييب : نعم . أستطيع .

أبانوفر : وأنت يا فيلامون . أنت تدافع عن الشاطيء . عن واجهة

القصر (لأييب . وفيلامون) اجلوا الرومان عن القصر .

المصريون يدافعون عن الساحل والرومان ينسحبون الى

الداخل . لا يبقى في رأس التين الا المصريون . هذه أوامر

تنفذ بمنتهى الدقة . من يقاوم اذبحوه . مزقوه .

سويروس : اسمع يا أبانوفر : أنت جاهل . أنت لا تفهم شيئا في

فنون الحرب . ألا تعرف أن الروماني الواحد بخمسة

مصريين ؟ تحمل المسئولية . ستسقط الاسكندرية بعد

أسبوع واحد من الحصار . ولولا أننا نقاوم الطاغية دقيانوس

لكان لنا معك شأن آخر . أنت تنسى أنك رجل مطارد ..

أليس هناك أمر بالقبض عليك ؟ نحن لا نتعرض لك في هذا

الوقت الحرج لأنك رجل .. مفيد .. حرصا على شعور

الفوغاه .

أبانوفر (في ملاطفة) : لا تفضب ياسيدي القائد سويروس
افهم الموقف . . انها الضرورة .

سويروس : أية ضرورة ؟

أبانوفر : فلنتكلم بصراحة . أنتم رومان ونحن مصريون، أنتم حلفاء،
ولكنكم . . رومان . . ربما اختلفتم الآن مع دقيانوس ،
ولكن غدا . . ربما اصطلحتم مع دقيانوس . كيف اترك
القصر في أيديكم ؟ لا القصر ولا أسوار المدينة . القصر
والأسوار في يد المصريين .

سويروس : باختصار . . هل نحن أسرى ؟

أبانوفر : لا ، لا . . (معاتبا) أنت شكاك يا سويروس (بعد له
يده) كلمة شرف . . من شرف مصر . خذ الحامية الرومانية
وانسحب بها الى قصر أخيل . . وهو يتصرف بك كما
يشاء . ربما طلب اليك أن تدافع عن القصر الملكي . . أو
عن قلب المدينة . كل شيء الا الشاطئ والأسوار . هل
رأيت ؟ أنت حر طليق . أنت ورجالك . لا تتحدث اذن عن
غدر المصريين . قلت كلمة شرف . اترفض يدى ؟

سويروس (غاضبا) : نعم . . أرفض يدك .

ديوجين : بوميان كان على حق .

سويروس : لا ، لا . أخيل سيضع كل شيء في نصابه (بهم .
الرومان بالخروج)

أبانوفر : ديوجين . قبل أن تذهب . اتعرف دقيانوس ؟

ديوجين : نعم .

أبانوفر : شخصيا ؟

ديوجين : شخصيا . لماذا تسأل ؟

أبانوفر : أتعرف انه ماكر ؟

ديوجين : ربما ..

(فيلامون يقترب منه ويهمس في أذنه)

أبانوفر : قل لسيدك آخيل (يفكر) لا داعي .. لا داعي .. هيا
انطلق قبل أن ينصب حولك حباله (يهمون بالانصراف)
سيدتى فاوستينا تنتظر ..

(ينصرف الرومان وأيبب من الباب الأيسر . يهم فيلامون
وفيلامينة بالانصراف فيستوقفهما أبانوفر . يسمع تغير)

أبانوفر : لحظة يا فيلامون ..

فيلامون : تحت أمرك ..

أبانوفر : في طريقك .. سيدتى فاوستينا .. ضمها مع أسرى
الحرب .

فاوستينا (تبصق احتقارا دون أن يخرج لعاب)

أبانوفر (بهدوء) : هي رومانية .. وسنمنحها امتيازات الأعداء .

فاوستينا (تشير بيدها احتقارا)

أبانوفر (بتهمك) : وإذا استمرت في احتقارنا فسنعاملها معاملة
المصريين .. الخونة .. لا تنس انها زوجة آخيل ، وآخيل
الآن .. مصرى .

(يهم فيلامون بالخروج مع فاوستينا من الباب الأيسر .
فيلامينة تتبعهما)

أباتوفر (يستوقفها) : الى أين يا فيلامينة ؟

فيلامون (قبل أن يختفى) : اتركها في حراستي .

أباتوفر : هيا انصرف (يختفى فيلامون) .

فيلامينة : أنا أتبع أخى .

أباتوفر (جادا) : هذه حكمة .

فيلامينة : اتركنى الحق بأخى .

أباتوفر (متهكما) : من علمك هذه الحكمة ؟

فيلامينة : اتركنى اذهب .

أباتوفر : هل علمك أرمان درسا في حب الوطن ؟

فيلامينة (في تحد) : أنت مخطيء يا أباتوفر ، أنا أردت اللحاق

بأرمان . ولكن الجنود ثاروا وقالوا : لا نساء في السفينة .

أباتوفر : آه .. هذا هو السبب (يتنهد في تهكم) الحب .. دائما

هو السبب .

(يدخل أخيل ومعه مائيتون وحرس . أباتوفر ينحني

محييا وفيلامينة تحيي)

أخيل . (مبتسما) اسمع كلاما عن الحب .

أباتوفر (متهكما) : مولاي الامبراطور . فيلامينة بنت شجاعة

فيلامينة تعترف .. ستعترف أمام المحكمة (بلهجة قاسية)

بالخيانة !

فيلامينة (في كبرياء) : نعم سأعترف . افعلوا ما تشاءون . أنت

تسمى هذا خيانة . متى كان الحب جريمة . أنا لا أفهم

في السياسة . قتال . قتال . قتال . لا أرى حولي الا القتال . مصر . روما . مصر . روما .. كل هذا لا يعنيني .. بعد أن هربنا ، اختبأنا في الكنيسة ، أرمنا قبل الصليب ، تناول الأسرار المقدسة : تزوجنا أمام الكاهن ، كنا نحلم بالأطفال . بأسرة سعيدة . بيتي هو عشي .. مملكتي ، وطني .. روماني ، مصري .. ماذا يهم ؟ هو انسان ، هو حبيبي ، وهو يحبني .. هذا يكفي ، يكفي ، يكفي ..

أبانوفر (بلهجة القاضي) : الحب ليس حبا الا اذا باركه الله ..
عدو الوطن عدو الله .

مانيتون : فيلامينة أخطأت .

أبانوفر : بالعدل ستحاكم .

مانيتون : لا ، لا . أنا أتمس حياتها من مولانا أخيل .

أبانوفر : قلت بالعدل ستحاكم .. أمام محكمة الشعب .. لتكون
عبرة للخونة ..

مانيتون : أبانوفر ! أتركها للرعاع !؟

أبانوفر (ينظر الى السماء) : أتركها للعدالة .

مانيتون : ربما كان لأخيل رأى آخر .

أبانوفر : رأى أخيل من رأى الشعب (أخيل رائج غاد يفكر في
امتعاض)

مانيتون : من يحكم البلاد؟ أبانوفر أم أخيل ؟

أبانوفر : الشعب يحكم البلاد .

فيلامينة (متهمكة) وأبانوفر يحكم الشعب (تتعذب في صمت
وكرامة) : افعل ما تشاء .. سأقف أمام الشعب وأصرخ

بأعلى صوتى : نعم . اقتلونى . أنا مجرمة .. وجريمتى هى
الحب ! الحب لا يعرف الأوطان . الحب لا يعرف الأديان .
الحب لا يعرف الأسما والارجوان . الحب لا يعرف ما
رسم الانسان . لانه من جوهر الرحمن .
أبانوفر : هيا خذوها ... (يدخل حارس . يهمس أبانوفر فى
اذنه)

الحارس : نعم . نعم . بالتأكيد .

أبانوفر : اتبعيه يا فيلامينة .

فيلامينة (تنظر اليه فى ارتياب) : الى أين ؟

أبانوفر : هو يعرف . لا تخافى ..

فيلامينة : سأنتظر مع مولاي أخيل .

أبانوفر : لا . لا . (أخيل يدير ظهره ويقف كالتمثال)

فيلامينة : سأنتظر حتى تأتى مارتا .

الحارس (يجذبها من ذراعيها) : هيا بنا

فيلامينة : لا ، لا ...

الحارس (يجذبها بخشونة نحو الباب الأيمن) : هيا بنا ...
هيا بنا ..

فيلامينة : فليكن دمي لعنة عليك يا أبانوفر .

أبانوفر (بصوت خائف حنون) : لا تخافى .. لا تخافى .

فيلامينة (مستغيثة وهى تخرج من الباب الأيمن) : مارتا !
مارتا ! مارتا !

(يتلاشى الصوت تدريجيا . تدخل مارتا على عجل من الباب الأيسر وقد بلغتها أصداء الاستغاثة . يثبت بصرها على الباب الأيمن)

مارتا : هذا صوت فيلامينة ..

أبانوفر : نعم .

مارتا : ماذا فعلت بالبنية ؟

أبانوفر : لا شيء .

مارتا : ولماذا تستغيث ؟

أبانوفر : لأنها ذاهبة الى السجن .

مارتا : أبانوفر !

أبانوفر : قلت كل شيء يجرى في عدالة .. لا تخافى .

مارتا (حائرة تفرك يديها) : اطلق سراح فيلامينة .

أبانوفر : دعينا من هذا .

آخيل (في برود) : هل انتهيت ؟

(مارتا تتنبه الى وجود آخيل فتحيى تحية عميقة قائلة

مولاي آخيل)

أبانوفر : لا . لا .

آخيل : تكلم .

أبانوفر : سيدتى فاوستينا .

آخيل (بحركة اضطراب) : أين هى ؟

أبانوفر : قبضنا عليها

آخيل (يخفي وجهه في راحتيه لحظة ثم يقول بصوت خفيض) :
أرسلها الى القصر الملكى .

أبانوفر : هى مع الأسرى .

مانيتون : أبانوفر ! انها لا تزال .. جلالة الملكة .

أبانوفر : لا ، لا . انها لم تحضر حفلة التتويج . رفضت تاج الاسكندرية . هربت للرومان .

مانيتون : انن سلمها لزوجها آخيل .

أبانوفر : نحن فى حالة حرب . مكانها مع الأسرى .

مانيتون (مهددا) : أيها اللعين ..

آخيل (فى ألم بالغ) : كفى . كفى . ابلغه الأخبار يامانيتون .

مانيتون : آخر الأخبار : حامية الرومان فى أبو صير استسلمت

للامير تادرس ، وحامية قفط استسلمت للامير تيماجين .

أربعون الفا استسلموا فى قفط وأبو صير .

أبانوفر : تباركت يا رب ! كل البلاد فى أيدينا . أخيرا تحقق ..

الحلم الكبير (يتمم بصلاة قصيرة)

آخيل : هل صحيح ما سمعت عن ديوجين وسويروس ؟

أبانوفر : صحيح .

آخيل : كيف تجلبهم عن البرج ؟ الا تعلم ان الاسطول ..

أبانوفر : نعم .. ولكنهم رومان .

مانيتون : لماذا لم تنتظر أوامر مولانا آخيل ؟

أبانوفر : وهل اتركهم لمساومات دقيانوس ؟

آخيل : ومن يدافع عن القصر ؟

أبانوفر : أييب وفيلامون .

مانيتون : برعاع الاسكندرية ؟

آخيل (لمانيتون) : دعه وشأنه . كل المدنيين يجلون عن القصر . سأقود الجيش بنفسى . هيا يا مانيتون . . هيا (فى عتاب ومرارة) أبانوفر ملك غير متوج (حارس يتفخ فى النفير عند الباب الأيسر ، ينصرف آخيل ومانيتون من نفس الباب)

مارتا : ابانوفر . . آخيل غاضب عليك .

أبانوفر (بعد اطراق) : ربما ، ربما .

مارتا : ماذا كان ينتظر ؟ انت تؤدى الواجب

أبانوفر : هو حائق بسبب فاوستينا .

مارتا : انه يفار من سلطتك .

أبانوفر : لا ، لا . سيشكرنى حين يعرف كل شىء . فلنشرب نخب النصر . (يملأ كأسين كبيرتين مصتوعتين من الفضة من اللدان القائمة فوق المائدة ويعطى كأسا لمارتا . يرفسع كأسه) فى حب مصر (يشرب) .

مارتا : فى حب مصر (تشرب)

أبانوفر (يشرب) فى حب آخيل .

مارتا (تشرب) : فى حب قسطنطين .

أبانوفر (يبدو عليه الألم . يشرب) : فى حب مارتا .

مارتا (تشرب) فى حب أبانوفر .

أبانوفر (يتنهد في حزن) أبانوفر الحزين .

مارتا (عاجبة) : وماذا يحزن أبانوفر ؟

أبانوفر (يشرب) : وهذه لمارتا .

مارتا (تشرب عاجبة) : وهذه لأبانوفر .

(أبانوفر يبتعد عنها . تتجول عيناه في الفراغ وفي السقف)

أبانوفر : انه يعود . . .

مارتا (لا تفهم) : من يعود ؟

أبانوفر : هو . هو . اغرب عن وجهي . هيا انصرف

مارتا (حائرة) : اتكلم أحدا ؟

(أبانوفر يحملق فيها)

أبانوفر : مارتا ؟

مارتا : مالك يا أبانوفر !؟

أبانوفر : هل أنت سعيدة ؟

مارتا : سعيدة ؟ نعم ، نعم ، لماذا تسأل ؟

أبانوفر (يبتعد عنها) : لا داعي . لا داعي . . .

مارتا (تقترب منه في عطف) : اتشكو من شيء ؟

(أبانوفر يحملق فيها ولا يجيب)

مارتا : لماذا تحملق في هكذا ؟

- أبانوفر (يمسك بدراعها في عتف) : اتعرفين ؟ . .
- مارتا (تصرخ ضاحكة وتخلص ذراعها) : انت تؤلمنى .
- أبانوفر : انك أبدع راقصة فى الاسكندرية ؛
- مارتا (مبنسمة) : صحيح ؟ أنا نسيت .
- أبانوفر : وأعظم فنانة ؟
- مارتا (تنهد فى عتاب) : اوه . . لا توقظ الماضى .
- أبانوفر : وأجمل امرأة .
- مارتا : أبانوفر !
- أبانوفر : وانك فى ثياب الرقص . . أجمل منك فى هذه الثياب . .
- مارتا : هذيان ! هذيان ! عم تتحدث ؟
- أبانوفر (يمسك وجهها براحتيه لحظة) كالياقوتة الحمراء تشع لهيبا فتوقظ الأحلام الحمراء .
- مارتا : لست أفهم . لست أفهم . الرقص . الفن . الجمال .
- أبانوفر الراهب يلتفت لهذه الأشياء ؟
- أبانوفر (مخاطبا الفراغ) : كاللحمة السوداء تنشر الليل المخيف فيفر أمامها الضياء .
- مارتا (غاضبة) : لماذا تذكرنى بالخطيئة ؟ هل نسيت ؟
- أبانوفر : ماذا ؟
- مارتا : انى سأدخل الدير !
- أبانوفر : مستحيل .
- مارتا : كيف تمنعنى ؟

أبانوفر : لن يقبلوك .

مارتا : الله قبل توبتي .

أبانوفر : ولكن الناس لن يقبلوها .

مارتا : سأهيم على وجهي في البراري .

أبانوفر (يمسك بذراعها) : وأنا سأهيم معك في البراري .

مارتا (مشتبهة في أمره) : ماذا تقول يا أبانوفر ؟

**أبانوفر : مارتا ! اسمعي . أريد أن أقول شيئاً (يتلفت حوله)
لك وحدك (يترك ذراعها) .**

مارتا : تكلم ..

أبانوفر : يجب أن تنهني ..

مارتا : سأفهم كل ما تقول .

أبانوفر (يشير الى قلبه) : أنا .. احبك ..

مارتا : ماذا تقول ؟

**أبانوفر : تعالي . اقتربي مني .. دعيني المس جسدك الجميل ..
دعيني أتنفس من أنفاسك (يأخذها بين ذراعيه ويقبل
ذراعها في كل موضع)**

مارتا (تفر منه غاضبة) : اليك عنى

**أبانوفر (مستعظفا) : لا تتركيني . لا تتركيني . ان تخليت عنى
انتهت حياتي .. أنت امرأة مجرية . عرفت الحياة .
عرفت رجالا كثيرين . أنا لم أعرف امرأة واحدة . هل
تفهمين ؟ هل تفهمين ؟ لم أعرف امرأة واحدة . رأيت ألف
امرأة ، ولم أحفل بواحدة .. حتى رأيتك ترقصين في قصر**

آخيل . عطرك أيقظ في نفسي شيئاً مدمراً . مدمراً كالإيمان
نعم .. الإيمان يدمر ، يأكل القلب . ينهش العقل ، يفري
الجسد . هكذا الخطيئة ، تدمر ، تدمر كالإيمان (يطاردها
ليحتويها بين ذراعيه) .

مارتا : اياك ان تقترب (ساخرة) ماذا تعرف عن الإيمان ؟ (تشير
الى قلبها) انه ينزل على القلب بردا وسلاما .

أبانوفر : تعالى بلا خطيئة ! بلا خطيئة ! من أجلك أخلع مسوح
الرهبان . سينتزوج . آه ! الحب ! من قال ان الحب
خطيئة ..

مارتا : ماذا تعرف عن الحب يا أبانوفر !؟

أبانوفر : علميني . علميني .

مارتا : أنت أوصدت أبواب الرحمة .. ثم تتكلم عن الحب ؟ اطلب
التوبة ، فتقول : لا غفران ! لا غفران ! فيلامينة تطلب العفو
فتقول : العدل فوق الرحمة !

أبانوفر (ينسى نفسه) : كلمة واحدة منك ترد لها الحياة .

مارتا : تعالوا .. اشهدوا .. أبانوفر .. البطل العظيم .. يساوم
على حياة خائنة !

أبانوفر (يطأطئ رأسه خجلاً) : اصفحى عنى .

مارتا : صفحت عنك ، فاصفح أنت عن الآخرين .

أبانوفر : نعم ، نعم . فى يدك خلاصى . فى يدك خلاصى .

مارتا : اهدأ يا أبانوفر .

أبانوفر : متى نتزوج ؟

مارتا : أنا اخترت حبيبى .

أبانوفر (في لهفة) : حبيبك ؟ من حبيبك ؟

مارتا : المسيح .

أبانوفر (نائرا) : هذا تجديف . انه قسطنطين ، باعاهرة .

مارتا (تعض شفقتها) : نعم ، قسطنطين . وانا فخورة بحبه ، جاء كالطيف ومضى كالطيف ، فخورة ، لان حبه الطاهر هداني الى الحق ، اما حبك الائم فيدفع بك الى هاوية ما لها قرار .

أبانوفر : العاهرة ! العاهرة !

مارتا (بصوت مجلجل) : تعالوا اشهدوا .. أبانوفر .. الراهب العظيم .. يتمرغ في الأوحال (تخرج نائرة من البسبب الأيمن)

أبانوفر (بعد لحظة صمت) : يا الهى ! ماذا فعلت ! ماذا فعلت ! (كمن يكلم نفسه) أنا خدمت الله .. خدمت الناس .. ولا اطلب الا حقى في الحياة !

(ستار)

الفصل الثالث

قاعة العرش بقصر آخيل ، امبراطور الاسكندرية ، أعمدتها فرعونية مذهبة التيجان ، البايان ، على اليمين وعلى اليسار ، فرعونيان عاليان يعلو كلا منهما العقاب حوريس ويحيط بكل منهما خطوط مذهبة . السقف نقشت عليه أبراج السماء نظير الأبراج الموجودة في معبد دندرة . شموع مشتعلة في أعواد اللوتس النحاسية تثير القاعة من كل الأركان . نافذتان جسيمتان في الصدر على يمين العرش وعلى يساره من زجاج مغلق عليه نقوش ملونة . العرش في الصدر عال ومذهب يرتقى اليه بدرجات كستها أبسطة حمراء من أنف الأرجوان . وفوق العرش علق تاج مينا ، تاج الوجهين : الأبيض والأحمر . قطع أثاث فرعونية قليلة مبثوثة هنا وهناك . وعلى يمين العرش جلست تفيته في رداء فرعوني وفي يدها قيثارة فرعونية جسيمة . وعلى يسار العرش جلست مارينا في زي يوناني وفي يدها قيثارة يونانية صغيرة . على حين يسمع صوت ناي حزين من قاعة الاحتفالات المجاورة ، تتخلله دقات طبل بعيد عميق حزين . هاتور جالسة على أريكة في زي فرعوني بيدها منديل تفركه في تفجع صامت) .

تفيتة (تنشد وهي تعزف) :

كلما ناحت مع اليليل الريح
غنت الطير أغانيها الحزينة
كلما أصبح في الدنيا صباح
غمغم الموج ونادى : فيلامينسة

مارينا (ترد عليها) :

ذكرياتي مثل أشجار الخريف
نفضت أوراقها روحى السجينة
ذوت الأحلام في قصرى المنيف
فبكت عيني وناجت فيلامينسة

تفيتسه :

ذوت الأغصان في روضة حبي
وبكى الورد بآمساك سخينة
لم يفن الطير في بستان قلبي
فبكى قلبي ونادى فيلامينسة

مارينسا :

يا بنات البحر ان غاب شراع
كل أحلامي على ظهر السفينة
أقلعت روحى بهسا دون وداع
فمتى ترجع روحى فيلامينسة

تفتيننه :

يا بنات النيل ان غاب القمر
أيقظوا بالدف عشاق المدينة
لن يرى البندر هزيع أو سحر
بعد أن ولى وغابت فيلامينة

هاتور : كفى يا بناتى .. كفى يا بناتى .. ما احيا البكاء ميتا
ولا أرجع فقيدا !

تفتية : لم يبق الا أمل واحد .

مارينا : ان يضرب أخيل .

تفتية : ضربة واحدة .

مارينا : فيريحنا من هذا الذئب المسيحي .

تفتية : بأمره ذبحوا فيلامينة .

مارينا : كما تذبح الحمامة الوديعه .

هاتور : قربان مقدس في هيكل الحب (تتجه الى الباب الأيمن
وتصفق مرتين وتنادى : « بخور ! » يدخل عبد حاملا
مجمرة يتصاعد منها البخور ويطوف بأرجاء القاعة
ثم ينصرف (هاتور تبتهل) ايزيس ! يامولاتى ! يا ذات الحجاب
قدسى روحها الطاهرة ، قدسى جسدها الممزق . اجمعى فى
الارض أوصالها كما جعت أوصال زوجك الحبيب . ارفعى
روحها الى السماء لتضىء كما تضىء النجوم .. بشفاعة
زوجك الجميل أوزيريس خنت أمتى ، ملك حاير وسيد
اهل القرب . آمين .

مارينا : استجب يا زيوس لدعاء افروديت .

تفئته : استجب يا بتاح لدعاء طفنوت الزهراء .

(يدخل آخيل ، امبراطور الاسكندرية ، في زى فرعونى ،
ولكن فوقه عباءة الملك الارجوانية ، يتبعه مانيتون وهو لا
يزال محافظا على زيه اليونانى ، وافريكان وايب و فيلامون
في زى فرعونى ، وسويروس وديوجين وبومبيسان في زى
رومانى ، تنحنى النسوة بالتحيّة حتى يمسن الأرض .
وينحنى الرجال عند جلوسه على العرش . آخيل يشير بيده
فيعتدل الرجال وتنهض النساء) .

آخيل (متسائلا بعد ان شم البخور) : فيم البخور ؟

هاتور : كنا نصلى يا مولاي .

آخيل (عاجبا) : في قاعة العرش يا هاتور ؟

هاتور : على روح فيلامينة يا مولاي

(آخيل يهز رأسه أسفا . فيلامون يخفى وجهه في راحتيه
يسود وجوم عميق)

آخيل : من منكم شهد المحاكمة ؟

هاتور : كلنا يا مولاي .

مانيتون (في نفس الوقت) : كنت هناك مع فيلامون

آخيل : ماذا تم ؟

مانيتون (جامدا لا يجيب وقد جحظت عيناه)

هاتور : تكلم يا مانيتون ..

مانيتون : ماذا اقول ؟

هاتور (تمشى فى القاعة كالسائر فى نومه المحدث نفسه) : كانت القاعة جرداء .. فى الثكنات .. فى معسكر قيصر .. صفت بها مائة أريكة خشبية . وسرعان ما تدفقت الجموع وامتلا المكان بالقوغاء الثائرين ، واختلط هدير الرجال بضحكات النساء الفاجرة وصراخ الصبية ، واختنق الجو بكسريه الروائح . وعلى المنصة جلس تسعة قضاة كأنهم تأسوع من الأبالسة خرجوا من بطن الجحيم : الفران والطحان والنجار والحمار والصيد والقواد والاسكافى والحوذى . ورأيت بينهم امرئ ساقى القصر الذى طردناه منذ عام يا أخيل ، وكان يرأس هذه العصاية التى يسميها ابانوفر محكمة الشعب .. (تسكت)

تفيتها : ولما دفع الجند فيلامينة فى قفص الاتهام رفع الرجال قبضاتهم مهددين وعلا صراخ النساء بأفحش السباب وبذىء النكات ، حتى احمر وجه فيلامينة واغرورت عينساها بالدموع . وابتسم امرئ ابتسامة الرضا ، ووقفت بفمى معروفة لا يجهلها رومانى ، اسمها توتا ، تمثل الاتهام . قالت ان الشعب يتهم فيلامينة بالخيانة لعظمى ثلاث مرات ، مرة لأنها تزوجت من الأعداء ، ومرة لأنها سهلت الفرار لواحد من الأعداء ، ومرة لأنها هربت معه الى معسكر الأعداء . وكانت فيلامينة تقف رافعة الرأس وتنظر الى الجمع باحتقار ووقف قس مسيحي يمثل الدفاع ، واخذ يتكلم طويلا عن رحمة الله وابنه المخلص ويقول كلاما غير مفهوم عن الزواج الذى يعقد فى السماء فلا يحله من فى الأرض . والقضاة يهزون رءوسهم كالبله ويتداولون . ثم وقف امرئ الساقى فساد صمت عميق . وقال بصوت جهير : « حكمت المحكمة بالاعدام على فيلامينة بنت أورى بن أنوب من حى باكوس وصيفة فاوستينا عدوة الوطن . » أما فيلامينة فرفعت

وجهها الى السماء ورسمت علامة الصليب . وخرج بها
الجنود بين تهليل الغوغاء وسخرية الرعاع .

هاتور : وفي الليل ذهبنا الى السجن لزيارتها فعلمنا انهم أجهزوا
عليها عند الغروب ، وأرسلوا جثتها الى أخيها فيلامون .
(كل الأتظار تتجه الى فيلامون الذي يقف جامدا كالتمثال
الشاحب وهو يتمتم : قضاء الله ! قضاء الله !)

تفيته (تغنى نفس اللحن ومارينا تعزف على الأوتار) :

غابت الشمس وراء الأفق .

أضرمت فيه حريق الشفق .

هكذا قلبي اكتوى من حرقى

منذ غابت فيه شمس فيلامينة .

مارينا : كلمة واحدة من الراهب كانت تنقد حياتها .

هانيتون : أبانوفر يردد كلمة واحدة كالبيضاء : العدالة . . الوطن .
العدالة . . الوطن .

بومبيان : هذا مصير فاوستينا يا أخيل .

أخيل . (يشيح بوجهه الما) : نعم . نعم .

سويروس : لابد من انقاذ سيدتى فاوستينا .

أفريكان : انها فى سجن النجمة .

بومبيان : رهينة .

أفريكان : لا . تنتظر المحاكمة .

سويروس : متى ؟ متى ؟

أييب : غدا .

آخيل : ما العمل ؟ ما العمل ؟

سوريوس : محال أن نتركها للغوغاء .

بومبيان : نخرج بمائة فارس وننقذها من السجن .

مانيتون : لتحاكم في بلاط آخيل ؟

سوريوس : فليكن . . لتحاكم في بلاط آخيل .

مانيتون : تدبر الأمر يا آخيل ، ربما قامت مذبحه .

آخيل (في لهفة) : بلا دماء ؟

سوريوس : سنحاول . سنحاول .

تفيتة (تلقى بنفسها على درجات العرش وهي تتعجب) : اقتله
يا مولاي .

آخيل : لا . لا (يأخذ بيدها وينهضها ويهدىء من روعها) : اهدئي
اهدئي يا تفيتة . اجلسي (تعود إلى مكانها) .

أفريكان : انه يصل ويجول في الاسكندرية كأنه ملك البلاد .

ديوجين : ويحكم في رأس التين كأنه ملك البلاد .

بومبيان : لماذا لا تقبضوا عليه ؟

آخيل : لا ، لا . لماذا لا نواجه الواقع ؟ هو فعلا ملك البلاد .

مانيتون : اذا قبضنا عليه قامت ثورة على العرش ، ونسى الناس
حصار دقيانوس على الاسكندرية .

ديوجين (مستنكرا) : آخيل . . عاجز !

آخيل : انهم الموقف يا ديوجين .

بومبيان : محال ان نتركها لعدالة المصريين . بالعدالة الرومانية
تحاكم .

أييب (غاضبا) : مولاي أخيل !
أخيل (مهدئا) : لا داعي . لا داعي .

أييب : اسمع يا بومبيان . اسمع يا ديوجين . نحن هنا مصريون .
كلنا مصريون . دومتيوس دومتيان انتهى . يجنب أن تنساه .
مولانا أخيل مصرى . اتفهم ذلك ؟ وعدالته عدالة مصرية .
أنتم هنا رومان في خدمة مصر . اتفهم ذلك ؟ ليس في القصر
عدالة رومانية . ان كنت لاتفهم جئنا بأبانوفر ليفهمك .

ديوجين (متدخلا) : فليكن ، فليكن .

مانيتون : اهدأ يا أييب .

بومبيان (يجرّد سيفه) : سأتيك برأس الراهب أبانوفر . انا
روماني ، ولا حرج على الرومان .

فيلامون (يجرّد سيفه ويلتحم ببومبيان) : قف مكانك . كلنا
نموت ولا تمس شعرة من رأسه .

(الذهول يصيب الجميع . هاتور تدق صدرها وتقول :
« فيلامون ! » أخيل ينهض من عرشه صائحا : « فيلامون ! »
تفيتة تشهق وتتادى : « فيلامون ! » يتدخل سويروس
وديوجين للفصل بينهما .)

فيلامون (كالذاهل) : ماذا جرى ؟

أخيل : اهداوا . الا يكفي ما نحن فيه من متاعب ؟

أييب : فيلامون على حق . هؤلاء السادة الرومان لا ينسون روما
وهم وقوف أمام عرش مصر . انهم يشيرون الفتنة . أبانوفر
رجل فظ ، كلنا يعرف ذلك ، ولكنه صارم في الحق . فيلامينة

كانت من دينه .. فهل أعفاها من العقاب ؟ تكلم يمانيتون
.. يوم اعدام فيلامينة .. كيف وجدت الراهب ؟ (أخيل
يجلس) .

فيلامون : دعنى اتكلم . كان يبكى كالنساء . كانت دموعه تجرى
على لحيته الكثة وتتهمر على برده . كان لا يقول الا شيئا واحدا
ارحمها يا رب . خذها الى جوار مريم . كاد يجن . اخذ
يجادل ربه ويقول اشياء تشبه الهديان . سمعناه يقول :
يا الهى ! لماذا نزلت فى بنى اسرائيل ولم تنزل فى هذا الوادى
المقدس ؟ محال ان يكون المسيح يهوديا . كان يصرح : الله
نزل فى مصر ! الله نزل فى مصر ! كل ذلك ودموعه تجرى
على لحيته الكثة السوداء وتسيل على برده . كاد يعود
الى آلهة آباءه : يقول مريم .. فسمع ايزيس . يقول :
المسيح ، فسمع اوزيريس .. ثم يسقط مفشيا عليه ، ولم
يفق الا بعد ان جاءت مارتا مع الظلام وغسلت قدميه بالطيب
ثم انصرفت مع الصباح .

مانيتون : كل هذا صحيح يا مولاي ..

هاتور (كأنها ترى معجزة) : يا ايزيس ! الراهب .. له قلب !

تفينة (تجهش بالبكاء المتقطع) : لم تكن تعلم . لم تكن تعلم .

أبيب : اين كنا لولا اباتوفر ؟ .. ثمانية شهور طوال وهو يصد
الحصار .. بالرعاغ والقوغاء يصد الحصار .. أطول
حصار فى التاريخ . فى الميناء . على الآ وار . ثمانية
شهور طوال ودقيانوس حائر لا يجد .. نقدا الى المدينة ،
وكلما أنزل رأس رمح على الشاهلىء قطعوه اباتوفر كما
تقطع أرجل الأخطبوط ..

(جلبة شديدة فى الخارج . يدخل ضابط مصرى اشعث

المنظر وهو يلهث ، وينحنى أمام أخيل على عجل ثم ينهض
(مسرعا)

الضابط : أخذوها . . أخذوها . .

أخيل : أخذوا من ؟

الضابط : أخذوا مارتا .

أخيل : من أخذوا مارتا ؟

الضابط : الرومان . جنود دقيانوس (أخيل ينهض متزعجا)

أصوات : { كيف ؟
كيف ؟
متى

**الضابط : كانت في مكانها تحمي البرج في رأس التين . شدد
الرومان الهجوم . أرسلت الي أبانوفر تطلب النجدة . ولكن
أبانوفر أبى أن يرسل اليها جنديا واحدا . كان واقفا
على رمال كليوبترا يخطط بعصاه أشكالا غير مفهومة لما
حملوا اليه النبأ ، فمضى يخطط بعصاه كأنه لا يسمع مايقال .
ولما ألحوا عليه التفت الى الراهب آريوس وقال : أرسل
دامون الارمنتى مع عشرة آلاف الى أبو قير ، وأرسل
فريسكا مع عشرة آلاف الى ترعة نوكراتيس وراء أسوار
المدينة . هناك انتظروا أشياء . فلما عدنا وجدنا أن الرومان
استولوا على البرج وأسروا مارتا وخمسمائة من الحرس
الوطني وأبحروا بهم الى قطع الأستول .**

أخيل : والبرج لا يزال في يد الرومان ؟

الضابط : البرج لا يزال في يد الرومان .

أفريكان : واين أبانوفر ؟

الضابط : بعد ذلك لم نعر له على اثر .

آخيل : مارتا المسكينة .. أسروها .

بومبيان : هذا جنون .. قلت لكم ان الرجل مجنون !

سويروس : هذا لا يحتمل .

ديوجين : الى متى تسكت يا آخيل ؟

بومبيان (يقهقه ساخرا) : أبانوفر .. بعد الرعاع .. يقسود الجيش ! الراهب المجنون يتولى الأعمال العسكرية !

آخيل (ينزل درجات العرش غاضبا) : من اعطاه السلطة؟ أفريكان!
الحق بدامون الارمنتي . بأمرى يعود لحماية رأس التين .

أفريكان : على أسرع جواد .

آخيل : وأنت ياديوجين ، الحق بفريسكا . بأمرى يعود الى رأس التين . الكل يدافع عن رأس التين . لا بد من استردادالبرج اذا ضاعت رأس التين ضاعت الاسكندرية . انتهى كل شيء .

ديوجين : كلمح البرق يا آخيل .

(يخرج أفريكان من الباب الأيسر ثم يخرج بعده ديوجين . الضابط يحيى وينصرف من الباب الأيمن . هاتور تنفجر بالبكاء الصامت وتغنى ، بينما تفيطة تعبث بقيثارتها)

هاتور : الوداع يا بنيتي !

(تغير في الخارج . الكل ينصت . آخيل يرتقى العرش)

سوريوس : نغير ..

مانيتون : نغير ملكى !

آخيل : لمن يطلقون النغير ؟ (الكل يلتفت الى الباب الايمن . يدخل
أبانوفر) .

بومبيان (متهكما) : الملك ! (ينحنى بالتحية الملكية فى سخرية .
أبانوفر يتجاهله ويمشى الى آخيل الجالس على العرش .
فيلامون يتقدم الى الراهب ويركع امامه ويقبل يده قائلا :
« باركنى يا ابتاه ! » فيرسم أبانوفر علامة الصليب على
رأسه ويتمتم بكلمات قليلة ، وينهض فيلامون)

مانيتون (شبه غاضب) : ولماذا النغير يا أبانوفر ؟

أبانوفر : لا تحاسبينى . حاسب حراس القصر .

آخيل (بيروود) أبانوفر . من فوضك فى الاتصال بالجيش ؟ .

أبانوفر (متأملا التاج المعلق فوق المرش) : هل هذا كان الاتفاق ؟

آخيل : أى اتفاق ؟

أبانوفر : أن تضع تاج مينا فوق رأسك ؟

آخيل : هذه ارادة الأعيان .

أبانوفر : الأعيان . البلاط . العاشية . القواد . لقد سئمنا .
نحن توجناك امبراطورا على الاسكندرية . أما تاج فرعون
فلا يلبسه الا مصرى .. من أصلاب مصرية .. قلنا تاج
فرعون لقبسطنطين ، بعد أن يرث روما وبيزنطة يحكم الدنيا
من الاسكندرية .

مانيتون : هذه أمور تصوى بعد رفع الحصار .

آخيل : اذا لم تكن هذه ارادة الشعب تخلينا عن تاج فرعون
يا ابانوفر . فلنعد الى الموضوع .

ابانوفر : اى موضوع ؟

آخيل : اتعلم ان الرومان استولوا على برج رانس التين ؟
ابانوفر : نعم .

آخيل : وانهم اسروا مارتا ؟

ابانوفر (يتنهد فى ألم عميق) : نعم .

بومبيان : لماذا تخليت عن البرج ؟

(ابانوفر لا يلتفت اليه ولا يجيبه)

آخيل : لماذا ؟

ابانوفر : من السائل ؟

آخيل : آخيل يسأل ابانوفر : لماذا تخليت عن البرج ؟

ابانوفر : وابانوفر يجيب آخيل : للضرورة العسكرية .

سويروس (يهدوء وحزم) : اين تعلمت العلوم العسكرية يا ابانوفر ؟

(ابانوفر ينظر اليه مليا ولا يجيبه)

آخيل : اية ضرورة ؟

هاتور (تصرخ) : ليسلم مارتا للرومان ؟

ابانوفر (يضطرب) : ماذا تقولين ؟

هاتور : لتسلم مارتا للرومان .

أباتوفر : هل فقدت عقلك يا هاتور ؟

هاتور : كلنا نعرف ان قلبك يفلئ بالحقد الأسود عليها منذ ...

أباتوفر (مستعظفا) : هاتور !

آخيل : اذن ما يقولون صحيح .

أباتوفر : لا . لا . لا .

بومبيان : كل الاسكندرية تعرف انها رفضت فراشك .

أباتوفر : يا الهى (يترنج فيسندد أييب)

أييب : كفى . كفى .

بومبيان : لماذا تدافع عنه ؟

أييب : الا ترى انه يتعذب ؟

هاتور : ومارتا ؟ الا تتعذب الآن ؟ بين أيدي الرومان !

بومبيان : كل الناس يتحدثون غرام أباتوفر اليانس .

أييب : حديث نساء .

بومبيان : ويقولون انه يحب الشراب .

أباتوفر : دعنى وشأنى .

بومبيان : ويقولون انه يحب المواخير .

فيلامون : ما هذه السخافات ؟

أييب : هل من الضرورى ان نسمع هذه السخافات ؟

آخيل : وما الحقيقة ؟

أبانوفر : يقولون . يقولون . اسمع يا أخيل . . يقولون ان سيدى
مانيتون يفتصب مال الرعية ليعطيه لمولاي أخيل . يقولون
ان سيدتى هاتور قوادة القصر . وانك تجزل لها العطساء
لتأتيك براقصات معبد ايزيس .

مانيتون (متدخلا) : تأدب يا أبانوفر ؟

أبانوفر : من البادىء . انتم بدأتم . تقولون انى تخليت عن البرج
لأسلم مارتا . انتم لا تفهمون . .

أخيل (ببرود) : فهمنا كل شىء . ولهذا أرسلنا أفريكان وديوجين
لاسترجاع القوات الى رأس التين .

أبانوفر (فى انزعاج شديد) : ماذا فعلتم ؟

أخيل : بعد البرج يسقط القصر . لابد من تحصين القصر .

سويروس : وبعد القصر تسقط الميناء . لابد من تحصين القصر

بومبيان : يبدو ان للقائد أبانوفر رأيا آخر ؟

أبانوفر (منفجرا) : الدمار ! الدمار ! الدمار ! ايها الحمقى ! ماذا

فعلتم ! القصر محصن . لا خوف على القصر : . . . ١٥٠ من

الحرس الوطنى يحرسون القصر : . . . ٢٠٠ من الرماة

يحرسون الميناء . وخلف الرماة ألفان من الفرسان . لا خوف

على الميناء . ايها الحمقى ! انظلت عليكم خدعة دقيانوس .

دقيانوس يأس من دخول رأس التين . يأس بعد ثمانية

أشهر من الحصار . . من الكر والفر . . دقيانوس يعرف

انه لن يجد ثغرة الى المدينة الا اذا أفنى كل قواته وأفنانا .

هو يهاجم البرج بشدة ليوهمنا انه يطلب القصر فتحشد

فيه كل رجالنا ، والحقيقة انه يقوم بحركة التفاف حول

المدينة . . اتعرفون بكم هاجم البرج ؟ بخمسة آلاف ، هكذا

تقول التقارير . هجوم شديد ولكنه كاذب . اتعرفون اين

قواته الأساسية الآن ؟ في أبو قير وعند ترعة نوكراتيس ووراء
أسوار المدينة . خطته ان يقطع المياه عن قنوات الاسكندرية
لنموت عطشا . . لنسلم أو نموت . . كيف لا أتخلى عن
البرج ؟ كيف لا أضحي بالفين ؟ كيف لا أضحي بمارتا ؟ انتم
نيام . انتم ترسمون الخطط بالقلم والمسطرة وعدوكم يمكر
ويدبر . أين جواسيسكم ؟ وراء أبانوفر ؟ وراء المصريين ؟
الدمار يا مصر الدمار !

(فيما هو يقول هذا الكلام يسود الاضطراب ، ويقف أخيل
مرتبكا وينزل درجات العرش ، ويبدو الانزعاج على الجميع
وتصدر من النسوة صرخات قليلة قصيرة مكبوتة ، ويهرع
مانيتون وأيبب وفيلامون الى الراهب بحركة تلقائية ،
ويتجمع الرومان حول أخيل)

مانيتون : ما العمل ؟ ما العمل ؟

بومبيان : لا تستمعوا لهذا المخرف . . دقيانوس يطلب القصر .

سويروس (مطرقا ويجد عميق) : الراهب على حق يا أخيل .

هاتور : أخرجنا من هذا المأزق يا أخيل . . أنت ملك البلاد .

**أخيل (يفرك يديه -هائرا) : اذا كان ما تقول صحيحا يا أبانوفر ،
فقد انتهى كل شيء .**

**أيبب : مولاي ، هل تسمح ؟ . . سيدي بومبيان ينطلق الى قوات
دامون الأرمنتى ويعود بها الى أبو قير . وسيدي سويروس
ينطلق الى قوات فريسكا ويعود بها الى نوكراتيس .**

أخيل : نعم . نعم . طبعاً . طبعاً .

سويروس : اتقاه ما يمكن اتقاه .

مانيتون : أيتها الآلهة ! أرحمينا ! أرحمينا ! ماذا يريدون مني ؟
الأوامر المتضاربة !

آخيل : هيا يا بومبيان . . هيا يا سويروس (يخرجان من الباب الأيسر) أييب ! الى بسلاحى . أعدوا جوادى (يخرج أييب من الباب الأيسر) فيلامون ! نغير الفرسان . نغير المشاة . نغير المعركة (يخرج فيلامون من الباب الأيمن . وبعد ثوان يسمع نداء النغير مختلفا ومتعاقبا ، ثم أصداؤه البعيدة مختلفة ومتعاقبة لا تلبث أن تتلاشى) سنخرج الى الميناء .
أبانوفر : الى نوكراتيس يا آخيل .

(يدخل أييب بالسلاح من الباب الأيسر . آخيل يخلع عباءة الأرجوان فتحملها هاتور . أييب يلبسه الزرد ويسلمسه الخوذة والسييف ودرعه البرونزى المستدير . فيلامون يدخل من الباب الأيمن)

أييب : نعم . نوكراتيس نقطة الضعف .

آخيل : ومن يجمى رأس التين ؟

أبانوفر : فيلامون . القائد فيلامون . والقائد أييب يمضى الى الميناء .

آخيل : فليكن . فليكن . وابن مكان أبانوفر ؟

أبانوفر : أنا مع الشعب . . فى كل مكان .

فيلامون (مترددا) : رسول فى الخارج يطلب المثل .

أبانوفر : دعه يدخل . دعه يدخل .

فيلامون (مترددا) : من عند دقيانوس .

أبانوفر
آخيل
مانيتون

فيلامون : هكذا تقول أوراقه .

(آخيل ينظر الى أبانوفر كالمستفسر : ماذا نفعل ؟)

أبانوفر : دعه يدخل (يبتعد الى أقصى اليسار)

(يدخل ضابط روماني وهو شاب وسيم ، لايسا الزرد
وسيفه القصير حاملا خوذته في يده اليسرى ، ويسودي
التحية ، يتبعه ياوره)

الضابط : شيو الصغير ، خادم دقيانوس ورسوله .

آخيل . (يتأمله) : ابن النوميدي ؟

شيو : وسليل شيو العظيم .

آخيل (يتفرد فيه) : ألا تذكرني ؟

شيو : نعم . . . دومتيس دومتيان .

آخيل : كان أبوك صديقي . . رفيق السلاح . . في لواء واحد (في
عطف شديد) كم كبرت يا شيو ! الأيام ! الأيام ! لم أعرفك
حين دخلت (يمشي كالحالم مخاطبا أبانوفر وكأنه لا يعرفه)
كان النوميدي بطلا . . قاتلنا معا في دورا ، وفي برقة ، ويوم
سقط الى جوارى حملته بيدي هاتين (ينظر الى يديه) على
جوادى . (ينظر الى الفتى في زهو) أتعرف كم حصلنا
يومها ؟ عشرين رأسا . هو عشرة ، وأنا عشرة . كنا نتراهن
على الرءوس ولم يكسب احد . ولكنه كسب أخيرا . كسب

الراحة ; لكبرى (يعود الى نظرتة الحاملة ويضحك في رقة)
أتذكر كيف كنت أحملك على ظهري في حدائق كاتيلينا ؟
(شبىو يبدو عليه الارتباك ويطرق) . أنت صغير بالنسبة
لرتبتك .

شبىو : خدمت روما ياسيدى .

آخيل : أم خدمت سيد روما ؟ (يضحك ضحكا هادئا) لا بأس
لا بأس . انهم يفسدوتكم هذه الأيام . فى أيامى كان قائد
المائة فى ضعف بنك . وكيف حال سيدتى مرسيليانا ؟

أبيب (مذكرا) : مولاي !

آخيل : نعم ، نعم ، نحن فى الاسكندرية (يعتدل) لم تعد فى روما
وماذا يريد دقيانوس ؟

شبىو : يريد أن يتبادل الرهائن .

آخيل (متشجعا) : لا أكثر ؟

شبىو : لا أكثر يا سيدى . السيدة فاوستينا مقابل مائة أسبر
(آخيل ينظر الى أبانوفر)

أبانوفر : خمسمائة .

شبىو : أنت الراهب ؟

أبانوفر : نعم . . أنا أبانوفر .

شبىو (يتأمله) : أنت تعالى .

أبانوفر : لا ، لا . هذا رأيكم : الدم الرومانى غال . . أزرق .
والدم المصرى خيس بلا ثمن .

شبىو : ثلاثمائة .

أبانوفر : خمسمائة . لا فائدة من المصارمة . اليس ، هذه رغبة السناتور ؟ حياة فوستينا لا تدأوى شيئاً عند دقيانوس : ولكن أشرف روما يطلبون أن يبادلها بأى ثمن ولم لا ؟ دقيانوس يريد أن يبادل السناتور في التفاهات .

شبيو : يبدو أنك تعرف عنا نى شيء .

أبانوفر : كل شيء ؟ كل شيء ؟ لا . أنا لا أعرف الا قليلا . ومسيح ذلك أعرف أنك لم تأت هنا لتنفذ حياة فوستينا . هل قلت ؟

شبيو : نعم ، قلت ، خمسمائة .

آخيل : تبادل الأسرى يكون في رأس التين .

شبيو : نعم . نعم .

أبانوفر : دقيانوس لا يوفد الى آخيل شبيو الصغير ، ربيب دوميتيوس دومتيان ، من اجل فوستينا (بلهجة ماكرة) هو يبحث عن صيد ثمين . أليس كذلك ؟

مانيتون (في تسريح ساذج) : ربما جاء يطلب الصلح .

أبانوفر : لا ، لا . جاء يطلب . . أبانوفر (حركات اتزعاج)

شبيو (مخاطبا آخيل) : نعم يا سيدى . مولاي دقيانوس يطلب تسليم الراهب أبانوفر .

أبانوفر (هازئا) مقابل ؟

شبيو : مقابل أى شيء يطلبه دومتيوس دومتيانوس .

أبيبيبا (يشير سيفه) : مستحيل .

فيلامون (يده على مقبض سيفه) : هذا جنون .

مانيتون : اهدأ يا ولدى !

أبانوفر (يتطلع في وجه شبيو) : أى شيء ؟

شبيو : هذا ما قاله . أى شيء يطلبه دومتيوس دومتيانوس .

مانيتون (في لهفة) : هل قال ذلك ؟

شبيو : نعم قال ذلك .

مانيتون : هل يرضى بفك الحصار ؟

شبيو (يبتلع لعابه) : نعم ، يرضى بفك الحصار .

آخيل : هذه خدعة (في كبرياء) لا ، لا ، قل لولاك الكذاب ان آخيل

الإسكندري لن يسلم أخلص رعاياه .

شبيو : هل هذا نهائى ؟

آخيل : نعم ، نهائى .

شبيو : اذن فليأذن لى سيدى فى الانصراف .

آخيل (فى حنان) : تصحبك السلامة يابنى .

(شبيو يحيى ويمشى نحو الباب الأيمن)

أبانوفر (يستوقفه) : مهلا . مهلا . (يقف شبيو ويلتفت إليه)

آخيل : دعه ينصرف .

أبانوفر : لا ، لا ، تعال يا فتى .

شبيو : تكلم .

أبانوفر : اقترب .

(يقترب من شبيو حتى يكاد يلاصقه)
تتأ

شبيو : ماذا تريد ؟

أبانوفر : مارتا مقابل أبانوفر .

(بسود الاضطرابنيـه أصوات : « لا . لا . لا » « مستحيل »
« لن نسمح » . هاتور وتفتية تتقدمان في لهفة)

شبيو (يتأمله جيداً في عطف شديد) : موافق .

أييب (يتوسطهما شاهرا سيفه) : لن يكون ، اذا أراد دقيانوس
أبانوفر فليأت ويأخذه بنفسه . شبيو يجرد سيفه) .

فيلامون (يحدو حدوه ويطعن في الهواء) : وهذه لدقيانوس .

أبانوفر (بلهجة الأمر) : مكانك يا فيلامون . مكانك يا أييب . كل
سيف في غمده . في بلادنا . . لكل رسول حرمة (كل يغمد
سيفه)

مانيتون : أبانوفر ! أنت تطلب ثمننا بخسا !

أبانوفر : لا ، لا . مارتا أئمن من أبانوفر . مارتا قديسة طاهرة ،
وأبانوفر خاطيء ملعون . . مكانه قاع الجحيم .

مانيتون : هذا جنون . مارتا لاتساوي أبانوفر .

أبانوفر : مارتا ؟ مارتا روح الاسكندرية ، وأبانوفر جسدها . هل
فهمت ؟ نعطيه الجسد ونسترد الروح .

هاتور (تقترب صائحة) : الراهب المقدس ! (تجثو وتقبل
يده)

تفئته (تقرب صائحة) : باركيه ايتها الالهة ! (تجثو وتقبل
يده)

(مارينا تعبت اناملها باوتار القيثار نم تسكت)

أبانوفر : انهضى ياهانور . انهضى ياتنيتة . بلا دموع .. بلا
دموع ..

مانيتون : هذه رموز لا يفهمها عقلى الضعيف . اذا دخل دقيانوس
الاسكندرية حلت علينا الكوارث (بغضب) اطلب تأمين
المدينة يا أبانوفر .

أبانوفر (معاتبا) : هل انهزمنا يامانيتون ؟

مانيتون : عفوا . أقصد اذا انهزمنا .

أبانوفر (يضحك ضحكا أصفر) : اذا انهزمنا فلا تصدق وعدا
واحدا من وعود دقيانوس (يمسك بذراع شبيو) تكلم
يا فتى . تكلم بصراحة . ألم يقل لك دقيانوس وأنت تغادر
السفينة : عداهم بأى شيء مقابل رأس أبانوفر ؟ عداهم
بتأمين آخيل ! عداهم بتأمين الاسكندرية ! عداهم برفع
الحصار ! عداهم بأى شيء . الوعود ! الوعود ! ما قيمة
الوعود عند المنتصر (مزمجرا) تكلم !

شبيو (مرتبكا وشبه خائف) : نعم ، نعم .

أبانوفر : سيدى مانيتون لا يريد أن ينسى انه كان أمين مكتبة
الاسكندرية . هذه ليست كتب يامانيتون (يزمجر) هذه
حرب . سياسة . حرب . كيف تصدق وعود المخادع
دقيانوس ؟ اطلب المعقول .. تأخذ المعقول ، ومع ذلك نحن
لا تأخذ الا عينا . اسمع يا فتى ، ارسل ياورك ليعود بالقديسة
مارتا المصرية . هنا . هنا . نحن لانسلم أبانوفر بالدفع

الاجل (يدق على صدره) بضاعتنا حاضرة ، والدفع عينا .
بشرف آخيل ، اذا لم يعجبك شرف آخيل ، بشرف دومتيوس
دومتيان . بالشرف الروماني . هيا . هيا . لا تضيع الوقت
(شبيو ينظر الى آخيل حائرا مستفسرا . آخيل يبسط
كفيه في حيرة)

آخيل : لا ، لا ، لن أسمع .

ابانوفر (يبصر زائغ) : انت لا تفهم يا آخيل ، انتم لا تفهمون
(كأنه يكلم نفسه) نعم ، نعم . (ينظر الى الخاتم على بنصره
الايسر) لا بد من التكفير . . أنا خنت العهد . . نعم . .
التكفير . أنا القربان . فليقبل الله قرباني (يتعمم)

فيلامون : ارحمه يا الهى !

ابانوفر (كأنه يهذى) : اسكت يا غلام ! لا رحمة ! الله لا يرحم !
لم تسمعه يقول : ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى
السماء ؟ أنا لم أرحم أحدا (ينظر الى يديه وكأنهما مخضبتان
بالدم) هى السبب . هى السبب . وقبل ان يأخذوها نظرت
الى فى عتاب . . ثم مضت . أم ترائى كنت أحلم ؟ وغيرها .
وغيرها . أين آريوس ؟ ماذا قال البطريك ؟ (يرتفع
صوته) لا ، لا . أنا لم أرحم أحدا . لماذا يرحمنى الله ؟
لا رحمة . لا رحمة . أنا لم أعرف الا العدل . بالعدل أدان .
أنا لم أعرف الا الحق . بالحق أدان . بالناموس . بالشرية
الأولى . . لأنى مشيت . . كروح هائجة ملعونة . . لا .
كالأعصار . . فى الحقول ، على الرمال ، بين الناس ، فى
الأكواخ ، فى القصور . . بلا رحمة ، بلا خشوع . أنا كسرت
العهد (يتفحص الخاتم على بنصره الايسر) العهد ؟ أنا
كسرت العهد . . غفرانك يا مريم ، دعونى أموت . بلا رحمة
بلا خشوع ، (كأنه يتهلل) عذبنى يا الهى !! فى قاع الجحيم

حتى انظر ، حتى تظهر علامتى . نعم . سانتظر . . حتى
تظهر علامتى . علامتى ؟ نعم . . سانتظر حتى تاتى مارتا
(يتسم) كالملاك الأزرق . . وتطفئ بأنفاسها العاطرة نيران
الجحيم . (يشير الى الأبراج المنقوشة على السقف)
انظروا ! هذا هو . . برج الجدى . . سأقيم فيه حتى تاتى
مارتا وتعود بى . . الى برج العذراء . . الذى خرجت منه
هيا يا فتى . قلت عجل ، وبعد ان امضى ، قولوا : كان أميراً . .
نسبه حائر بين الارض والسماء . . تريدون امارتى؟ (يصرخ)
امارتى . . لعنتى على دقيانوس !

شيبو : هكذا يريد . بصره ثابت فى السماء .

آخيل (آسفا) : نعم ، نعم . يحلق بين الأبراج .

شيبو (مخاطباً ياوره) : هيا عجل . (ينطلق الياور من الباب
الأيمن)

أبانوفر (مبتسماً) : اتحسب اتى اهلى يا آخيل ؟

آخيل : الخاطيء لا يحاسب الخاطيء .

أبانوفر (هازئاً) : انا اعرف دقيانوس . اتعرف لماذا يساوم فى هذه
اللحظة الحرجة ؟ هو لا يساوم لانه ضعيف ، هو يساوم ،
لانه قوى . لانه يعتقد ان الاسكندرية ستسلم فى اربعم
وعشرين ساعة اذا قطع عنها المياه . هو يخشى ان نذبح
فاوستينا قبل ان نسلم . هو يخشى ان يدخل الاسكندرية
على جواد ابيض فلا يجد ابانوفر . يخشى ان اختفى ، ان
أفلت من يده . دقيانوس لن يغمض له جفن حتى يفتك
بالراهب اللعين . هو يتخيل ان ابانوفر يمشى فى الحقول . .
يدخل الاكواخ . . يجوس بين الجند . . يؤلب المصريين على
الرومان . هو يعتقد انه لا راحة لروما مادمت حيا . ولكنه

واهم (تضيق أنفاسه ويفك أزرار جيبته) .. ماء .. ماء .. ماء
اعطوني ماء . واهم . واهم . (بصوت خفيض عميق) أنا
أديت الرسالة . اليوم كل مصرى أبانوفر (بصوت جهير من
نبرة الأنبياء) سيأتى بعدى من هو أقوى منى ..

فيلامون (كمن فى رؤيا) : صوت صارخ فى البرية .

**أبانوفر (وهو يحملق فى الفضاء) : سيأتى بعدى من هو أقوى
منى (يمشى كالنائم) المجد لك يا فرعون .**

أييب : يا ملك الأرضين .

هاتور : الاسكندرية تاجك .

تفيتة : مصر عرشك .

فيلامون : الدنيا موطىء قدميك .

**أبانوفر (يضحك ساخرا) : الأحق . الأحق . لا يعرف ماذا
يأخذ وماذا يعطى .! أبانوفر جثة هامدة .. أما مارتا فهى
روح الوادى . أنفاس الحياة . السماء الزرقاء . خضرة
الحقول . هى الطمى المقدس . بذلت جسدها لتعطى
المساكين ، لتطعم الجياع ، لتشفى المرضى ، لتحياى الموتى ،
هى القربان المقدس ، والقربان لا يقدم مرتين . هل فهمتم
الآن لماذا يجب أن تحيا ؟ هى الملاك الحارس ، من المعبد ، من
الدير ، من مغانى السمار ، من كل مكان .. تنشر جناحيها
على الوادى الأمين . سبحى يا هاتور . أنت أرضعتها .
كيف ترتلون فى معبد ايزيس ؟**

**هاتور (تغنى أغنية أشبه بالرقصة رغم ما فيها من وقار بينما
تفيتة تدق على الأوتار) :**

غمغم النيل خد سمراء ، بنت هاتور
ذو الأراغيل : كف حناء ، ربة النور ،
آه ياليل ! ثغر ليلاء ، ملعب الحور ،
عاشق يزفر ! خمره كوثر ! ثوبها أخضر !

(يدخل آريوس من الباب الأيمن في اضطراب شديد
صائحا)

آريوس : الفتنة ! الخراب ! الفتنة ! الخراب !

آخيل : ماذا جرى ؟

آريوس : قتلوا أفريكان • قتلوا ديوجين وبومبيان • الجنود ذبحوا
كل القواد الرومان الا نسويروس • يطالبون برأس آخيل
فريسكا زاحف على القصر • دامون الأرمنتي في الطريق •
تركوا مواقعهم • الجيش يصيح : آخيل الخائن ، الرومان
الخونة ، سلمونا لروما •

آبانوس : هل وصل دقيانوس ؟

آريوس : نعم ، جنوده في نوكراتيس وأبو قير • لما انسحب
المصريون من نوكراتيس وأبو قير التقى دامون وفريسكا بي
معسكر قيصر • فلما عاد كل الى موقعه وجدوا أن جنود
دقيانوس قد احتلت المواقع وردمت كل القنوات عندمداخل
المدينة بسرعة البرق بالتراب : بالاحجار • بكل شيء •
فثارت ثائرة الجنود وانقضوا على القواد ، أعلن فريسكا
أن الخيانة جاءت من القصر الملكي • رأيت بنفسى دامون
الأرمنتي ينقض على بومبيان ويبقر بطنه • نادى المنادون
في الشوارع : انقطعت المياه عن المدينة وساد الدعر في كل
مكان •

آخيل (يشرق في باس) : انن انتهى نر شيء .

ابانوفر : وكيف نجا سويروس ؟

أريوس : سويروس لم ينج . سويروس صرخ في رجاله قائلا :
يا ليون، مصر ! دم دقيانوس لا دم آخيل ! ابعونى . وانطلق
امام الصفوف بفرسه الشهباء رافعا درعه الثقيل واخذ
يركض كالمجنون فتبعته الجنود بين راكب وراسل كأنهم
الذئب المسعور ، واجتاحوا ابواب نوكراتيس والقوا بأنفسهم
من فوق الأسوار . وثار غبار معركة رهيبه . ولما انجلى
الغبار ظهر سويروس صريعا بين جثث لا تعد ولا تحصى .
وخيم على المكان صمت حزين . ولكن علم الرومان رفرق
وحده وسط الميدان .

ابانوفر : الويل لك يا آخيل ! وقعت بين المصريين والرومان !

مانيتون : اهرب يا آخيل .

آخيل : لا ، لا .

ابانوفر : خذ عبايتى يا سيدى .

أيبب : اركب جوادى يا سيدى .

آخيل (في عزة) : لا . لا . أنا خدمت مصر بأمانة (يصعد درجات
العرش ويجلس في هدوء) آخيل لا يهرب (مخاطبا شيبو
في حنان) : اسمع يا بنى . في روما يقولون عنى انى خائن .
ولكن دومتيوس دومتيان خدم روما بأمانة ، حتى حكمها
العبد الدماسى . ألم تسمع أباك يقول ذلك !

شيبو (تغلبه عواطفه) : نعم يا دومتيان

آخيل : لا تقل دومتيان ، انا هنا آخيل الاسكندرى . لم اعد من
روما منذ ارتقى العبد الدماسى عرش رومولوس ورفع حسام

انياس . لقد أخطأت كثيرا ، ولكنى خدمت مصر بأمانة .
تكلم يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم . اكتب يا مانيتون . . أخيل الاسكندري خدم مصر
بأمانة . من أجل هذا تغفر مصر أخطاءه ولا تذكر الا
أمانته .

(تسمع جلبة بعيدة ومعها تغير بعيد) .

مانيتون : انهم قادمون .

ابانوفر : يا الهى ! حتى ابانوفر لا يستطيع انقاذ أخيل . . حصنوا
الأبواب . . حصن الباب يا فيلامون (فيلامون يسرع الى
الباب الأيمن) اجمع الحراس ياأيب (أيب يسرع الى
الباب الأيسر)

أخيل : لا ، لا ، فليتم كل شيء فى هدوء . فليات المصريون . فليات
الرومان ، السابق يأخذ أخيل (ينهض) يا شبيو !

شبيو : نعم يا سيدى .

أخيل : قل . . من جدى الأعلى ؟

شبيو : بروتوس النبيل .

أخيل (ينزل درجات العرش) : من شابه جده فما ظلم . ياسيدى
الراهب الشاب .

أريوس : مولاي !

أخيل : نسيت اسمك . ماذا يسمونك ؟

أريوس : أريوس يا مولاي

أخيل : الديك سر الاعتراف ؟

آريوس : نعم يا مولاي .

آخيل : هيا بنا نعرف ، الانسان . . يجب أن يكون دائما مستعدا !
(يخرج مع آريوس من الباب الأيسر)

هاتور : مولاي بحاجة الى . .

مانيتون : امضى اليه يا هاتور . رأيت في عينيه وميضاً غريباً .

تفيتة : مولاي عودنى أن أحمل ازاره . .

أبانوفر : لا ، دعوه وحده ، لا تزعجوه . انه يحب أن يختلى بربه .
انشدى يا تفيتة شيئاً سعيداً . شيئاً مما يقال في زفاف
الملك . ما أسعدك يا أبانوفر ! اليوم تزف بعد طول انتظار .

تفيتة (تنشد لحنا حزينا مثل عديد الندابات وأناملها تعبت
بالقيثارة) :

نصبوا الخوان وتخت العرس يا ملكى ،
فرشوا الطريق الى المعراج والفلك !
فاصعد الى كنف الأملاك ياملكى :
فى الأربعين زفاف النور والحلك !

أبانوفر : كفى . كفى . لم هذه الكآبة ؟ أهكذا تحيون هذا الرومانى
الجميل (يشير الى شبيو)

(يدخل آريوس من الباب الأيسر شاحب الوجه ويقنول
بصوت هادىء رهيب)

آريوس : مولاي آخيل بعد أن أتم واجباته الدينية . . عبر الى
شاطئ الأبدية . . سقط على سيفه كعادة الرومان . كان
آخر ما قاله : الوداع يا فاوستينا !

دامون : ماذا جرى ؟

تدبيرك ؟

هاتور (تولول) : واملكاه !

شبيو : الوداع يا دومتيان ! ستجرى مأساتك على كل لسان .

مانيتون : الوداع يا مولاي ! ستكون لك صفحة في كل كتاب .

تفيته (تولول) : واملكاه !

(يدخل دامون وفريسكا من الباب الأيمن) ^{أبنا} هادي

فريسكا : أين أخيل ؟

أبانوفر : مولاك أخيل طلب الحرية .. من سجن الجسد . امضى

اليه يا هاتور . انه بحاجة اليك .. الآن .. امض يا الفينه

يا تفيته .. امض اليه يا مارينا .. يا انهي ! عندما نموت ..

ما أحوجنا الى النساء ! كأنما نولد من جديد .. احملوه

كما يحمل الملوك .. لغوه في علم البلاد . لا تنسوا ان تلبسوه

تاج مينا . كم تمناه في حياته ! فليلبسه الآن في مماته ، بأمر

أبانوفر ، بأمر الشعب .

(تخرج النسوة من الباب الأيسر في تشييع مسموع ، ويسمع

نغير وداع قصير من الخارج ، ويطأطأ كل القواد رءوسهم

وسلاحهم تحية الوداع)

دامون (يحيى بالسلاح) : وهذه تحية الجيش .

فريسكا (يحيى بالسلاح) : وهذه تحية الفرسان .

أبانوفر (كأنه لا يسمع) : وحين تكتب يا مانيتون ، لا تنس أن

تقول : .. وكان سويروس روماتيا عنيدا ، لكنه مات من

أجلنا شهيدا ، أقيموا له بين أطلال البطالسة عمودا من أنفس

الرخام ليعيش اسمه ما عاشت الاسكندرية . ولتخرج

عذارى البحر ، في مثل هذا اليوم من كل عام ، وليضعن على
شاهده غار الأبطال وينثرن الرياحين . (مخاطبا شبيو)
أيها الفتى النبيل .

شبيو : نعم يا سيدى .

أبانوفر : آن لنا أن نمضى ، لقد طال الانتظار .

شبيو (مشيرا الى الباب الأيمن) : انها قادمة يا سيدى .
(يدخل الياور الرومانى ومعه مارتا شاحبة الوجه ، تتجلى
عليها آلام عميقة . وتسرع نحو أبانوفر وتتعلق بيسبده .
أصوات : « مارتا .. ! مارتا »

أبانوفر (فى ألم بالغ ورقة بالغة) : يا بنيتى .

مارتا (ترفع وجهها اليه) : باركنى يا ابتاه .

أبانوفر (يمسح شعرها) : نعم . نعم .. مباركة أنت فى النساء
(يشيح بوجهه) أنا أهذى .. ماذا أقول ؟ لقد ضاع منى
سر الراهب .. عفوك يا مريم .. ماذا فعلوا بك يا بنيتى ؟

مارتا : كروا جسدى بأسياخ الحديد (شهقات ألم هنا وهناك)

أبانوفر : حسنا فعلوا .. اذن لن تزورك الأبالسة ، يا الهى ! فظيعة!
فظيعة ! انها تزورنى كل ليلة (يأخذ بيدها فتنهض) انهضى
يا مارتا .

مارتا (تبسم) : ولكنى كنت قوية .. لانى أحمل وديعتك .

أبانوفر : نعم . نعم . أعرف ذلك .. احرصى عليها .

مارتا : كما تحرص الأرض العطشى على بذرة الحياة .

أبانوفر (وكأنه يكلم نفسه) : ولماذا لا تحرص عليها ؟ لقد دفعت
الثلث . خنت العهد ودفعت الثلث (بلهجة شيطانية)
انتزعتها من يد القضاء .

مارتا : ماذا تقول ؟

ابانوفر : نم اقل شيئا . نعم ، قلت : صلى من اجلى كثيرا .

مارتا (فى وداعة) هل ادخل الدير يا ابتاه ؟

ابانوفر : نعم . نعم . . .

مارتا : فى احضان المسيح ؟

ابانوفر : نعم ، فى احضان المسيح .

مارتا : لن يغار قسطنطين

ابانوفر : لا . لن يغار قسطنطين .

مارتا : متى يعود ؟

ابانوفر لا ادرى . ولكن حين يعود سيفرح قلبه .

شبيو : هيا يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم ، نعم . انا ماض يا مارتا .

مارتا : الى اين يا ابتاه ؟

ابانوفر : الى الرفيق الاعلى ..

مارتا (تحملق وكأنها لا تفهم) : هناك المروج خضراء .

ابانوفر : بعد حين . . . بعد حين .

فيلامون : هو افتدك يا مارتا .

مارتا (دون ان تفهم شيئا) : هناك السوسن ابيض .

ابانوفر : لا ، لا ، هي التى افتدتنى من اجل هذا قدسها الله ..

كل من تحمل وديعة تفتدى رجلا . مارتا ! (يخلع الخاتم

من بنصره الأيسر ويتأمله جيدا) هذا الخاتم .. كان لها
.. لسيدة القصر الأزرق .. لسيدة الفيروز . انظري
الى الفيروز ! كم هو جميل ! هو الآن لك . خذيه (ماريا
تأخذ الخاتم وتضمه الى قلبها) هل قرأت النقش ؟ اقرئي
النقش قبل أن تلبسيه . فيه رقية من أيام مينا . يقولون
فيه لعنة ، لا تصدق ما يقولون (مارتا تلبس الخاتم بعد
أن تتفحصه . ابانوفر كأنه يأمر) : يا فيلامون ! بعد أن
أمضى . خذ القديسة مارتا المصرية الى دير العذارى ..
دير دميانة (يقبل مارتا على جبينها) .

فيلامون : نعم ، نعم (يفك سيفه من خصره ويسلمه لأيب) هذا
لا عمل له الآن .. بعد هذا .. هل أنطلق الى الدير
الكبير ؟

أبانوفر : نعم . انطلق .. في أمان الله .

فيلامون : الوداع يا أبانوفر .

(يخرج فيلامون تتبعه مارتا في هدوء من الباب الأيمن)

شبيو : هيا بنا يا أبانوفر .. دقيانوس لا يحب الانتظار .

أبانوفر : لحظة واحدة يا بني .

شبيو : هل بقى شيء ؟

أبانوفر : كلمة وداع ..

(يمشى أبانوفر وهو يحمل في السقف المنقوش . يبلغ
العمود الضخم المنقوش في يمين القاعة ويتحسس . يسير
الى العمود المقابل في أيمن القاعة من الداخل ويتحسس) .

أبانوفر : ما أجمل هذه النقوش ! يا مانيتون ! كيف تروى الألوان
الناصرة الأمجاد الذابلة ؟ ولكن هذا سرنا . وهو يحير الألباب

(ينظر الى العمودين باسطا ذراعيه بينهما) ليت لي قوة
شمشون فأهدم القصر على وعلى أعدائي . (يهدأ قليلا)
عندما أمضى ، لا بكاء ، لا دموع ، لا زهور على قبري . ألقوا
بجثمانى فى مفازة جرداء لا يعرف أحد مكانها ولم تحوم
فوقها نسور . قل ، أيها الفتى النبيل : دقيانوس .. هل
سيأخذنى الى روما ؟

شبيو : أعتقد ذلك .

أبانوفر : ويجرنى فى عجلته الحربية ؟

شبيو : نعم ، كالعادة .. فى موكب النصر

أبانوفر : ويسلى رعاى روما ؟

شبيو : نعم .

أبانوفر : اذن سنفسد على جلالته متعته .

(يخرج من صدره سما ويتناوله بسرعة ثم يعود الى وسط
القاعة وهو يتسهم . الجميع فى ارتياح . ترتفع أصوات :
أبانوفر ! أبانوفر !)

أبانوفر : أنا مستعد (شبيو يتراجع) يا الهى ! الففران ! (يتعذب
من السم) يا الهى ! ما أفظع العذاب ! (يسقط على الأرض
وفمه يرشى ويزبد) قل لولاك .. سعيه هباء .. لن يدرك
الشمس .. الليل ثقيل .. الليل ثقيل .. النور .. النور
أين النور ، مارتا ، أزيحى الأستار (يموت)

أيب : الوداع يا أبانوفر .

دامون : انتصر على دقيانوس .

فريسكا : عاش مصرىا ومات مصرىا .

دامون : لا يعرف أحد سر الراهب ، ولماذا مات ..

فريسكا : هذا أمر بينه وبين ربه .

مانيتون : يقولون .. البطريك رمى عليه اللعنة ..

دامون : أمر بينه وبين مارتا .

أييب : لا . هو أعطى الجسد لنسترد الروح . ليبقى الحب على وجه الأرض ، لتمشى الرحمة بين الناس . مارتا عرفت ما لم يعرفه الراهب .

شيبو : لو كان بينكم عشرة من هذا الزاهب العجيب لما وجد الرومان بينكم مكانا .

(تدخل محفة حولها ستة من الحراس)

مانيتون : القوا عليه عباةته . احملاه في بساطة الرهبان . لا

تقيموا له ضريحا من المرمر الأسود ، ولكن ادفنوه بين الرمال الكثيرة في مفازة جرداء لم يطأها انس ولا جان . من الصحراء جاء والى الصحراء يعود . فان كانت لديكم بقية من سر الآباء فحنطوه .. اقرءوا عليه التعاويذ .. لتحفظ سره الصحراء ، عاش بالثالوث ، ولكن انقشوا على تابوته صلوات القدماء ، فلقد كان روحا من ذلك النفس الجبار الذى مشى فى القديم بين أعمدة الكرنك وأحراش النخيل . ولتصلى عليه الآلهة أجمعين .

(يحمل الحراس المحفة ويمشون فى بط مهيب خارجين من الباب الأيسر وهم ينشدون)

كوراس الحراس (بتنظيم سريع اقرب الى التلاوة منه الى الغناء) :

مات الفادى ، مات الفادى
صلى يا آلهة الوادى
على من كان النجم الهادى
ملك الشعب ، عماد الوادى
سر الراهب ذى الأمجاد
من الآباء ، من الأجداد
وفى الأبناء ، وفى الأحفاد .
مات الفادى ، مات الفادى
صلى يا آلهة الوادى
على من كان النجم الهادى

(يتلاشى الصوت تدريجيا . . يرى من وراء النافذة اليسرى
لهيب عظيم بعيد)

مانيتون (مشيرا الى النافذة) : انظروا ! مكتبة الاسكندرية
تحترق ! الرومان دخلوا الميناء !

أييب : لا تجزع على كتبك يامانيتون . كم احترقت قبل الآن وكم
ستحترق ! هكذا تسخر الآلهة ، كل غاز يضرم فيها النار
لتذكر الدنيا اننا عقل العالم وضميره ، ومادام فى مصر حى
يفكر ، فليحرقوا وليحرقوا ، قلن نتعب من البناء .

شيبو : من منكم يسلم المدينة .

مانيتون : دامون الارمتى يسلم المدينة .

دامون : لا . انا ماض برجالى تحت جناح الظلام ، ومن طيبة
الزهراء نستأنف القتال .

فريسكا : وأنا أيضا ماض برجالى الى صعيد البلاد . قفط
العصماء بحاجة الى رجال . وانت يا أييب : ادرك أبو صير
قبل أن يدركها الطوفان .

آريوس : أما أنا فباق فى الاسكندرية . هنا امشى مستخفيا عن
العيون ، أطرق كل باب لأجفف الدموع وأبشر بالأمل الجديد

مانيتون : أنا شيخ فان . متعب . متعب . أريد أن أستريح .
سأمضى الى قرىتى الهادئة على شط تانيس حيث أجلس
النهار الطويل وأصطاد فى نهر الذكريات ، الى أن يأذن توت
والتاسوع العظيم ، فأعود الى نافورة الضياء .

أييب : لا يسلم المدينة الا مانيتون .

شينو : نعم ، لا يسلم القصر الا هذا الشيخ الفانى ، تاهب يامانيتون
لاستقبال الوالى الجديد . هكذا حكمت عليك الآلهة ، أن
تكون خادم كل حاكم جديد ، لتلطف بحكمة السنين حمية
الرومان ، وتقى بلادك القديمة من طيش الأمم اليافعة ،
وتدون فى صحائف البردى كل ما تراه مصر من أيام سعيدة
وأيام حزينة . تجلد . لن يكون الأمر هينا . فعندما يصبح
الصباح ، بأمر دقيانوس ، سترى مصر أهوالا شدادا ، لم
ترها عين ولم تسمع بها أذن . ستجرى دماؤكم أنهارا ،
وتنهب أموالكم . ستحرق معابدكم ، وتدنس نساؤكم ،
ويذبح صبيبتكم ، وتحرم عليكم عبادة أربابكم . ستلقون فى
جيوب الأسود ، وتقلون فى الزيت المغلى لتنكروا اسم مصر ،
فينكر بعضكم ويصمد الآكثرون ، حتى ينجلي هذا البلاء
الفظيع . فلتكن أنت يا مانيتون أبا لهذا الشعب اليتيم فى هذه
الليلة الحالكة ، ولتكن ربانه فى هذه الأنواء .

(ستار)

نبذة تاريخية

تتناول هذه المسرحية التاريخية الثورة الاستقلالية التي نشبت في الاسكندرية عام ٢٩٦ ميلادية ، بزعمارة الوالي الرومانى لوشيووس دومتيوس دومتيانوس، الذى لقبه الاسكندريون بأخيل .

ولم تكن ثورة أخيل هذه أول ثورة قام بها المصريون عامة وأهل الاسكندرية خاصة ، للتخلص من حكم الرومان . فمنذ أن فتح يوليوس قيصر مصر عام ٤٠ ق.م ، حتى فتحها العرب في ٦٤٠ ميلادية ، والقلاقل كانت تسود البلاد ، ولكن هذه القلاقل كانت تتفاوت عنفا ومدى وتراوح بين الثورات المنظمة وحوادث الشغب المتقطعة . وقد بلغ المد الثورى أشده في النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى ، حتى لقد سجل التاريخ أربع ثورات كبرى نشبت في مدى لا يتجاوز كثيرا ربع قرن بين ٢٦١ ميلادية و٢٩٦ ميلادية . وهى ثورة الولى الرومانى اميليان ، وثورة تيماجين المصرى ، وثورة فرموس اليونانى ، وثورة دومتيوس دومتيانوس الرومانى . وفى كل مرة كانت الثورة تبدأ باعلان استقلال مصر وتويج قائد الثورة امبراطورا على الاسكندرية ، ثم تنتهى بعودة الرومان وسحق الحركة الوطنية وبالمذابح الرهيبة وباشاعة الخراب فى كل مكان . وكانت آخر هذه الثورات الثلاث أوسعها نطاقا وأشدّها نجاحا ولكنها أيضا أفضت الى مذابح وأهوال لم

بشهد التاريخ مثيلا لها ، حتى جعلت المصريين يبدءون تاريخهم القومى بالسنة الأولى من « عصر الشهداء » .

أما الثورة الأولى ، فيقال فيها ان أهالى الاسكندرية أرغموا اميليانوس ، الوالى الرومانى فيها ، على اعلان استقلال البلاد وتوجه امبراطورا على الاسكندرية . وقد حكم اميليان البلاد بضعة شهور حكم الأقوياء ، وحصن طيبة ، ورد القبائل المتبربرة التى كانت يومئذ تغير على مصر من الجنوب ، وأعد حملة يظن انها كانت لمطاردة جيش اكسوم ، وهو من الأحباش ، ولكن القائد الرومانى ثيودوت وصل الى الاسكندرية ليسترد مصر ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية الرومانية التى كان يجلس على عرشها جالينوس . واقتسم الفريقان المدينة ، ونشبت بينهما حرب إبادة اهلكت كل ما كان بينهما وانتهت بانتصار ثيودوت الذى أسر اميليان وأرسله الى روما ليلقى قصاصه ، وتكل بالاسكندرية تنكيلا فظيما ، فتركها خراب وشاع فيها الوباء ، وقد بلغ من فداحة الخسائر فى الأرواح ان المؤرخين ذكروا ان عدد السكان الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ١٤ سنة و ٨٠ سنة بلغ عدد السكان الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ٤٠ سنة و ٧٠ سنة فيما سبق ذلك من اجيال ، أى باحصاء المؤرخين هبط تعداد المدينة الى الثلث . ومن المؤرخين من يشكك فى أن اميليان قبل لقب الامبراطور مستدلين على ذلك بأنه لم يسك العملة باسمه وبأنه لا توجد وثائق مؤرخة بتوليته العرش .

وأما الثورة الثانية فكانت فى ٢٦٩ ميلادية فى عهد الامبراطور كلوديوس القوطى (٢٦٨ - ٢٧٠ ميلادية) ، وقد ساعد على قيامها اشتداد ساعد زنوبيا ملكة تدمر ، وهى أرملة اذينة الذى سلمه جالينوس امبراطور روما زمام القيادة فى ولايات المشرق ، ولا يعرف ان كانت مصر قد دخلت فى نطاقه ام لا ، فليس فى الوثائق الخاصة بمصر أى ذكر لأذينة . ولكن فى السنة التالية

لتولى كلوديوس القوطى عرش الامبراطورية ثار زعيم مصرى اسمه
تيماجين على روما واستنجد بجيش تدمر . وقد استجابت زنوبيا
لدعوته فأرسلت اليه قائدها زبدا على رأس ٧٠٠٠ مقاتل .
واستبسل الرومان فى المقاومة ولكن زبدا هزمهم اول الامر .
فلما انسحب جيش تدمر الأكبر ولم يترك الا حامية قوامها نحو
١٠٠٠ ره مقاتل طردهم القائد الرومانى بروبوس ، فعاد زبدا
وتيماجين ، ولكن بروبوس انتصر عليهما ، وأراد أن يقطع سبيل
اتصالهما بسوريا فاحتل موقعا بالقرب من بابلينون ، ولكن تيماجين
وجنود تدمر هزموا الجيش الرومانى فانتحر القائد بروبوس .
على أن زنوبيا رغم سيطرتها على الموقف فى مصر استمرت فى الاعتراف
بسيادة كلوديوس امبراطور روما ، فكانت كل الوثائق الرسمية
تصدر باسم كلوديوس القوطى . ويقول ميلن أن موقف زنوبيا فى
مصر غامض ، اذ لا يجد دليلا على ان القائد بروبوس كان يمثل
سلطة الامبراطور الرومانى اكثر مما كان يمثلها زبدا نفسه بوصفه
مبعوثا للملكة زنوبيا ، وهو لهذا يرجح أن التحركات الاولى لجيوش
تدمر فى هذا الصراع لم يكن يقصد بها تحدى روما . فلما تولى
الامبراطور اوريليان عرش روما (٢٧٠ - ٢٧٥ ميلادية) اعترف
بوهب اللات بن زنوبيا شريكا له فى حكم المشرق . وسكت العملة فى
الاسكندرية وجهها بحمل صورة اوريليان وظهرها بحمل صورة
وهب اللات ، ودام ذلك سنين ، ولكن وهب اللات لم يلبث أن أعلن
استقلاله عن روما ومضى بسك العملة بصورته وصورة زنوبيا ،
فنشبت من جراء ذلك الحرب بين روما وتدمر . واسترد الرومان
الاسكندرية بعد أشهر قليلة ، وسكوا العملة بصورة اوريليان
وحده . أما الامبراطور اوريليان فسار بنفسه الى تدمر تاركا امر
اخضاع مصر لقائده بروبوس الذى تغلب على ما فيها من مقاومة
محدودة . ويرجح ميلن أن تدمر كانت قد سحبت جيشها لتحمى
نفسها من هجوم اوريليان تاركة المصريين لمصيرهم .

وفي عهد أوريليان (٢٧٠ - ٢٧٥ ميلادية) نشبت الثورة المصرية الثالثة عام ٢٧٢ ؛ فبعد أن استولى أوريليان على تدمر وأسر ملكتها العظيمة زنوبيا ، عاد بها الى روما ليعرضها على رعايا الرومان . ولا يفهم كيف قبلت هذه الملكة العظيمة ذل الأسر ورضيت بأوضاع في روما تتنافى مع واجب الملوك وعظمة الأبطال ، فلم تهرب من عار الأسر ، كما هربت كليوباترا العظيمة . وعلى كل فبعد عودة أوريليان الى روما ثارت تدمر ثم ثارت الاسكندرية بقيادة فرموس ، وهو يونانى من كبار التجار في الاسكندرية . ويبدو ان فرموس مهد لثورته بالاتفاق مع قبائل البليمى في النوبة ومع التدمريين في سوريا ، ولم يزحف أوريليان على مصر الا بعد أن أخضع تدمر ، وعندئذ زحف على الاسكندرية وهزم فرموس وحصر الثوار في حى بروكيون وأجبرهم على التسليم ودمر ذلك الحى عن آخره تقريبا ، كما دمر اسوار المدينة في تلك المعارك المريرة . وعاد أوريليان الى روما تاركا مصر تحت امرة بروبوس الذى تولى اخضاع قبائل البليمى بعد أن عجزت عن شغل الرومان بما فيه الكفاية عن الاسكندرية باستيلائها على صعيد مصر من الجنوب حتى قفط . واستطاع بروبوس رد البليمى الى النوبة وما وراءها درجة درجة . وتاريخ هذه الفترات فيه غوامض كثيرة لا سبيل الى اجلائها الا بمزيد من الوثائق المكتشفة ، وربما فيه تناقضات عديدة .

وفي عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ ميلادية) نشبت في الاسكندرية رابع ثورة استقلالية ، وهى ثورة القائد الرومانى لوشىوس دومتيوس دومتيانوس ، او أخيلوس ، كما كان يسميه الاسكندريون ، في ٢٩٦ ميلادية . وكانت قبائل البليمى قد تجددت هجماتها على الصعيد الأعلى حتى عجزت الحامية الرومانية في أسوان عن صدّهم ، فاهتدى دقلديانوس الى حل جديد لحماية طيبة (الأقصر) من غاراتهم بأن سحب الحامية الرومانية عن حدود مصر الجنوبية الى أسوان ودعا قبائل النوبات

أو النوبياد للاستيطان في منطقة النوبة لحمايتها من غارات قبائل
البلمي ، وكانت قبائل النوبات من قبل تتجول في صحراء ليبيا ،
وكذلك وعدهم باعانة سنوية مقابل خدماتهم . وما أن استقرت
الأحوال في الصعيد الأعلى حتى ثارت الاسكندرية في ٢٩٦ ميلادية بقيادة
دومتيوس دومتيانوس الذي أعلنه الاسكندريون امبراطورا على
الاسكندرية وسك العملة بصورته . فخف دقلديانوس من
نيكوميديا ، في آسيا الصغرى ، التي اتخذها عاصمة للامبراطورية
وحاصر الاسكندرية ثمانية شهور دون أن يفلح في الاستيلاء عليها ،
وأخيرا قطع قنوات المياه العذبة التي كانت تحمل مياه النيل الى
المدينة فاستسلمت الاسكندرية بعد هذه المقاومة الطويلة الباسلة .
وأشاع فيها دقلديانوس الدمار ، فخرّب أكثر أحيائها ، وذبح
من المصريين آلافا لا تعد ولا تحصى حتى سمي المصريون عصره
بعصر الشهداء .

كذلك أشاع الرومان الدمار الشامل الرهيب في بقية مراكز
المقاومة داخل البلاد ولا سيما في قفط العنيدة كما يسميها جييون
وقد كانت على طريق التجارة من البحر الأحمر ، وفي أبو صير
وفي طيبة الزهراء . ويذهب المؤرخون الى أن دقلديانوس بعد أن
قضى على حركة التحرير قضاء نهائيا اهتم باصلاح أحوال البلاد
من الناحية الاقتصادية لينعشها بعد خراب . وقد أقيم في عهده
عمود بومبي ، المعروف بعمود دقلديانوس ، وهو الذي يسميه
الاسكندريون عمود السوارى ، وهو باق الى اليوم .

وقد قضى دقلديانوس ما بقي من سنوات حكمه في اضطهاد
المسيحيين بمصر ، وكانوا يمثلون أغلبية السكان ، بتلك الوحشية
التي افاضت في وصفها كتب التاريخ ، واتبع في مصر سياسة من
شأنها تأليه الامبراطور الروماني وتقديم القرابين له كأنه أحد
الآرباب ، ظنا منه أن المصريين لن يروضوا على قبول الامبراطور الا
إذا رفع فوق مصاف البشر ، فقاوم المصريون هذه الخطة مقاومة

عديدة افضت الى استشهاد الآلاف منهم كلما . فضوا ما كان يطلبه الضباط الرومان من عبادة الامبراطور، فكانت بقية حكم دقلديانوس في مصر سلسلة دامية من الاضطرابات والاستشهاد ، في كل طبقات المجتمع ، وعلى كل مستوى ، ولكن المسيحيين كانوا في مقدمة المصريين الذين ملأوا البلاد شغبا واحتجاجا على فكرة تأليه الامبراطور بحجة أن هذا يتعارض مع ديانتهم .

هذه عجالة عن تاريخ الفترة الحرجة التي تقع فيها احداث هذه المأساة مبتقاة من مصادر التاريخ العلمية الأولى ، حتى نحو ١٩٣٦ ، قبلما يمسيها خيال الكاتب ، وقد اعتمدت عليها دون حرج قبل ان يبيل العلم الحديث معارفنا عن هذه الفترة ويعقدها وخلصتها من الناحية السياسية والاجتماعية أن الصراع بين الوثنية والمسيحية في تلك الفترة لم يكن في حقيقته الا صراعا بين الامبراطورية الرومانية وعبيد الامبراطورية الرومانية الذين التفوا في جميع امصارها حول الدين الجديد التفاهم حول لواء ثوري ينسفون به سلطان روما ، ويرفعونه في وجه الحكومات المركزية في كل حركات التحرير السياسي والاجتماعي . وقد تفشى الدين الجديد بين عبيد روما أنفسهم في قلب الامبراطورية ثم كثر معتنقوه والعاطفون عليه من مختلف الطبقات ، حتى لقد روى التاريخ أن بريسكا ، زوجة دقلديانوس ، وبنته فاليريا ، اعتنقتا المسيحية سرا ، وكانت نهايتهما الاليمة رمزا لهذا الخطر الجديد الذي أحرق بالامبراطورية . وعندى أن الامبراطور قسطنطين حين أعلن أن المسيحية هي دين الامبراطورية الرسمي بعد سنوات قليلة من هذا الاضطهاد الشامل لا تفسير له من الناحية التاريخية الا أن قسطنطين ، بفض النظر عن معتقداته الخاصة ، كان يواجه أزمة الامبراطورية الفاصلة ، وكان عليه أن يختار أحد سبيلين لا ثالث لهما : إما مجاراة عبيد الامبراطورية ومستعمراتها في عقيدتهم للاحتفاظ باطار الامبراطورية ووحدتها ،

أو التثبيت بالقديم وتعريض الامبراطورية للتفسيخ النهائي . وقد اختار السبيل الأول بوصفه سياسيا لا بوصفه مسيحيا ، فركب الموجة كما يقولون ، أى ركب التيار الشعبى ، وحال دون تفكك الامبراطورية الأجل ، وقد نجح فى ذلك كل النجاح . أما روايات الكنيسة وأساطيرها الجميلة فهى عندى أقرب الى مادة الفن منها الى مادة التاريخ .

وإذا اراد القارئ أن يعرف أهم المصادر المباشرة التى اعتمدت عليها فى جمع المادة التاريخية لهذه المأساة ، فهى أولا كتاب جيبون المشهور فى « تصدع الامبراطورية الرومانية وانهارها » ، ثم كتاب ميلن عن « مصر تحت الحكم الرومانى » ، وكتاب الأستاذ أيدريس بل فى « الديانات والعقائد فى مصر اليونانية الرومانية » ، وكتاب س. دافيز فى « علاقات الأجناس فى مصر القديمة » وكتاب الاستاذة هيلين وادل فى « آباء الصحراء » وكتاب الدكتور عبد اللطيف أحمد على فى « مصر الرومانية فى ضوء أوراق البردى » . ولكنى أوردت أيضا فى هذه النبذة التاريخية أهم وأحدث النظريات العلمية الجديدة فى ثورة آخيل - دومتيوس دومتيانوس حتى تكتمل الصورة المعروفة لدى القارئ أولا ولدى الأديب الفنان الذى قد تفريه نفسه بالتعرض لهذه الفترة التاريخية .

وغير هذه المصادر التاريخية العلمية التى لامحيد عن دراستها للوقوف على أحداث هذه الفترة الخصبة من تاريخ مصر فى العصر اليونانى الرومانى كما يسميه المؤرخون ، أو فى العصر القبطى كما يتبغى أن نسميه نحن ، اعتمدت على كتاب « السنكسار » وهو تاريخ الشهداء المصريين فى تلك الفترة الخطيرة ، وهو كتاب شبه تاريخى اختلطت فيه الحقائق بالأساطير ومعجزات القديسين ، ومن هنا أهميته لكل خلق فنى يتناول تاريخ هذه الفترة ، لأنه بمثابة التاريخ الروحى لحركة المقاومة المصرية ضد الحكم الرومانى .

ورغم أن « السنسكار » هو الكتاب المعتمد من الكنيسة المصرية في سير شهداء المسيحية في مصر ، إلا أن الاعتماد عليه أكثر مما ينبغي يضل الباحث في عصر الشهداء ويرسم له صورة جزئية عن حياة المصريين في ذلك العصر . فقد أظهرت دراسات البردي في السنوات الأخيرة أن الشهداء المصريين لم يكونوا من المسيحيين وحدهم بل كانوا من الوثنيين كذلك . وهناك قائمة طويلة من انبرديات التي تسمى اليوم بـ « أعمال الشهداء الوثنيين » ، من باب المقابلة لأعمال الشهداء المسيحيين ، تجد بحثا منها ممتعا في كتاب الدكتور عبد اللطيف أحمد على عن « مصر الرومانية » ، ومن ثم فقد وجب الرجوع إليها ، في كل دراسة لهذا العصر ، إلى المصادر التاريخية العلمية إلى جانب المصادر الكنسية ، التاريخية وشبه التاريخية ، ثم المصادر الأدبية والفنية كرواية « تاييس » لاناتول فرانس ورأية « هيباتيا » لتشارلز كنجزلي ، وعمامة الأعمال التي تصور « جو » تلك الفترة الخصبة في تاريخنا وفي تاريخ الإنسانية بوجه عام .

فالصورة العامة التي نستخلصها من دراسة التواريخ العلمية والتواريخ الكنسية معا إذن هي أن ما يسمى بـ « عصر الشهداء » في مصر كان قمة حركة المقاومة الشعبية والرسمية ضد الرومان في القرون الأولى للميلاد ، وأن المصريين على اختلاف ملهم ودياناتهم ، الوثنيين منهم والمسيحيين ، كانوا يشاركون في الكفاح الوطني ، ويقدمون للحركة الاستقلالية ضريبة الدم ، وأن كان المسيحيون في مختلف أرجاء الامبراطورية الرومانية أكثر المجاهدين ضراوة ، وأكثرهم تعصبا ، وأكثرهم شغبا وتحديا لسلطان روما بسبب نفثى المسيحية بين الفوغاء أكثر من سواهم ، وبين الطبقات الشعبية البعيدة عن ترف العلوم والآداب والفكر الفلسفى بوجه خاص .

وقد تعرض توفيق الحكيم في « أهل الكهف » لعصر الشهداء هذا ، عصر دقلديانوس ، أو دقيانوس ، كما آثر أن يسميه للتيسير على نهج بعض المؤرخين العرب، وقد اقتفيت أثره في هذا التيسير . وقارئ « أهل الكهف » بعد أن يفرغ من قراءتها لا يستطيع تكوين أية فكرة واضحة عن عصر الشهداء ، فالجو العام في « أهل الكهف » يمكن أن يكون في اليونان القديمة أو في عصر دقيانوس أو في مصر القديمة أو في العصور الوسطى الأوربية أو في الأندلس، إذا نسينا بعض الدلالات السطحية كأسماء الأبطال أو نوع العملة أو بعض الاشارات التاريخية . وتوفيق الحكيم لا يلام على هذا لأنه عالج مشكلة فلسفية هي مشكلة الزمن على المستوى الذهني الذي لا يتطلب الارتباط بجو معين ولا بشخصيات محددة الملامح .

أما المشكلة التي تعرضت لها فهي تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهي مشكلة تاريخية تتطلب دراسة العصر وجوه وأحداثه ، ومشكلة انسانية تتطلب رسم شخصيات درامية واضحة المعالم . وقد حاولت أن أتوخى الدقة التاريخية لعاملين : أولهما أننا بصدد ثورة محددة يعرف التاريخ عنها الشيء الكثير وبصدد بعض الشخصيات التاريخية التي يعرف عنها التاريخ الشيء الكثير أيضا ، وثانيهما أتى لا أرى أن من حق الفنان أن يعث بحقائق التاريخ ليخدم غرضه الفني . فإن ضاقت حقائق التاريخ عن غرضه الفني فليخلق لنفسه ولجمهوره ما شاء من أساطير ، وإنما حق الفنان مقصور على التفسير والتأويل سواء في الأحداث أو في السلوك أو في النوازع أو في الغايات أو في تصوير الشخصيات الانسانية ، كل ذلك في الحدود التي تخدم فنه ولا تشوه التاريخ المعروف ، كما أن من حقه الاستفادة من كل غموض وملء كل فراغ . ومدار عملية الخلق الفني في نظري هي تركيب جزئيات الحياة في كل ذي مغزى انساني .

ولم أجد بين الشخصيات التاريخية المعروفة ، التي اشتركت في ثورة أخيل من يمكن ان اخلق منه بطلا من أبطال الكفاح الوطنى رغم خصوبة عصر الشهداء فى الأبطال المكافحين . فدومتيوس دومتيانوس رومانى ، ولذا كان بناء شخصيته بناء يجعل منه رمز البطولة الوطنية فى مصر الرومانية . وهنا كان انتفاعى المحقق بـ « السنكسار » حيث تتوالى صور الشهداء والشهيدات والقديسين والقديسات فى موكب لا ينتهى من الأبطال الذين جلوا تاريخنا القومى بفار الخالدين .

وقد اخترت من هؤلاء شخصية أبانوفر ، وجعلت منه بطل المأساة ، كما اخترت شخصية مارتا وجعلت منها بطلتها . . . اخترت شخصية الشهيد أبانوفر لقله ماجاء فى « السنكسار » عنه بما جعلنى أحس بالحرية فى بناء شخصيته ، دون تقييد بواقع تاريخى معين ، فهو - باستثناء اسمه ، وواقعة استشهاده المذكورة فى اجمال - شخصية مبتكرة من الألف الى الياء . أما مارتا فقد جذبنى اليها قصتها الغريبة الحزينة فى « السنكسار » ، الذى يروى عنها أنها كانت بغيًا ثم اهتدت الى الله ، فانقطعت للعبادة فى الفلوات ، ولا يضيف الى هذا شيئًا كثيرًا ، وقد جعلنى غموض قصتها وشخصيتها أحس بحرية الحركة والتصور والبناء . وقد سمحت لنفسى أن أنسب « الرؤيا » التى وردت فى كتاب الأستاذة هيلين وادل عن الحمامة السوداء التى تخرج من الماء المقدس بيضاء ناصعة أظهر من الثلوج ، منسوية الى القديسة مريم المصرية، وهى أيضا بغي مشهورة ، من العصر نفسه ، تطهرت بالإيمان . . أقول سمحت لنفسى أن أنسب هذا ، « الرؤيا » الى شخصية مارتا . غير هذا فشخصية الراقصة مارتا مبتكرة من الألف الى الياء . كذلك بقية أشخاص الدراما من مصريين ورومان من بناء الخيال . فمانيتون وأيب وويلامون وفيلامينة وهاتور فى الجانب المصرى ، كلهم من صنع الخيال . أما القواد الرومان فأكثرهم شخصيات تاريخية ولكن لا يعرفون عنهم أثناء ولايتهم على مصر . إلا أسماؤهم ،

وربما بعض وقائع قليلة . فديوجين كان حاكما على الاسكندرية بين ٢٨٤ و ٢٨٦ ميلادية ، كذلك كان بومبيان حاكما عليها بين ٢٨٧ و ٢٨٩ ميلادية ، وكان روستيكان نائبا للحاكم في ٢٨٩ ميلادية ، وكان افريكانوس محافظا او ما اشبه ذلك في ٢٨٨ ميلادية . فكلهم تاريخيا من الرومان ذوى الخبرة في الشؤون المصرية ، وان كانوا قد تولوا مناصبهم الرسمية قبيل ثورة الاسكندرية في ٢٩٦ ميلادية بأموام قليلة في عهد دقلديانوس .

وقد وجدت من حقي كمنشئ ان استعين بهم كشخصيات رومانية عاملة في ثورة مصر . أما الضابط ارمانوس والاميرال ماركوس سكستوس والقائد سويروس فهم من نسج الخيال ، وكذلك شخصية فاوستينا زوجة الوالى آخيل من نسج الخيال . وقد ادخلت شخصية سويروس بالذات لأن التاريخ يروى لنا ان عمود السوارى في الاسكندرية عمود اقيم تخليدا لذكرى دقلديانوس وانتصاراته ، وهو يسمى عند المؤرخين عمود دقلديانوس لا عمود السوارى . ورغم أن هذا هو العرف التاريخى الا أنى وجدت من حقي ان استبعده ، لاعتبارين : اولهما اسمه الشائع بين المصريين ، وهو أقرب الى اسم سويروس . وثانيهما أن دقلديانوس صاحب المذابح الرهيبة في الاسكندرية خاصة وفي مصر عامة لو كانت هناك صلة بينه وبين عمود السوارى لحطمه المصريون فيما حطموا من آثار أعدائهم . فكيف يمكن أن يترك المصريون شاهد عارهم ورمز دمارهم قائما بينهم الى اليوم آية في الرونق والجمال ، وصاحبه الامبراطور دقلديانوس - ملعون على كل لسان ، الى حد جعل المصريين يبدءون تاريخهم بعصر شهدائه ، ويؤرخون السنة القبطية الأولى بتولية الملك في ٢٨٤ ميلادية ؟ واذا كان هذا جائزا أيام أن كانت للوثنية الغلبة السياسية ، فكيف يكون جائزا بعدما أصبحت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين ولما ينقض عشرون عاما على اعتزال دقلديانوس عرش الامبراطورية؟

لهذا وجدت أن من حقى أن افترض أن عمود السوارى لم يقم
تخليدا لدقلديانوس ، وانما اقيم تخليدا لشخصية لها بين المصريين
ذكرى طيبة ، وليس بين حكام مصر فى تلك الفترة اسم يقرب من
اسم سويروس Severus الا سروايوس الافريقى Servaeus Africanus
الذى كان محافظا فى الاسكندرية او ما يشبه ذلك فى ٢٨٨ ميلادية ،
اى قبل نشوب ثورة آخيل بثمان سنوات .

واخيرا فان شخصية شبيو الأصغر شخصية مبتكرة أيضا ،
ولكنى توخيت فى بنائها ما عرف عن آل شبيو الخالدين من رجاحة
عقل وحكمة فطرية وإيمان بالفضيلة وخدمة الوطن فى عزة ونبل
دون اسفاف. الى المستويات الوحشية التى بلغها الكثيرون من
الرومان فى اقامة أركان امبراطوريتهم .

تقول : وماذا بقى من التاريخ بعد كل هذا التصرف والابتكار؟
واجيب على هذا ببساطة : نعم ، بقى جوهر التاريخ .

فى مجال الشخصيات بقى آخيل ، او دومتيوس دومتيانوس
فى الجانب المصرى ، وبقى دقلديانوس فى الجانب الرومانى ، وهما
قطبا الصراع من الناحية الرسمية والعسكرية ، اى هما قطبا
الصراع امام التاريخ .

اما لوشيوس دومتيوس دومتيانوس فقل ما يعرفه عنه
المؤرخون ، والمعروف عنه لا يتجاوز كثيرا أنه كان قائدا رومانيا
فى الاسكندرية عام ٢٩٦ ، اى عام أن نشبت الثورة ، وأن
الاسكندريين كانوا - لعله ما - يلقبونه بآخيل ، وانه ثار على
سلطان روما واستقل بالبلاد ، ورضى به الشعب امبراطورا على
الاسكندرية ، وانه سك العملة بصورته وقد بقيت منها نماذج بعضها
اليوم فى المتحف البريطانى . فاضطر دقلديانوس الى قيادة الحملة
على مصر بنفسه ، وحاصر الاسكندرية ثمانية شهور ، ولم يستطع
فتح المدينة الا بعد أن تمكن من قطع القنوات التى كانت تغذيها

بالمياه ، فسلمت الاسكندرية ودخلها دقلديانوس واشاع فيها الدمار
الرهيب على النحو الذى وصفه جييون فى « تصدع الامبراطورية
الرومانية وانهارها » ، وغير جييون ممن تعرضوا لثورة آخيل .
وقد توخيت الدقة فى كل ما اوردته من وقائع تاريخية خاصة
بثورة دوميتيوس دومتيانوس وبكل ماسلفها من ثورات ، ولاسيما
ثورة اميليان وفرموس ، كما توخيت الدقة فيما ذكرته من مراكز
المقاومة داخل مصر ، سواء اكانت قفط او ابو صير او طيبة ،
وتوخيت ان الزم حدود التاريخ فى وصف علاقات المصريين والرومان
بالنوبيين وقبائل البليمى على تخومها الجنوبية .

غير انى ابحت لنفسى ان اجتهد فى بعض التفسيرات ، فذهبت
الى ان دوميتيوس دومتيانوس لم يكن مجرد قائد فى جيش روما
وانما كان الوالى فى الاسكندرية ، سواء بقوة القانون او بقوة الامر
الواقع ، نظرا لعدم اهتداء المؤرخين الى اسم الوالى الرومانى الذى
كان يحكم مصر فى ٢٩٦ ميلادية ابان ثورة آخيل ، مما يرجح ان
امر السلطة فى تلك الفترة لم يكن واضحا ، وان السلطة الفعلية
كانت فى يد دوميتيوس دومتيانوس . اما معالم شخصية دومتيانوس
او دوافعه للقيام بهذه الثورة على الامبراطورية الرومانية فالتاريخ
لا يعرف عنها اذى شىء . وقد اتاح لى هذا الغموض ان ابنى
شخصيته وان اصور دوافعه بما يتمشى مع فهمى لمشاكل
الامبراطورية الرومانية فى هذه الفترة ، ومع مقتضيات البناء
الدرامى . اما زوجته فاوستينا فهى من خلق الخيال .

كذلك اذنت لنفسى ان اذكر قبائل البليمى على انها
قبائل ابريم ، فقد كان مركز البليمى فى منطقة ابريل ، ولا نعرف ان
كان البليمى اسما مختلفا عن ابريم ثم درس مع الزمن ام انه نفس
الاسم محرفا فى حرفه السائل كما يقول علماء اللغة ، وهو تحريف
اشيع ما يكون فى المنطقة . كذلك ابحت لنفسى ان اسمى قبائل
النوبات قبائل النوبيين للسبب عينه ، واستنادا الى جييون .

أما كل ما ورد عن تحركات هؤلاء وأولئك فمستمد من وقائع التاريخ .

كذلك لزمّت الدقة التاريخية في سائر الوقائع التي أوردتها عن الإمبراطور دقلديانوس ، فيما خلا وصف الطريقة التي استولى بها على الإسكندرية التي لا يروى التاريخ عنها إلا أنه قطع عنها قنوات المياه بعد ثمانية أشهر من الحصار ، فتفاصيل المعركة الفاصلة في الإسكندرية ليس لها أي سند تاريخي إلا في حدود ما ذكرت ، وقد أكملت التاريخ الناقص بتصورات الخيال : أما تصوير شخصية دقلديانوس فقد توخيت فيها أن أتجنب رأي الكنيسة الرسمي ، وهو أنه كان شيطانا مريدا ، وأن أتجنب رأي جييون في تحليله المتم لخلقه ، لأن جييون كان سخيا معه أشد السخاء . وقد رجحت أن سخاء جييون مع دقلديانوس كان مرده احتقاره للمصريين بوجه عام وبفضه لتعصب مسيحي الإمبراطورية الرومانية بوجه خاص ، وتنديده بميلهم إلى الشعب . لهذا رأيت أن أزم الاعتدال في تصويري لشخصية دقلديانوس فأبني شخصيته من مقدمات حياته التي يعرفها التاريخ ، وأن كنت قد استعنت بجييون في بعض ما ألقيت من أضواء على هذا السفاح العظيم .

وشخصية قسطنطين - كما هو معروف - شخصية تاريخية، وقد توحدت الإمبراطورية تحت عرشه بين ٣٢٣ و ٣٣٧ ميلادية . كذلك نسبه إلى الإمبراطور كونستانس وهيلانة ثابت تاريخيا . ولكن الذي اختلف فيه المؤرخون هو شخصية هيلانة نفسها التي يدعيها كل لأمته . فهي عند جييون ، بناء على مصادره طبعا ، بريطانية تزوجها كونستانس أيام أن كان يحكم بريطانيا وفرنسا وإسبانيا من القصر الإمبراطوري في يورك ، وهي في «السنكسار» - وهو تاريخ الشهداء المصريين - مصرية عرفها كونستانس حين زار مصر ورآها بمدينة الرها ففتن بجمالها وتقواها ، فتزوج منها وأنجبت له قسطنطين ، وهي تسمى في «السنكسار» : «القديسة

هيلانة المصرية» ، ولها يوم مخصص لها في السنة القبطية تحتفل فيه الكنيسة المصرية بعيدها .

اما قداسة هيلانة فقد اتفقت كل المصادر على أنها اول من اكتشف صليب المسيح ، او قطعة منه على الأصح ، اثناء اقامتها ببيت المقدس لتؤدي فريضة الحج . وتجرى في ذلك روايات او اساطير متعددة ، ثم ان هيلانة هي أم قسطنطين ، وهو اول امبراطور روماني أعلن ان الدين المسيحي هو دين الامبراطورية الرسمي ، والمعتقد أنها علمت ابنها مبادئ المسيحية سرا وهي تعيش في بلاط وثنى ، مما غير مجرى التاريخ في الامبراطورية الرومانية ، بل مما غير مجرى التاريخ جملة . فلا بدع بعد كل هذا ان تتنازع أكثر من أمة منبت هيلانة من باب المباهاة والتبرك . وقد وجدت أن من حقى أن آخذ بالرواية المصرية الواردة في « السنكسار » من دون الرواية الأوربية الواردة في جيون وغيره من المؤرخين .

ومادمت قد افترضت أن هيلانة أم قسطنطين كانت مصرية ، فقد كان من الطبيعي أن أحاول أن أربط بينها وبين مختلف الحركات الاستقلالية التي ظهرت في مصر ولا سيما ثورة أخيل ، فجعلتها المحرك الخفى لهذه الثورة الاستقلالية وهي قابضة في منفاها ببيزنطة ، بعد أن طلقها كونستانس بضغط من دقلديانوس كما يروى التاريخ ليزوجه زواجاً سياسياً من بنت مكسيميان ، شريكه في الامبراطورية ، وقد تم هذا الطلاق حين كان الأمير قسطنطين في الثامنة عشرة من عمره أى قبيل ثورة أخيل بسنوات قليلة ، ففي ٢٩٦ ميلادية كان عمر الأمير قسطنطين يتجاوز العشرين بسنوات قليلة . افترضت أن الامبراطورة هيلانة المصرية بدافع الوطنية وبدافع حقوقها وحقوق ولدها الشرعية المقتضية ، آذرت ثورة أخيل سرا لتنصب ابنها امبراطورا على الدولة الرومانية كلها بحيث ينقل حاضرة الملك الى الاسكندرية ، وهو مشروع سياسى ليس في اسانيد التاريخ ما

يشير اليه : ولكن ظروف هيلانة وقسطنطين توحى بجوئزه من حيث الدوافع الانسانية .

وقد ذكرت كل هذه التفاصيل الخاصة بمادة هذه الدراما التاريخية لأبين للقارئ الذى يجهل المصادر أين ينهى التاريخ فيها وأين يبدأ الخيال حتى لا يختلط عليه الأمر فيحسب أن أكثر ما يراد من حقائق التاريخ ، فيعتمد عليه اعتماداً على الوقائع العلمية الثابتة .

وبعد ، فما كل هذه الحقائق والأساطير التاريخية الا اطار او الرحم الدافىء الذى وجدته لازماً لنمو هذا الكائن العضوى ، وهو المأساة بأبطالها المختلفين الذين يحمل كل منهم مشكلته كما يحمل مصيره الأسيف داخل الاطار الاكبر وهو مشكلة الوطن ومصيره الأسيف .

هذه المعلومات التاريخية التى كانت مستقرة عند العلماء حتى نحو ١٩٣٥ عن ثورة لوثيروس دوميتيوس دوميتيانوس الذى اشتهر بين اهل الاسكندرية باسم أخيلوس أو أخيل ، تجدها فى جيبون وعامة المؤرخين التقليديين ، كما تجدها فى أبحاث العلماء المحدثين من علماء البردى وعلماء النقوش والنقود ، ولاسيما عالم البردى العظيم فيلكن ، وهى المعلومات التقليدية التى بنيت عليها الهيكل التاريخى فى هذه الدراما .

ولكن هذه ليست نهاية القصة . فقد حدثت فى الفترة الأخيرة مفاجأة علمية ضخمة قلبت نظريات المؤرخين رأساً على عقب حين خرج العلامة بوك بنظرية جديدة تقول ان دوميتيوس دوميتيانوس وأخيل شخصان تاريخيان مختلفان لاشخص واحد كما كانت تقول الاسانيد التاريخية منذ القرن الرابع . وظلت المناقشة فى هذا الامر سجالاً بين فيلكن ومن ذهبوا مذهباً وبين بوك ومن ذهبوا مذهباً حتى أعلن فيلكن اقتناعه أخيراً بنظرية بوك وعدل عن نظريته التقليدية التى

نحا فيها بناء على ما قرأه من نصوص بردية مكتشفة منحى قدماء
المؤرخين .

فالمصادر الأدبية القديمة والمصادر التاريخية القديمة مثل
«تاريخ» يوسبيوس لا تعرف الا اسم آخيل على انه القائم بهذه
الثورة في الاسكندرية . ثم عثر على بعض النقود التي سككت في
الاسكندرية ، ومنها ما وجد في مصر ومنها ما وجد في بلاد الفال
(فرنسا القديمة) ، وعثر على بعض البرديات القليلة التي جعلت
فيلكن واشياعه يجزمون بان آخيل هو نفس دومتيوس دومتيانوس .
فمن نماذج النقود التي عثر عليها العلماء العملة المنشورة صورتها
على غلاف هذا الكتاب ، وهي ترجع الى ٢٩٦ ميلادية او نحوها ،
وقد نقش على وجهها مع صورة الامبراطور المكلل بالفار عبسارة
«دومتيانوس سيب» بالحروف اليونانية وهي اختصار «دومتيانوس
سيباستوس» ، ونقش على ظهرها حول صورة المرأة المجنحة حرف
«ل» وحرف «ب» باليونانية وهو تاريخ اصدار العملة . أما كلمة
«سيباستوس» فهي الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة «اغسطوس»
اللاتينية ، ومعناها «العظيم» ، وهي اللقب الرسمي لباطرة
الامبراطورية الرومانية منذ اغسطوس قيصر خليفة يوليوس قيصر .
وظهور النقش على العملة بالابجدية اليونانية وباللقب الامبراطوري
الروماني الرسمي مترجما الى اليونانية له دلالة واحدة وهو ان
دومتيوس دومتيانوس حين قام بثورته انما قبل التمشي مع تقاليد
الاسكندرية التي كانت يونانية الثقافة يونانية الشخصية منذ
البطالسة ، ورمز هذا القبول تخليه عن اللغة اللاتينية ، وهي لفظة
روما ، هجاء وعبارة . كذلك حرف «ل» في اليونانية يرمز الى كلمة
«اتوس» اي «من عام» وحرف «ب» (بيتا) وهو ثاني حروف الهجاء
باليونانية يرمز الى السنة الثانية من حكم دومتيوس دومتيانوس ،
واللاتين يستعملون كلمة «انو» بمعنى «من سنة» لا رمز كلمة
«اتوس» طبعا . اما تليق دومتيانوس بسيباستوس اي اغسطوس

فيستفاد منه أن دومتيانوس لم يقنع بالقاب الملك المحلية في الاسكندرية ، وانما اصطنع لنفسه نفس اللقب الامبراطوري الذي يستخدمه اباطرة روما ، بما يوحي انه لم يعلن نفسه امبراطورا على الاسكندرية وحدها بل اعلن نفسه امبراطورا على العالم الروماني كله بدل دقلديانوس .

وقد عثر في الاسكندرية في أواخر القرن الماضي على نقش يوناني خاص بكلوديوس فيرموس ، صاحب ثورة فيرموس التي نسبت ايام الامبراطور اوريليان والتي تقدم ذكرها ، موصوفا بكلمة « ايبانورثوتيس » وبحسب ما ذكر الاستاذ ش . ه . روبرتس في الجزء الاول من « برديات ميرتون » الذي وضعه مع ايدريس بل (ص ١٥٨ وما بعدها) تدل المصادر التاريخية على ان كلوديوس فيرموس كان واليا على مصر في ٢٦٤/٢٦٥ ميلادية معينا من قبل امبراطور روما طبعاً ، وان كان اسكندري الموطن واللغز المحير في هذا أنه وهو الوالي يلقب في النقش بلقب « ايبانورثوتيس » . فلقب ايبانورثوتيس هذا كان اللقب اليوناني المؤلف لأي مبعوث خاص أو مندوب سام يرسله امبراطور روما الى الولايات الرومانية أو المدن الحرة في اسيا أو اخايا ، وفي القرن الثالث الميلادي عرفت ايطاليا نفسها اشخاصا عينوا فيها في هذه الوظيفة ، وكان الرومان يسمون هذا المفوض السامي باللاتينية « كوريكتور » أي « المصلح » أو « المصحح » وكلمة « ايبانورثوتيس » اليونانية تعنى اشتقاقا نفس المعنى ، أي تعنى « المصلح » .

والمفروض في « المصلح » هذا انه مبعوث بسلطات أعلى من سلطات الوالي يوفده الامبراطور لاصلاح حال الولاية اذا اضطرب حالها واختلت امورها لدرجة تحتاج الى تدخل امبراطوري . ولم يعرف في التاريخ ان مصر كانت من بين البلاد التي كان يوفد اليها « مصلح » أو « كوريكتور » أو « ايبانورثوتيس » ، ولكن يبدو أن أحوالها اضطربت في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي الى حد دعا

الى ايفاد «مصلحين» اليها يفتشون في أعمال الولاية ويرفعون المظالم عن الناس .

وقد وجدت في مضر برديتان تلقيان ضوعا على العمل بنظام المصلح هذا في مصر الرومانية وكلاهما من عهد دقلديانوس ولقتهما يونانية . أما الاولى وهى فى متشجان فقد نشرها العلامة ونتر سنة ١٩٢٧ ، وهى ترجع فيما يقال الى ٢٩٦ ميلادية ، وهى تشير الى « ايبانورثوتيس أخيليسوس » الى « المصلح أخيل » . وقد ذهب فيلكن وغيره ان المصلح أخيل هذا ليس الا دومتيوس دومتيانوس الذى قام بثورة فى صعيد مصر فى ٢٩٤ - ٢٩٥ ميلادية حسب تقديره ثم حاصره دقلديانوس فى الاسكندرية وقمع ثورته . وقد قبل العلماء هذا الراى لان اسم الثائر المتواتر فى النصوص الادبية والتاريخية القديمة هو أخيل . غير ان ونتر حين اعاد نشر هذه البردية انتهى الى ان لقب «المصلح» كان فى مصر لقب وظيفة مدنية ، مستشهدا فى ذلك ببردية اخرى باليونانية فى القاهرة وجدت حديثا . مؤرخة فى السنة الثانية من حكم ل . دومتيوس دومتيانوس وفى هذه البردية يظهر اسم المصلح اوريليسوس أخيل « ايبانورثوتيس اوريليسوس اخيليسوس » لا على انه الثائر نفسه ولكن على انه موظف فى خدمة هذا الثائر . وفى هذه البردية تظهر اسماء ثلاثة اشخاص : اسم دومتيوس دومتيانوس مقتصب العرش ، واسم أخيل بوصفه «مصلحا» عينه دومتيانوس ، واسم ايبارخوس وهو الوالى الشرعى الذى عينه دقلديانوس . وقد استخلص روبرتس من ابحاثه ان وظيفة « ايبانورثوتيس » او «المصلح» هذه كانت وظيفة مدنية سامية تشمل واجباتها النظر فى القضايا وتمتد ولايتها على مصر كلها على الارجح . وفى بعض النصوص نجد «المصلح» يباشر سلطاته جنبا الى جنب مع «الوالى» بينما فى نصوص اخرى نجد ان سلطته اعلى سلطة فى البلاد ، وان كان من الجائز افتراضا ان « المصلح » مارس هذه السلطة العليا نظرا لغياب الوالى الشرعى او لعدم وجوده ، ولكن

هذا الافتراض مستبعد لأن من المستبعد أن يسمى الوالى المرؤوس الذى يعينه ايا كان قدره باسم «المصلح» ، وهو مندوب سام بحسب تقاليد الرومان كان لا يوفد الا فى احوال خاصة لفتح دفاتر الولاية وكبار الموظفين كلما اشتد فى الحكومة الامبراطورية برومما عدم الارتياح الى الطريقة التى تدار بها ولايسة من الولايات أو كشر الاضطراب فى هذه الولاية . ومما يجدر بالذكر أن النصوص تذكر «مصلحا» فى فترة قريبة اسمه «ايبانورثوتيس ثيودوروس» أى «المصلح ثيودور» وقد رأى الاستاذ شتاين ان المصلح ثيودور هذا هو نفس كلودينوس تيودوروس الذى ورد اسمه فى بردية ستراسبورج ، وقد عين هذا «مصلحا» فى مصر عام ٢٥٨ ميلادية ايام أن كان ل. موسيوس اميليانوس ، او باختصار اميليان ، واليا عليها بين ٢٥٧ و ٢٥٩ ميلادية . واميليان هو صاحب الثورة المشهورة التى اعان فيها استقلال مصر عن الامبراطورية الرومانية كما ذكرنا .

وقد كان اكتشاف هذه البرديات هو بداية البلبلة التى أحاطت بشخص دومتيوس دومتيانوس فى السنوات الاخيرة . فكيف يكون آخيل ودومتيوس دومتيانوس شخصا واحدا ، كما كان يقبول فوجت وفيلكن ، اذا كانت بعض البرديات تذكر آخيل على أنه «مصلح» فى عهد دومتيوس دومتيانوس . انظر الى كتاب وتسر «برديات متفرقة» الصادر عن جامعة مشيجان فى ١٩٣٦ تجده فى ص ٢٩١ وما بعدها يحلل بردية ترجع الى ٢٩٦ ميلادية تشتمل على رسالة من بانيسكوس الى بلوتوجينيا . وقد نشرت هذه الرسالة لأول مرة فى ١٩٢٧ ، وهى التى اعتمد عليها فيلكن وكوبتشيك الخ . فى القول بان «المصلح آخيل» الوارد ذكره فى البردية هو عين دومتيوس دومتيانوس اعتمادا على أن المصادر الادبية لا تعرف ثائرا فى هذه السنة الا آخيل واهمها «خرونيكون» أو «تاريخ» يوسبيوس ، بينما دراسات النقود كما قال كوبتشيك لا تعرف ثائرا الا دومتيوس دومتيانوس . وبعد ان نشر الاستاذ بوك بردية القاهرة

رقم ٥٧٠٥٩ وحلها أجلي كل غموض . فالبردية تذكر « المصلح اوريليوس آخيل » وتقول بعرض « الدعوى » عليه ، وهي تذكر تاريخ الرسالة في السطر ٣١ أنه السنة الثانية من حكم دومتيانوس سيباستوس الذي تحدثنا عنه النقود . وبناء عليه فهذه البردية تصور اوريليوس آخيل على أنه كان « مصلحا » يشغل وظيفة مدنية بموجبها يفصل في دعاوى الناس . وأنه كان يخدم في عهد دومتيوس دومتيانوس ، فأخيل اذن ليس مقتصب عرش الإمبراطورية الرومانية من دقلديانوس ولكنه موظف في خدمة المقتصب دومتيوس دومتيانوس . ويجزم ونتر. بان اوريليوس آخيل المذكور في بردية القاهرة هذه هو نفس اخيليوس الواردة ذكره في بردية جامعة مشيجان المرقومة ٢٢٠/٣ ، فالخطاب الوارد في الأولى مؤرخ ١٢ توت وتاريخ بردية القاهرة ٨ توت ، وكلاهما محرر في الايام الاولى من السنة الثانية (ايتوس بيتا) من حكم دومتيانوس سيباستوس . ففي رأى كويتشيك أن السنة الثانية من عهد دومتيانوس بدأت في ٢٩ أغسطس ٢٩٦ (انظر محاضر اكااديمية العلوم في فيينا - الفلسفة والتاريخ ، ٢٠٨ أول ، ١٩٢٨ ، ص ١ - ٣٦) . وليس معنى هذا ان دومتيانوس أو اخيليوس حكم سنتين كاملتين ، فالمعروف ان السنة المصرية ، التي تسمى القبطية الآن ، كانت تبدأ في ١ توت المقابل ليوم ٢٩ اغسطس بالتقويم الروماني . والمتفق عليه بين العلماء الآن ان ثورة دومتيانوس قامت في يوليو ٢٩٦ وانتهت في فبراير ٢٩٧ بعد انقضاء ثمانية شهور على استقلال مصر . وقد جرى العرف بين القدماء ان يبدأوا السنة في حكم كل عاهل بتاريخ ٢٩ اغسطس وهو بداية السنة الزراعية المستقرة في مصر . وبهذا تحسب السنة الأولى في حكم دومتيانوس من قيام الثورة في يوليو ٢٩٦ الى ٢٩ اغسطس من نفس السنة ، ثم تبدأ السنة الثانية من حكمه التي لا تنتهي نهاية طبيعية بل تنتهي في فبراير ٢٩٧ . ومعنى هذا أن السنة الأولى كانت مجرد شهرين الى ثلاثة والسنة الثانية نحو ستة شهور ، وهذا مجموع حكم دومتيانوس

وهو ثمانية شهور . ومن ابحاث جون جاريت ونتر المنشورة في كتابه المذكور في ١٩٣٧ ننتهي بنتيجة واضحة وهي ان قراءة البرديات المكتشفة تدلنا على ان آخيل لم يكن اسم الشهرة لدومتيانوس ، وانما كان «الابانورثوتيس» او «الكوركتور» او «المصلح» في عهد دومتيانوس ، وان وظيفته كانت وظيفة مدنية لا عسكرية قوامها النظر في الشكاوى ورفع المظالم ، وفقا لاختصاصات «الكوريكتور» او المندوب المصلح الذي كان يعينه اباطرة روما كلما ساءت الامور في ولاية من الولايات الرومانية .

اما بردية القاهرة رقم ٥٧.٥٩ التي احدثت كل هذا الانقلاب في تفكير المؤرخين عن العلاقة بين شخصية دومتيوس دومتيانوس وشخصية اخيليوس ، والتي نشرها ا.ا.ر. بوك استاذ علم البردى بجامعة مشجان ، فهي ترجع الى ٢٩٦ ميلادية ، (انظر النص في مجلة «الدراسات البردية» الصادرة عن جمعية قواد الاول البردية ، الجزء الخامس ، المطبوعة في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في ١٩٣٩ ، ص ٨٥ وما بعدها) . والبردية عبارة عن عريضة مقدمة الى شخص يدعى اوريليوس ليونتيوس ، ويلقب أيضا بايسيدور في البردية ، وكانت وظيفته نائب المصلح او ممثل «الابانورثوتيس» في اقليم ارسينوى ، وهو مديرية الفيوم . ومقدمة العريضة أختان هما اوريليا ثايسيس واوريليا كيرلس ، بنتا رجل يدعى كوبريس ، من قرية كارانيس ، وهي كوم اوثيم حاليا ، عن طريق خالهما ووكيلهما الرسمي اوريليوس امونيوس بن ايسيدور .

ولا بأس من ان نورد هنا موضوع هذه العريضة لطرافتها ، فشكوى البننتين تتلخص في أن زوجة ابيهما ، واسمها غير مذكور في البردية ، رغم اعترافها بأن اباها المتوفى لم يكن مدينا لها بشيء قبل وفاته ، جعلت اباها يغتصب ٢٧ راسا من الغنم من قطع ابيهما ، ثم زعمت أن اباها المتوفى كان مدينا لها بحلقة ذهبية قيمتها «مينا» واحدة ، أي ١٠٠ درهم و ١٠٠ دراخمة تساوي خروسميون

باليونانية « قرش ؟ » أو أوريبوس باللاتينية ، أى « ذهب » ولكنهما عجزت عن اثبات هذا الادعاء لأنها لم تستطع تقديم أى دليل الا الدليل الشفوى . ثم ابرزت زوجة الاب بعد ذلك عقدا زعمت ان زوجها المرحوم حرره أثناء حياته وأثبت فيه حقها في نصف جارية كان يملكها ، وكان ذلك بمثابة ضمان لمهرها الذى سبق ان أنفقه ، أى انه وهن لها حصة النصف في الجارية مقابل مهرها الذى اتى عليه . وتذهب البنتان الشاكيتان الى أن زوجة ابيهما لاتستطيع ان تقيم الدليل على ادعائها الحق في نصف الجارية لان القانون يحتم ان يقوم المهر المدون كتابة بمعرفة صائغ ان كان حليا أو أدوات معدنية وبمعرفة خياط ان كان ملابس . وتذهب البنتان الى ان عقد المهر وعقد الضمان في نصف الجارية باطلان . وهما تنتظران ان تقدم زوجة ابيهما الى المصلح نفسه بعض المعلومات او المستندات الخاصة بهذه التركة ، وهما تلتزمان تخويل وكيلهما ليونتيس مطالبتها بصور من هذه الوثائق حتى تتمكننا من فحصها والتثبت من صحتها والدفاع عن دعواهما في محكمة « المصلح » . وتختم الفتاتان العريضة بتذكير « المصلح » بانهما من دافعى الضرائب المنتظمين ، وهى صيغة مألوفة فى امثال هذه العرائض الخاصة بالدعاوى المدنية .

اما من الناحية التاريخية فأهم ما ورد فى هذه البردية هو الإشارة الى اوريليوس اخيل وهو القائم بنظر الدعوى ، ورئيس ليونتيس المقدمة اليه الدعوى . ويقول بوك أن آخيل « المصلح » هذا هو نفس الايبانورثوتيس الوارد ذكره فى بردية متشجان ٢٢٠/٣ وهى مؤرخة فى نفس الشهر الذى كتبت فيه بردية القاهرة . ويرى الاستاذ بوك ان تاريخ البردية بالستة الثانية من عهد دومتيوس دومتيانوس يدل دلالة قاطعة على ان دومتيانوس كان صاحب السلطة العليا ، وان له عهدا يؤرخ به كما يؤرخ بعهد الاباطرة ، وان « المصلح » آخيل المشار اليه فى البردية لا يمكن ان يكون هو نفس

دومتيوس دومتيانوس ، بل هو مجرد «مصلح» عينه دومتيانوس له «نائب مصلي» في مديرية الفيوم ، وان هذا المصلح كان يملك سلطات قضائية جرت العادة ان تكون في يد الوالي ، ولكننا نجد هنا تنتقل الى يد «المصلح» في ظروف استثنائية يتكشف فيها سوء حال البلاد وانتشار المظالم مما يدعوا الامبراطور الى تعيين وصي مؤقت على الوالي . وايا كان الامر فاننا نجد في البردية مشيجان ٢٢٠/٣ ان الوالي كان غائبا في الصعيد فيما وراء مدينة قفط . ويقول بوك ان غياب الوالي في الصعيد قد يفسر تعيينه «مصلحا» يقوم ببعض اختصاصاته اثناء غيابه . وعلى كل حال فبحث الاستاذ م . بنبيه في «المغتصب آخيل ولقب المصلح» المنشور في تقارير اكااديمية النقوش والاداب (باريس ١٩٢٩ ص ٢١٦ - ٢٢١) يدل على وجود مصلي آخر من نوع آخر في مصر ابان القرن الثالث الميلادي . كذلك من غير الواضح شخصية هذا الوالي الغائب في الصعيد ، هو الوالي الثوري الذي اضطرته ضرورات الثورة ان ينتقل الى الصعيد الاعلى والذي عين آخيل مصلحا اثناء غيابه، أم هو الوالي الشرعي الذي يمثل الامبراطور دقلديانوس وقد فر الى الصعيد الاعلى امام قوات الثوار . كذلك غير واضح ما كان يفعله هذا الوالي جنوب قفط وهل له علاقة بتحركات قبائل البليمى وقبائل النوباتاي التي حدثتنا المصادر التاريخية عن دورها في ثورات مصر الاستقلالية ابان القرن الثالث الميلادي .

والعلامة الان جونسون بحث هام عن «لوشيوس دومتيوس دومتيانوس اوغسطوس» نشره في مجلة «كلاسيكال فيلولوجي» عدد يناير ١٩٥٠ ، الجزء ٤٥ (ص ١٣-٢١) . واهمية جونسون انه من فطاحل العلماء في اقتصاديات العالم القديم .

فكل ما تقدم يثبت ان دومتيوس دومتيانوس وآخيل شخصان مختلفان ، وان الثائر على دقلديانوس المقتصب لعرش الامبراطورية كان دومتيانوس وليس آخيل ، كما يكاد يثبت ان دومتيانوس

بوصفه الامبراطور الجديد على الامبراطورية الرومانية عين آخيل في وظيفة «مصلح» في مصر ببعض سلطات الوالى او بجمعها . اقول « يكاد » يثبت لان مصدر سلطة آخيل لا يزال الى الان غير معروف ، وكل ما نستطيع ان نقطع به في المرحلة الحالية هو ان ذكرهما في بردية واحدة يدل على شرعية سلطات آخيل في عهد دومتيوس دومتيانوس . كذلك يستفاد من كل هذه الشواهد ان دومتيانوس ، وان كان قد قام بثورته على دقلديانوس في مصر ، الا انه يرجح انه لم يكن محصور الاطماع في نطاق مصر بل كان ذا اطماع عالمية على نطاق الامبراطورية كلها . ولا يستفاد هذا من مجرد تلقيبه نفسه على عملته التى سكتها بالاسكندرية بلقب «سياستوس» أى «اغسطوس» متشبيها باباطرة روما ، ولكن يستفاد ايضا من عثورنا على عملات برسمه في بلاد الغال ، مما يوحى بانه نجح ابان حكمه الوجيز في ايجاد صلة اخذ وعطاء مع بلاد الغال ، سواء بالتجارة او غيرها . وعلى كل حال فتواطؤه فى توقيت ثورته مع جوليان فى قرطاجنة ليثور على روما فى الوقت نفسه ومع موريتانيا فى المغرب الاقصى يدل على سعة اتصالاته وقوتها وربما يوحى بان مؤامرة عزل دقلديانوس كانت اوسع نطاقا مما يبدو للعيان ، ولعل بعض رومان روما انفسهم كانوا ضالعين فيها بسبب طغيان دقلديانوس او بسبب مسلكه مع الاديان المختلفة فى الامبراطورية . والدليل الاقوى على ان وضع دومتيانوس اغسطس كان على مستوى الامبراطورية هو اقدمه على تعيين كوريكتور او مصلح يمثله فى مصر ، فلو كانت سلطته ودعاواه قاصرة على عرش مصر لما احتاج الى تفويض هذه السلطات الى مصلح على النهج الذى انتهجه اباطرة روما .

ويقول جونسنون ان ما وجد من نقود باسم لوشيبوس دومتيوس دومتيانوس كله صادر فى السنة الثانية من حكمه لسبب بسيط وهو ان السنة الاولى من حكمه لم تتجاوز شهرين ولعله لم يسيطر على دار سك النقود فور قيامه بالثورة ، وقصر هذه

الفترة نفسه يفسر أيضا عدم وجود وثائق بردية من السنة الاولى من حكمه . وهذه النقود من نوعين ، بعضها من النوع المألوف سكه في الاسكندرية قبل عهده من فئة الثلاثة دراهم وبعضها من النوع البرونزي على غرار العملة الامبراطورية التي بدأ دقلديانوس في سكها نحو ٢٩٣ ميلادية . ومن رأى جونسون بناء على دراساته في وثائق الفترة المتعلقة بالضرائب وتموين الجيوش وما الى ذلك ان ثورة دومتيانوس نشبت في وقت ما بين ٢٣ يوليو و٢٩ اغسطس ٢٩٧ وانه لم يسيطر على الفيوم قبل نهاية يوليو ولم يسيطر على دارسك النقود في الاسكندرية قبل نهاية السنة الاولى من حكمه ، أي قبل ٢٩ اغسطس ٢٩٧ ، وأن الثورة سحقت في ربيع ٢٩٨ .

ويرجع جونسون أيضا أن أخيل كان قد عينه دقلديانوس أولا في وظيفة « المصلح » ثم انضم الى دومتيانوس حين قام هذا بثورته على دقلديانوس . ويجيب جونسون على السؤال الحائر : لماذا خلت كتب المؤرخين القدماء من اسم دومتيوس دومتيانوس ولم تذكر الا اسم أخيل ثائرا على دقلديانوس ؟ بقوله انه من الجائز أن دومتيانوس كان قد صفى في المراحل الاولى من الثورة وبقي أخيل وحده في الميدان وكان المسئول عن ذلك الدفاع المستميت عن الاسكندرية اثناء حصار دقلديانوس لها بما جعل فضيل قيادة الثورة ينسب اليه بصورة طبيعية .

ويستفيد جونسون من هذا التغير الذي يقترحه لسنة وقوع الثورة ليخرج برأى جديد وهو أن الثورة نشبت في مصر نتيجة للإصلاحات الاقتصادية والإدارية التي أدخلها دقلديانوس وينفى بذلك أن دقلديانوس أدخل إصلاحاته بعد قمع الثورة حتى تستتب الأحوال ، وهو الرأي الشائع بين المؤرخين . فمن هذه الإصلاحات مثلا نظام الضرائب الجديدة التي أدخله دقلديانوس في مصر بمرسومه على أساس الإنتاج أي على أساس الرأس والوحدة الزراعية . فهو

يوجد الضريبة على الرأس بين الذكور ويوجد الضريبة على الأطيان بحساب الإناث نصف الذكر ويوجد الضريبة على الأطيان بحساب الأرورة ، وهي نحو ثلثي الفدان ، أو ما يستطيع رجل واحد أن يزرعه في السنة بمفرده . وبرى جونسون أن هذه الإصلاحات أنزلت أضرارا فادحة بالطبقات الممتازة ولا سيما اليونان الذين كانوا يدفعون ضريبة رأس وضريبة عقارية أقل مما كان المصريون يدفعون كما أنهم كانوا يتمتعون بإعفاءات كثيرة . كذلك يرى جونسون أن توحيد دقلديانوس للعملة في مصر ، بل في الإمبراطورية كلها ، وهو يعد أحد إصلاحاته ، ربما خدش شعور الإسكندرانيين الذين كانوا دائما يفاخرون بوضع مدينتهم الممتاز .

ثم هو يضيف إلى ذلك عاملا هاما وهو إعادة دقلديانوس تقسيم مصر إداريا بتقسيمها إلى ثلاثة أقاليم هي إقليم طيبة ويشمل الصعيد إلى البهنسا وإقليم هرقليا ويشمل مصر الوسطى وإقليم جوفيا ويشمل الوجه البحري بما فيه الإسكندرية . وقد كان معنى هذا التقسيم الجديد أن تفقد الإسكندرية مركزها الممتاز السنوي اعترف به كل الإباطرة من قبل وأن تصبح مجرد عاصمة لإقليم من أقاليم مصر . فالثورة على دقلديانوس أذن عند جونسون كانت ثورة قامت بها الطبقات الممتازة في مصر ولا سيما في الإسكندرية ، وكان قوامها من اليونان والرومان المحليين ، ولا سيما اليونان الذين يمثلون أغلبية الأجانب المستوطنين ، وعنده أيضا أنها كانت ثورة طبقات التجار وأرباب الحرب أساسا سواء في الإسكندرية أو في قفط ممن آذتهم إصلاحات دقلديانوس الاقتصادية والإدارية وحرمتهم من إعفاءاتهم وامتيازاتهم كما خدشت كبرياء الإسكندرية بتحويلها إلى مجرد مدينة من مدن مصر . فإصلاحات دقلديانوس المشهورة لم تكن نتيجة الثورة ولكن الثورة كانت نتيجة هذه الإصلاحات . كل هذه الافتراضات دعت جونسون إلى تأجيل تاريخ الثورة سنة كاملة ، فقد أرجعها إلى صيف ٢٩٧ بدلا من

٢٩٦ ، باعتبار أن تاريخ المراسيم الامبراطورية باعادة تنظيم مصر اداريا كان في ١٦ مارس ٢٩٧ ، وكان اعلانها في ربيع ٢٩٧ نفسه .

وايا كانت قيمة هذه الاستنتاجات التي ذهب اليها جونسون فقد وجب اثباتها لتعطي صورة عن حالة البلاد في تلك الفترة القلقة ولكن الذي يتعارض مع رأى جونسون حقا ويشكك في استنتاجاته أن أفضح أعمال التنكيل والتذبيح والابادة بالجملة التي أنزلها دقلديانوس بسكان مصر بعد أن قمع الثورة نزلت بالمصريين عامة وبالمسيحيين منهم خاصة الى حد جعل الكنيسة المصرية تبدأ التاريخ بعام الشهداء وهو عام المذبذب الرهيبة التي اوقعها دقلديانوس بمسيحي مصر .

ومن المعروف أن المسيحية في تلك الفترة من التاريخ كانت أوسع انتشارا بين الفقراء منها بين الاغنياء . فلنعد اذن للتاريخ الشائع بين العلماء لثورة دومتيوس دومتيانوس وهو يوليو ٢٩٦ الى فبراير ٢٩٧ ميلادية ، وسنجد في البحث الذي نشره الاستاذ بوك بعنوان « كراتيس و ثورة دومتيوس دومتيانوس » في الجزء الثامن من مجلة « الدراسات البردية » (طبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٤١ - ٤٨) تأييدا لهذا التاريخ استنادا على دراسة طائفة البرديات والشقافة التي عثرت عليها بعثة حفائر جامعة مشيجان في كراتيس وهي كوم أو شيم بمديرية الفيوم . وفي هذا البحث أثبت بوك أن كوم أو شيم خضعت لسلطة دومتيانوس قبل ٢٨ أغسطس ٢٩٦ ثم استردها الموالون لدقلديانوس قبل ١٥ ديسمبر من نفس السنة ، وهذا لا يمنع أن تكون كوم أو شيم قد خضعت لسلطة دومتيانوس ابتداء من النصف الثاني من يوليو من نفس السنة .

وما دمنا نستعرض أهم الآراء الحديثة في ثورة دومتيوس دومتيانوس فلا بد من أن نورد رأى الاستاذ وليم سيسستون في كتابه « دقلديانوس والحكومة الثلاثية » (طبعة بوكار باريس ١٩٤٦

ص ١٣٧ - ١٨٩) . ويرى سيستون أن الثورة كان مركزها الاول فى اقليم طيبة فهناك خطابات تتناول تحركات رجل يدعى بانيسكوس ترك أسرته فى فيلادلفيا وانتقل الى قفط فى ابريل ٢٩٦ وجمع رجاله وعتاده فى صيف السنة نفسها ، وفى ٩ سبتمبر ٢٩٦ نجده يؤرخ خطابا له بالسنة الثانية من عهد الامبراطور دومتيوس دومتيانوس ، وهذا يدل على اتساع حركة الثورة بحيث شملت مصر كلها ، ولكنه لا يثبت أن جيش دقلديانوس سحق تماما ، اذ أننا نجد أنه فى سبتمبر ٢٩٦ كان الوالى الشرعى يحتل الريف المجاور لمدينة قفط . وعند سيستون أن والى دقلديانوس زحف الى اقليم طيبة لاختاد الثورة فيه بمجرد اشتعالها ، وفى أثناء غيابه فى الصعيد تخلص الاسكندرليون من الحكام الرومان فى الاسكندرية . ويظن سيستون أن الثورة فى الصعيد كانت قصيرة المدى وانه بعد ٩ سبتمبر بقليل حوصرت قفط واحتلت . ولكن سلطة دومتيانوس ظلت معترفا بها فى الفيوم بكوم أو شيم حتى ٢٠ أكتوبر ٢٩٦ أما فى ثيادلفيا فنجد البردى مؤرخا فى ٢٦ أكتوبر ٢٩٦ بالتاريخ القديم وهو تاريخ الحكومة الثلاثية التى كان يرأسها دقلديانوس .

ويحاول سيستون بناء على ما يستخلصه من خطابات الثائر بانيسكوس وهو فى قفط الى زوجته فى الفيوم ، وبناء على دراسة الاوضاع السياسية والعقائدية فى المنطقة أثناء هذه الفترة ، ان بانيسكوس نفسه ، وهو مصرى ، من اتباع الديانة المانوية التى بدأت تدخل مصر ابتداء من ٢٤٤ ميلادية تقريبا ، على يد التجار العرب ومن اليهم من السراكينى أو الشرقيين ، واستطاعت أن تقيم لنفسها مراكز فى الصعيد جنوب أسبوط ، ثم فى الاسكندرية ، وان اتباع مائى والمجوس ابدوا ثورة دومتيانوس التى كان هدفها عند سيستون فصل مصر عن الامبراطورية الرومانية . وكل هذا يهدف الى ربط الثورة المصرية بتحركات نارسييس فى فارس وغزوه الشام فى نفس الوقت بقصد تقطيع اوصال الامبراطورية الرومانية .

أما استنتاج سيستون أن باتيسكوس كان من أتباع الديانة المانوية فيقوم بين أشياء أخرى على أنه في أوراق البردى يتوجه إلى « الرب الهنا » من ناحية وإلى « الالهة » في الوقت نفسه وهو اختلاط يمكن نسبته إلى العقيدة المانوية وإلى ديانة المجوس .

وإيا كان الأمر فإن ثورة دومتيوس دومتيانوس أو أخيل جاء توقيتها مع ثورة القبائل الخمس في شمال أفريقيا وثورة كاروزيوس في بريطانيا وتحركات الفرس بقيادة نارسيس في الشام . ولا يزال البحث في دوافع هذه الثورة في مراحلها الأولى وفي مدى الصلة بين هذه الحركات جميعا .

وقد تفضل الأستاذ الدكتور عبد اللطيف أحمد على ، أستاذ علم البردى بجامعة القاهرة ، بإطلاعى على مسودة الجزء الثانى من كتابه « مصر على ضوء أوراق البردى » فانتفعت من علمه كثيرا ولاحظت أنه يستعرض أغلب النظريات الهامة حول هذه الثورة دون أن يقدم نظرية على أخرى كما لاحظت وقفته الحائرة أمام العلاقة الحقيقية بين دومتيوس دومتيانوس وبين أخيل ، وأنها حقا لعلاقة محيرة ، ومصدر الحيرة فيها خلوعامة التواريخ القديمة ، التى لا تذكر إلا اسم أخيل مقترنا بثورة مصر على دقلديانوس فى ٢٩٦ ميلادية ، من أية إشارة إلى شخص دمتيوس دومتيانوس الذى لم نتأكد من أنه شخصية مختلفة عن شخصية أخيل إلا فى السنوات الأخيرة بعد اكتشاف البرديات والشقاف والنقود المتخلفة من هذه الفترة . كما أنى أشكر الدكتور عبد اللطيف أحمد على على أنه وضرب كافة المراجع المتصلة بهذه الثورة فى مكتبته الخاصة تحت تصرفى .

وفى جو هذا الغموض التاريخى يمكن افتراض الف فرض وفرض سواء من ناحية دوافع الثورة أو شخصيات الثوار أو العلاقة بينهم أو أحداث الثورة . ولكن الحقائق الثابتة ، وهى جوهر الموضوع ، تبرز واضحة أمام العيان ، وهى أن مصر ثارت فى

٢٩٦ ميلادية بقيادة القائد الروماني لوشيسوس دومتيانوس الذي اعلن امبراطورا باسم دومتيانوس سيباستوس ، وان مصر استقلت عن روما نحو ثمانية شهور ولم تفقد استقلالها من جديد الا بعد ان قمع دقلديانوس الثورة اثر الحصار الطويل الذي فرضه على الاسكندرية ، وان الاسكندريين قاتلوا باستماتة غريبة طوال مدة الحصار فلم تسقط المدينة الا بعد ان قطع دقلديانوس عنها المياه ، وان دقلديانوس بعد دخوله الاسكندرية ومصر عاملة لم يكتف بمصادرة ممتلكات الثوار او عقاب زعمائهم او تخريب معاقلهم بل أجرى المذابح الرهيبة في أعناق الاف لا تعد ولا تحصى من المصريين ، بما جعل المصريين يلقبون عصره بعصر الشهداء ويؤرخون به تاريخهم الجديد ، وان المسيحيين منهم كانوا الهدف الاول لهذا الارهاب الاعظم ، بما جعل الكنيسة المصرية تعتمد هذا التاريخ على انه تاريخها الرسمي وتخصص كل يوم من ايام السنة القبطية لتخليد ذكرى طائفة من شهداء هذا العصر الدامي .

ويكفي ان نردد هنا وصف المؤرخ القديم هيرونيموس يوسيبوس في وصف ما جرى من مذابح ان دقلديانوس ساعة دخوله الاسكندرية أمر جنوده الا يكفوا عن ذبح المصريين حتى يبلغ الدم ركبة جواده . وكان من رحمة الله بالمصريين ان جواد دقلديانوس كبا فاكتفى الجنود بما سال من دماء . وهي صورة شعرية جميلة تستحق أن يحفظها التاريخ .

اما دومتيوس دومتيانوس نفسه فلعله كان اداة في يد «المصلح» اخيل ، ولعله كان مجرد مغامر روماني طامع في عرش الامبراطورية، ولعله كان مجرد قائد خارج على الحكومة من طراز راؤول سالان او بنى بويه الذين يحاولون الاستئثار بالمستعمرات عند انهيار الامبراطوريات ، ولعله كان مسيحيا سرا يحمل الضغينة لروما على اضطهادها لمسيحي الامبراطورية ، ولعله كان من اشراف روما

« الاحرار » الذين سلبهم دقلديانوس الطاغية كل صفة بتجاهلهم المعروف للسنتو وتركيزه كل سلطة في يديه وقضائه على الامتيازات والحريات الرومانية التقليدية ، ولعله ، ولعله ، فمن يدري ؟ كل هذا الغموض يترك المجال رحيبا امام الفنان حتى يأتينا مزيد من البرديات أو الشقاف فتجلو كل هذا الغموض .

تقول ، ولم عنيت بذكر هذه الوقائع والنصوص وانت تقف موقف الاديب لا موقف المؤرخ ؟ وأجابتي على هذا السؤال واضحة ، وهي أنى اعتقد أن من واجبي كما ذكرت تنوير القارىء بحيث يعرف أين تنتهى الحقيقة وأين يبدأ الخيال فى العمل الفنى ولانى اعتقد أن فى هذه الفترة الخصبة من تاريخنا ذخرا لا ينفد لغيرى من الكتاب سواء من آيات الكفاح الوطنى أو من آيات الفداء أو من آيات الشخصية الانسانية ، ولانى اعتقد أنى بهذه الفرشة التاريخية أعين غيرى من الكتاب الذين يمكن أن تجذبهم أحداث هذه الفترة الخصبة فيستمدوا منها مادة لادبهم .

وأكتفى بهذا القدر من الحديث فلا أسترسل وأتناول ما فى هذا العمل من جوانب فنية . انما أترك هذا للنقاد ، ان وجدوا فيه قيمة فنية تستحق التنويه . فان كان فى هذا الكتاب حياة ، فالحياة لا تفيط لحي حقه فى الحياة ، وان كان وهما عابرا فقد أتبقى أن ينطوى مع كل ما ينطوى من الأوهام .

القاهرة ١٣ نوفمبر ١٩٦١

لويس عوض

التصحيح اللغوى : عيد الرحمن حجازى

جمال جاد الرب

الإشراف الفنى : حسن كامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

not be an easy thing. When the morning comes, by order of Diocletian, Egypt will see horrors unspeakable, Your blood will flow in streams. Your women will be raped , and your infants massacred. Your property will be looted and your temples desecrated and burnt down. You will even be denied to worship your own gods. You will be thrown into lions dens and fried in boiling oil that you may forswear the name of Egypt. Some of you will cringe with fear, but most of you will hold out courageously until this horrible scourge is finally lifted . Be thou, Manetho, a father to this orphaned people in this dark night , Be thou the pilot of this tossing ship amid these furious tempests , for there is yet hope that it may weather the winds and reach the shores of safety unimpaired.

Coptos will need reinforcements. You, Apepi, go quickly to Busiris before it is overtaken by the flood. What will you do, Arius?

Arius : Here I stay in Alexandria. For here I shall wander under the cloak of darkness, knocking every door to wipe the tears of the wretched and strengthen the hearts of the weak, reminding men that night is ever followed by the dawn.

Manetho : I am an ancient man , I am tired , tired, tired, I must have rest at last I shall finally go to my quiet hamlet upon the banks of Tanis lake , there to sit all day long in dreamy solitude , fishing in the stream of memories , until Thoth and the great Ennead of the gods are pleased to restore my soul to the fountain of eternal light .

Apepi : No one but Mamentho shall surrender the city .

Scipio : No one but this worn-out old man shall surrender the Palace .
Be prepared, Manetho. to receive the new master. Such is the verdict of the gods : that you become a servant to every new ruler, so that you may temper with the wisdom of age the hot blood of the violent Romans . You shall protect your ancient country from the rashness of young nations , and record on living papyri all that Egypt sees of happy and unhappy days. You shall need the martyr's fortitude , for it will

King of the people, prop of the kingdom .

The secret of the many - gloried Monk

Comes from the fathers and forefathers

And passes into the sons and grandsons.

The redeemer is dead , the redeemer is dead !

O Gods of the valley ! Bless him

Who was to us a guiding star,

King of the people, prop of the kingdom.

(The voice vanishes gradually. From behind the left window pane is seen a vast distant conflagration)

Manetho (Pointing to the window). Look! The Library of Alexandria is burning! The Romans have landed in the harbour !

Apepi : Stop worrying about your books , Manetho . Many times before they had been burnt and many times again they will be. Such is the irony of the gods : for every invader who sets fire to the library reminds the world that we are the intellect and the conscience of the human race . So let them burn and burn . It is our god-like task ever to rebuild again .

Scipio : Which of you will surrender the city ?

Manetho : Damon of Armant will do it with a heavy heart.

Damon : No , I shall pass over with my men to Upper Egypt. Stubborn

must be carried in all simplicity . Build him no tomb of black alabaster , but bury him in the vasty sands where neither man nor elf disturb the quiet of the dead. From the desert he came and to the desert he returns, Yet, if you still retain some relic of your ancient rites, embalm him and read out old spells upon his anxious ghost that the desert may for ever keep his holy body—a sacred talisman to guard this god-protected land. His tribe was that of Christ, but do not fail to paint your ancient liturgies on his cedar coffin . He was a mighty efflux of that gigantic breath that fluttered fearfully in days of yore amid the granite pillars of the fabled Karnak and whispered dark truths to the hushed palm-groves of immortal Thebes. May all the gods at once absolve him of his mortal sins.

(The guards carry the stretcher and walk in a stately manner going out through the left door chanting)

(Chorus of Guards Singing in a grave, staccato manner, more like a sharily punctuated recitation than like a song).

The redeemer is dead , the redeemer is dead !

O Gods of the valley ! Bless him

Who was to us a guiding star,

. General consternation . Cries of "Panofer ! Panofer " !

**Panofer : I am ready (Scipio retreats) O God ! have mercy upon me!
(Suffering horribly from the poison) how horrible are
these pains . (He Falls on the floor with foaming mouth)
Tell your master : all his striving is in vain. He will never
reach the sun. Heavy is the darkness. Light. where is the
light ! Martha ! Draw the curtains, Martha. (He dies) .**

Apepi : Farewell , Panofer.

Damon : He has conquered Diocletian .

Prisca : A good Egyptian he lived , and a good Egyptian he died.

Damon : No one knows the secret of the Monk or why he died .

Prisca : That is something between him and his God .

Manetho : They say the Patriarch cast a curse upon him .

Damon : It is something between him and Martha .

**Apepi : No. He offered up his mortal body that we may recover the ev-
erlasting spirit: that love may dwell for ever among men;
that mercy may prevail in this harsh world. Martha knew
what the Monk failed to know**

**Scipio : Had you but a score of such generous Monk , the Romans
would never have set foot in this unhappy land .**

(Enter six guards carrying a stretcher)

Manetho : Cover him with his mantle . A simple Monk he was , and he

huge painted pillar on the right side of the hall and feels the inscriptions with his hand. He then walks over the opposite pillar on the right side and feels it).

Panofer : O Manetho ! how beautiful these inscriptions are. It is a wonder how in everlasting freshness these mysterious colours relate our withered glories. But this is our divine enigma that baffles all understanding . (He looks at the two columns, standing between them with outstretched arms) Had I the strength of Samson I would have pulled down this palace upon me and upon my enemies. (Growing more quiet) When I am gone, I want no tears, no wailing, no garlands on my grave. Cast my body in some arid wilderness untrodden by man and unknown to ravenous vultures . Say, noble youth : will Diocletian take me to Rome ?

Scipio : I believe so .

Panofer : And draw me to his chariot .

Scipio : Yes, That is the custom; in the triumphal procession.

Panofer : To amuse the mob of Rome ?

Scipio : Yes .

Panofer : Then we shall spoil his majesty's fun .

(He takes poison out of his doublet and swallows it quickly, then goes back smiling to the middle of the hall

turquoise. Look at the Turquoise. How beautiful it is. It is yours now. Take it. (Martha takes the ring and presses it to her heart) Have you read the engraving ? Read it before you wear the ring. It has a spell from the days of Menes. They say it carries a curse , but do not believe what they say. (Martha puts on the ring after examining it carefully, Panofer in a commanding voice) Philammon, when I am gone, take saint Martha the Egyptian to the convent of Demiana, the Convent of the seven virgins. (He Kisses Martha on the front) .

Philammon : Promptly, Panofer. (He unbuckles his sword and hands it over to Apepi) This has no use now. When I perform my errand, shall I go myself to the Great Monastery?

Panofer : Yes, May God guide your steps, my son .

Philammon : Farewell, Panofer .

(Exit Philammon, followed quietly by Martha through the right door) .

Scipio : Let us go, Panofer. Diocletian does not like to be kept waiting.

Panofer : One moment, my son .

Scipio : What is left to do ?

Panofer : Only a word of leave - taking .

(Panofer walks staring at the painted ceiling . He reaches the

Panofer : I said nothing : Yes , I said pray for me always .

Martha : (Meekly) : Shall I go into the convent, father ?

Panofer : Yes, Yes .

Martha : There to embrace Christ ?

Panofer : Yes . There to embrace Christ ?

Martha : And Constantine will not be jealous ?

Panofer : No, Constantine will not be jealous

Martha : When will he come back ?

Panofer : I do not know. But when he does, his heart will be glad .

Scipio : Let us go, Panofer .

Panofer : Yes, I must go , Martha .

Martha : Where to, father ?

Panofer : To the company of the Lord .

**Martha : (Staring as though she does not understand) : There the
pastures are green .**

Panofer : After a while . After a while .

Philammon : He redeemed you, Martha .

Martha (Still does not understand) There the lillies are white .

**Panofer : No, It was she who redeemed me. For that she is sanctified
by God. She who bears a child redeems a man . Martha !
(Pulling out his ring and examining it well) This ring,
it was for her : for the lady of the Blue Mansion, the lady of**

Panofer (Deeply moved and most tenderly): O my child ! Martha

(raising her face) : Bless me, father. (She kneels down)

Panofer (Softly smoothing her hair with his hand) : Yes. Yes.

Blessed art thou among women. (Turning his face away with a sense of guilt) This is madness, what right have I to bless her. I have lost the godly mystery of the monk. Forgive me, Mother of God ! What have they done to you, my child ?

Martha : They burned my flesh with red-hot iron rods. **(Gasps of pain here and there) .**

Panofer : Well done, Then the devils will not visit you any more. Oh my God ! This is horrible. Horrible They come to visit me every night . **(Helping her to rise) Rise , Martha.**

Martha (Smiling) : But I was strong , because I bear your trust .

(She feels her belly in a state of Ecstasy).

Panofer : Yes , I know . And you must keep it solemnly .

Martha : As the thirsty soil keeps the seed of life .

Panofer : (As if talking to himself) : And why shoudn't she keep it ?
I have paid for it heavily, I broke the sacred compact, and paid heavily. **(Diabolically) I wrung it from the hands of fate.**

Martha : What did you say ?

farewell is heard outside . All the generals lower their heads and their swords saluting « farewell »

Damon (Saluting with his sword) : In the name of the army, I pay homage to Achilles.

Frisca (Saluting with his sword) : In the name of the cavalry, I pay homage to Achilles.

Panofer (As though he does not hear): Manetho, when you write the chronicles of Egypt, forget not to say that Severus was a stubborn Roman, and yet he died for our cause . To honour his memory, let the Egyptians erect a pillar of rarest marble among the ruins of the Ptolemies, so that his name might live as long as Alexandria lasts, And on every day like this, year after year, let the sea - nymphs grace his noble memorial with fragrant garlands and honour with laurels this heroic deed . (To Scipio) Tell me, noble youth.

Scipio : Yes , Sir .

Panofer : It is time for us to go. Too long is our waiting .

Scipio (Pointing to the right door) : She is coming , Sir .

(Enter Roman adjutant with Martha who looks pallid with marks of deep torture written on her face. She rushes to Panofer and holds fast to his arm like a frightened child. Voices cry : « Martha ! Martha ! »)

Arius : My lord. Achilles, After receiving his absolution, crossed over to the shores of eternity. He fell on his sword after the custom of the Romans. His last words were: « Farewell, Faustina ! »

Hathor : (Wailing) : O brave king !

Scipio : Farewell, Domitianus, Your unhappy tale will be told by every soldier .

Manetho : Farewell, my lord. In every chronicle many pages will relate your sad story .

Tafeeta (Wailing) : O noble King !

(Enter Damon and Frisca through the right door)

Damon : What happened ?

Frisca : Where is Achilles' ?

Panofer : Your master Achilles has sought his freedom from the prison of the flesh. Go to him, Hathor. He needs you now. Go to him Tafeeta. Go to him, Marina. Oh my God ! In the hour of our death, how desperately we need the company of women, exactly as if we were born again. Bury him like a king . Wrap him up in the flag of Egypt . Do not forget to put on his head the double crown of Menes . He so devoutly wished it during his life; let him now wear it in his death, by Panofer's command, by the people's command. (Exit the women through the left door sobbing audibly. A bugle calling

Arius : Yes , my lord .

Achilles : Come then and absolve me . Man must be always ready.

(Exit Achilles with Arius through the left door).

Hathor : My lord needs me ..

Manetho : Go to him Hathor . I have seen a strange twinkle in his eyes. (Hathor, anguished, walks away but does not leave).

Tafeeta : My lord has accustomed me to carry his mantle .

Panofer : No. Leave him alone . Do not disturb him . He wishes to be alone with his God, sing, Tafeeta, Something happy; something that is sung in the nuptials of kings . O Panofer ! how happy you are . To day you will be wedded after long waiting .

(Tafeeta playing with the fingers on the strings of her harpsichord , sings a sad tune like the wailing of wakes.)

The bridal banquet and the bridal bed are set, my king ! your path to the milky way is strewn with fragrant roses .

Ascend ! Ascend ! my angel to the sphere of angels , for on the fortieth day at last your nuptials will be held, and shadowy darkness will be wedded to eternal light .

Panofer : Enough . Enough . Why all this melancholy ? (Pointing to Scipio) Is that the way you entertain this handsome Roman ?

(Enter Arius through the left door looking pallid and saying in a calm and awe - inspiring voice) .

I no longer belong to Rome Since the Dalmatian slave sat on the throne of Romulus and brandished the sword of Aeneas. I have made many blunders, but I have served Egypt with honesty, speak, Panofer.

Panofer : Yes . Manetho , you shall write .. that Achilles of Alexandria served Egypt faithfully. For this, Egypt forgives his blunders and remembers only his honesty.(A distant noise and a distant alarm is heard).

Manetho : They are coming .

Panofer : My God ! Even Panofer cannot save Achilles. Guard the doors . Guard the door, . Philammon (Philammon rushes to the right door) Rally the guard, Apepi . (Apepi rushes to the door) .

Achilles : No. No. I want no bloodshed . Let everything end in peace . Let the Egyptians come. Let the Romans come . Whoever comes first takes Achilles . (Rising)

Scipio :Yes, sir.

Achilles : Proclaim it to them all : who was my great ancestor ?

Scipio : The noble Brutus .

Achilles (Descending the steps of the throne) : Like father , like son . May I be worthy of him . young monk !

Arius : Yes , my lord .

Achilles : I forgot your name , sir. How do they call you ?

Arius : Arius , my lord .

Achilles : Have you been initiated to give the sacrament ?

Panofer : How did Severus escape with his life ?

Arius : Severus did not escape with his life, Severus turned bravely to his men and shouted at the top of his voice : " O lions of Egypt ! It is not Achilles " but Diocletian ' s blood you seek ! Follow me ! Then he galloped at the head of his ranks in mad fury and his soldiers, footmen and horsemen, all followed him like ravenous wolves , breaking out through the gates of Naukratis and climbing the city walls. A terrible battle then ensued and when the dust of battle cleared up at last , there was Severus lying dead among countless bodies and a sad silence reigned while the flag of the Romans fluttered alone in the midst of the field .

Panofer : Woe to you Achilles ! You have fallen between the Romans and the Egyptians !

Manetho : You must flee for your life . Achilles .

Achilles : No. No.

Panofer : Take my mantle , sir .

Apepi : Take my horse , sir .

Achilles (Proudly) . No. No. I served Egypt faithfully (He mounts the steps of the throne and sits peacefully) Achilles does not flee . (To Scipio tentatively) Listen to me, my boy. In Rome they call me a traitor, but Domitianus Domitianus served Rome faithfully until the Dalmation slave came and ruled it . Did you not hear your father say so ? Scipio (Overpowered by his feelings) : Yes , Domitianus .

Achilles : Do not call me Domitianus . I am here Achilles of Alexandria ,

(Enter Arius through the right door in utter confusion crying).

Arius : Ruin and damnation! Ruin and damnation !

Ashilles : What happened ?

Aruis : They Killed Africanus. They Killed Diogenes and Pompeianus. The soldiers slew all the Roman generals except Severus. They are clamouring for the head of Achilles. Frisca is marching towards the Royal Palace. Damon of Armant is on his way here. they all left their positions. Everyone is crying : The traitor Achilles, and his Roman traitors have sold us to Rome .

Panofer : Has Diocletian arrived ?

Aruis : Yes, he Has, his legions are half in Canopus and half in Naukratis, when the Egyptians withdrew from Naukratis and Canopus, Damon and Frisca with their Forces met at Camp Caesar. When they were told to return each to his former station, they found out that Romans had already occupied all their positions and that they had quickly stopped up all the canals with rocks and heaps of dust and everything they could lay hands on. Our soldiers were then furious and turned against the Roman generals. Frisca proclaimed that treason has come from the Royal Palace. I saw Damon of Armant with my own eyes assault Pompeianus and rip his belly with his sword. Criers went around the city crying that the water - supply had been cut off., There was confusion everywhere .

Achilles (In utter despair) : then all is lost .

offered up her body to feed the hungry, to clothe the poor, to cure the sick, to bring the dead back to life. She is the sacred offering and the offering cannot be given twice. Do you understand now why she should go on living ? She is the guardian angel : wherever she is, in the temple, in the convent, in reveller's feasts she spreads her wings over this holy valley. Sing your halleluia. Hathor! you are the one who nurtured her in her young days, Show us how you offer thanks giving in the temple Isis .

Hathor (Singing a staccato song which resembles a dance - song but is austere and dignified while Tafeeta plays on her strings): The many - fluted Nile

Murmurs singing :

O balmy night ! O balmy night

O love - sick swain

Heaves a love - sick sigh

For a nut - brown maid

With henna - daubed palms,

For a wine - lipped maid

Whose wine is the nectar of Paradise .

She is the daughter of Hathor,

Goddess of the effulgent sky,

Of the blue prairie where Huris dance,

Blue is her garment of light,

Green are her pastures on earth.

supply He is afraid we might slay Faustine before we surrender . He is afraid he would march into Alexandria on his white horse and not into Panofer. He is afraid I might disappear and elude him. Diocletian will never rest until he destroys the abominable Egyptian Monk. Even now he imagines Panofer walking across the fields, knocking the doors of the poor , inciting the multitudes, setting the hearts of the Egyptians against the Romans. He knows that Rome will never rest as long as I am alive. But he is wrong . (He gasps , feeling short of breath, and unbuttons the collar of his frock) Water . Water . Give me water. He is wrong. (with a deep, low voice) My task is done . I have delivered my message. Today every Egyptian is Panofer. (With a loud oracular voice) He will come after me who is stronger than me.

Philammon (As in vision) : A voice crying the wilderness :

Prepare ye the way of the Lord .

Panofer (Staring at the vacant air) : He will come after me who is stronger than me.(walking like a somnambulist) Glory be to Pharaoh .

Apepi : Lord of the two lands .

Hathor : Alexandria is your city

Tafeefa : Egypt is your throne .

Philammont : The world is the dust you tread on .

Panofer (Laughing mockingly) : The fool. The fool. He Knows not what he takes and what he gives away. Panofer is a lump of clay, but Martha is the breath of life, the spirit of the valley. She is the blue sky, the green fields, the sacred ooze. She

pledge to her. O Mary mother of God unclean and faithless was your spouse. Boundless is your mercy. No. No. let me die without mercy, without humility. (Praying in penitence). O God ! Torture my wretched spirit in the burning flames of hell until I am purified, until my sign appears. What sign ? Yes I shall bear it and bear it and bear it until my Sign appears , until Martha comes (He smiles for the vision) like a blue angel to quench with her balmy breath the fires of hell. (Pointing to the zodiac on the ceiling) Look ! This is capricorn, where I was born. There I shall stay until Martha comes and leads me back to Virgo from which I strayed away. Hurry, lad, hurry, and when I have departed forget not to say : he was a prince whose birthright was lost between heaven and earth. Do You want to know my token ? My token is my curse on Diocletian .

Scipio : This is what he wants. His eyes are fixed to heaven .

Achilles (Deeply moved) : Yes. Yes. He is staring at the signs of the zodiac .

Scipio (To his adjutant) : Hurry, hurry. Exit adjutant through the right door.

Panofer (Smiling) : Do you think I am raving Achilles ?

Achilles : A sinner cannot judge a sinner .

Panofer (Mockingly) : I know Diocletian, Do you know why he bargains at this critical moment ? He bargains because he is strong , not because he is weak. He believes that Alexandria will fall in twenty - four hours if he cuts our water -

Achilles : No. No. I won't allow it .

Panofer (With a distracted look) : You do not understand, Achilles .
you do not understand , all of you (As though talking to
himself) .Yes Yes. (Looking at the ring on his left hand)
All sinners must atone. I have broken my pledge to her. Yes
Atone. I must. I have no offering to give except myself. May
God accept my sacrifice . (He mutters) .

Philammon : Have mercy on him , O God !

Panofer (In a kind of delirium) : Shut up ! , lad ! Do not pray for mer-
cy. God has no mercy for me. Did you not hear Him say :
The merciful shall obtain mercy ?

(He looks at his hands as though they are besmeared
with blood) She is the cause. She is the cause. Before
they took her away she looked at me gently, reproachfully,
then departed. Or was I in a dream ? And there were others
and others.They all went the same way. Where is Arius ?
What did the Patriarch say ? (Louder) No. No.

I had no mercy on any one. Why should God have mercy
on me ? There is no mercy on me ? There is no mercy for
me. I lived by justice alone Nomos, by the first law. By them
will be my judgment For I walked among men like a tur-
bulent and damned spirit. Yes, Like a hurricane I passed
over green fields and desert sands, sweeping the palaces
of the mighty and the hovels of the poor, without mercy,
without humility. I broke my pledge to her. (He examines
the ring on his left hand) What pledge ? yes I broke my

Panofer (Reproachingly): Are we already defeated, Manetho ?

Manetho : I beg your pardon. I meant if we are defeated .

Panofer (Laughing bitterly) : If we are defeated do not believe any pledge given by Diocletian . (Holding) scipio's arm . Speak young man. Did not Diocletian tell you as you left the ship ? Promise them anything in exchange for Panofer's head ? Promise the safety of Achilles? Promise the safety of Alexandria. Promise the siege to be raised. promise them anything. Pledges! Pledges ! What value are pledges to a conqueror (Roaring) Speak .

Scipio (Embarrassed and half - afraid) : Yes. Yes.

Panofer : My lord Manetho does not want to forget that he was the curator of the library of Alexandria. These are not books. (Growling) This is war. Politics War. How do you believe the Pledges of the cunning Diocletian? Ask for the possible , you get the possible . (Turning to Scipio) And yet we will not be paid in words. Listen, young man. Send your adjutant to bring Saint Martha the Egyptian. Bring her here. Right here, we do not sell Panofer on credit.

(Beating his breast) Our merchandise is ready and we must be paid in kind.I swear to you , by the honour of Achilles. If you prefer , by the honour of Domitianus. By Roman honour. Hurry, hurry. Let us waste no time. (Scipio looks at Achilles bewildered and expecting an answer. Achilles stands with outstretched arms quite confused) .

Philammon (Draws and strikes in the air with his sword): This is For Diocletian .

Panofer (Commanding them) : Back to your place , Philamon. Back to your Place, Apepi. every sword back in its scabbard. In our country a messenger 's person is sacred. (They all sheath swords) .

Manetho : Panofer ! You ask for an insignificant price.

Panofer : No.No Martha is more valuable than Panofer. Martha is a holy saint , while panofer is a damned sinner ... who deserves to be hurled in the bottom of hell .

Manetho : This is madness. Martha is not worth Panofer .

Panofer : You do not know Martha. Martha is the soul of Alexandria, its flesh. Do You understand now ? We give him the flesh to retrieve the soul .

Hathor : (Approaches crying) : O holy Monk I (She kneels down and kisses his Hand) .

Tafeeta (Approaches crying) : Bless him, ye gods : (She also kneels down and kisses his hand) .

(Marina Plays with her fingers on the strings of the guitar for a few seconds then stops) .

Panofer : Rise up Hathor. Rise up Tafeeta . I want no tears. I want no tears .

Manetho : These are mysteries which baffle my feeble understanding . If Diocletian marches into Alexandria everything will be ruined . (Angrily) Ask a pledge for the safety of the city, Panofer .

Scipio : Speak,

Panofer : Draw near .

(Scipio draws near until he stands very closely face to face with Panofer)

Scipio : What do you want ?

Panofer : Martha against Panofer .

(General confusion. Voices say : “ No . No. : “ impossible .” “We won't allow it.” Hathor and Tafeeta approach anxiously).

Scipio (Looking at him intently with great tenderness) : I accept.

Martha (Comes between Panofer and Scipio brandishing his sword) :

This will never happen if Diocletian wants Panofer let him come himself and take him . (Scipio draws).

Manetho : Keep calm , my son.

Panofer (Examining Scipio's face) : Did he say anything ?

Scipio : That is what he said : Anything that Domitius Domitianus asks for.

Manetho (Anxiously) : Did he say anything?

Scipio : Yes, he said so.

Maretho : Would he accept to raise the siege ?

Scipio (Swallowing his saliva) : Yes , he would accept to raise the siege .

Achilles : This is a trick. (**Proudly**) No.A thousand times no. Tell your liar of a master that Achilles of Alexandria will never surrender the most loyal of his subjects.

Scipio : Is this final ?

Achilles : Yes . This is final .

Scipio : Then, my lord, I beg leave to go .

Achilles (Tenderly) : I wish you a safe journey, my son.

(**Scipio salutes then walks towards the right door**)

Panofer (Stopping him) : Wait a minute .

Achilles : Let him go .

Panofer : No. Come here, young man .

Panofer : Everything ? Everything ? No. I only know very little . And yet I know that you have not come here to save Faustina's life . Do you accept ?

Scipio : Yes, I accept. Five hundred .

Achilles : The exchange of prisoners shall take place at Pharos Palace .

Scipio : Agreed.

Panofer : Diocletian does not send Scipio the Younger, Domitius Domitianus' forster child, for the sake of Faustina . (Cunningly) He is hunting for more valuable game . Isn't that so ?

Manetho (Jumping to naive conclusions): Perhaps he has come to ask for peace .

Panofer : No . He has come to ask for Panofer .

(General confusion).

Scipio (Addressing himself to Achilles) : This is true . My lord Diocletian asks you to surrender Panofer .

Panofer (Mockingly) : In return for what ?

Scipio : In return for anything Domitius Domitianus asks for .

Apepi (Unsheathing his sword) : Impossible .

Philammon (With his hand on the hilt of his sword) : This is sheer madness.

Achilles : Yes , of course . We are no longer in Rome . (Straightens up) We are now in Alexandria. What does Diocletian want ?

Scipio : He wants to exchange hostages .

Achilles (Comforted) : Nothing more ?

Scipio : Nothing more, Sir. The lady Faustina for a hundred captives .

Panofer : Five hundred.

Scipio : Are you the Monk ?

Panofer : Yes . I am Panofer .

Scipio (Scrutinizing him) : You ask too much .

Panofer : No. No. Roman blood is blue and therefore dear, while Egyptian blood is base and worthless. Haven't you always said so?

Scipio : Three hundred .

Panofer : Five hundred . It is useless to bargain, Is not this the wish of the Senate ?

The life of Faustina is not worth a rickie to Diocletian, but the patricians of Rome demand that she be saved at all costs. And why not ? Diocletian likes to oblige the Senate in trivial matters .

Scipio : It seems that you know everything about us.

We fought together at Dura, in Cyrenica. When he fell by my side I carried him with my own hands, (He looks at his two hands) and put him on my horse .

(He looks at the young man proudly) Do you know how many heads we reaped that day ? Twenty. He ten, and I ten . We laid a wager on the number of heads to reap . Neither of us won. (Heaving a sigh) In the end he won .. won the everlasting rest. (He goes back to his dreamy look and laughs gently) Do you remember how I used to carry you on my back in the Gardens of Catilina ?

(Scipio looks embarrassed and lowers his head) I must say you are very young, considering your rank.

Scipio : I served Rome, Sir.

Achilles : Or you mean you served the master of Rome ? (laughing gently) Never mind. Never mind . They spoil these days. In my time a centurion was twice your age.

And how is my lady Marsigliana ?

Apepi (Reminding him) : My lord :

Philamon : His credentials say so.

(Achilles looks at Panofer queryingly as though he means : " What shall we do ?

Panofer : Show him in . (He walks away to the extreme left).

(Enter a young and handsome Roman officer , fully accoutred in battle dress, with his short sword buckled to his waist, but he carried his helmet in his left hand. The officer salutes, He is followed by his adjutant).

Officer (Announcing himself) : Scipio the Younger . Diocletian' s servant and messenger .

Achilles (Examining him) : Son of the Numidian ?

Scipio : And great grandson of the glorious Scipio .

Achilles (Scrutinizing him): Don't you remember me ?

Scipio : Yes . You are Domitius Domitianus.

Achilles : Your father was my friend. A comrade in arms, serving with me in the same battalion . (With great tenderness) How you have grown up, Scipio : Oh, time : Time : I did not recognize you when you came in . (Walking like a somnambulist and talking to Panofer as though he does not know him)
The Nunidian was a hero.

echoes are heard in succession until they fade away).

We shall proceed to the harbour.

Panofer : No. To Naukratis, Achilles.

(Enter Apepi carrying the armour. Achilles takes off his regal mantle and hands it over to Hathor. Apepi helps him to put on his war accoutrement and gives him his helmet and his round bronze shield. Enter Philammon through the right door).

Apepi : Yes Naukratis is the weak point .

Achilles : And who will defend Pharos Palace ?

Panofer : Philammon will. General Philammon will defend the Palace and General Apepi will defend the harbour .

Achilles : Let it be so. What position will Panofer defend ?

Panofer : I shall be with the people everywhere.

Philammon (Hesitatingly) : A messenger is waiting outside, asking for an audience.

Panofer : Let him in .

Philammon (Hesitatingly) : He comes from Diocletian .

Panofer :

Achilles :

Manetho :

} Diocletian ?

Severus (Looking down in deep earnest) : The Monk is right, Achilles.

Hathor : Get us out of this horrible dilemma, Achilles. You are the king.

Achilles (Wringing his hands anxiously and almost dazed) : If what Panofer says is true, then everything is lost .

Apepi : My lord, allow me . My lord Pompeiauns goes at once to Damon of Armant to lead him back with his legions to Canopus. My lord Severus goes to Frisca to lead his forces back to Naukratis.

Achilles : Yes, of course . Yes, of course.

Serverus : Let us save what we can.

Manetho : O ye gods : Have mercy upon us . How will they believe these conflicting orders.

Achilles : Pompeianus, go at once ; and you, Severus, lose no time (Exit Pompeiarus and Severus through the left door) .

Apepi, bring me my armour. Make ready my horse. (Exit Apepi through the right door) . Philammon. The cavalry trumpet. The infantry trumpet. The battle trumpet. (Exit Philammon through the right door . After a few seconds different trumpets are heard in succession, then their

is indeed a strong assault, but it is spurious. Do you know where his main forces are now ? In Canopus and at Naukratis canal beyond the walls of the city. His plan is to block the aqueducts of Alexandria and cut off our water supply so that we may either surrender or die of thirst . How could I then not sacrifice the tower, not sacrifice Martha with two thousand men ? You are blithely ignorant of the situation. You draw your plans with pencil and ruler while your enemy cunningly works out his strategy. Where are your spies? You do not send them after Diocletian, but after Panofer and the Egyptians. Woe to Egypt . Woe to Egypt . There is nothing to expect now but ruin and disaster .

(As he speaks, there spreads a general confusion . Achilles stands perplexed, then descends from the throne. All looks quite disturbed. A few short, subdued shrieks come from the frightened women. Manetho, Apepi, and Philammon rush to the side of the Monk spontaneously, while the Romans cluster around Achilles).

Manetho : What is to be done ? What is to be done ?

Pompeianus : Don't listen to this raving fool . Diocletian is after the Palace.

Panofer (Greatly upset) : What have you done ?

Achilles : After the tower, the Palace will fall into the hands of the Romans. The Palace must be fortified.

**Severus : And after the Palace the harbour will fall into their hands .
The harbour must be fortified.**

Pompeianus : It seems that General Panofer has a different view.

Panofer (Exploding) : Oh ruin . Ruin . Ruin . You fools . What have you done . The Palace is well-protected. There are fifteen thousand archers stationed in the Palace and its precincts. There are twenty thousand national guardsmen protecting the harbour, backed by two thousand cavalry men. The harbour is out of danger. You were duped by Diocletian's trick. Diocletian has no hope to capture Pharos Palace. After eight months of siege, of incursions and retreats, Diocletian knows full well that he can never gain access to the city unless his forces and ours are completely exterminated . He has attacked the tower fiercely to lead us to believe that he is after the Palace and make us concentrate all our forces there, whereas his real plan is to encircle the city and break through its southern gates. Do you know with how many soldiers he stormed the tower ? With five thousands, so the reports say. It

Apepi : This is women's talk.

Pompeianus : And they say that he frequents taverns.

Panofer : Leave me alone.

Pompeianus : .. and that he frequents brothels too.

Philammon : What is all this nonsense ?

Apepi : Must we be subjected to all this silly gossip ?

Achilles : Then what is the truth ?

Panofer : They say. They say. Listen, Achilles . They also say that my lord Manetho extorts money from the people to fill the royal purse. They say that my lady Hathor is the palace Bawd and that you shower gifts on her because she brings you the dancers of the Temple of Isis.

Manetho (Interfering) . Watch your manners, Panofer .

Panofer : Who started this ? You started it. You said I gave up the tower to let Martha be captured by the Romans. You don't understand .

Achilles (Coldly) : We understand everything . This is why we sent Africanus and Diogenes to Damon and Frisca to return with their legions to Pharos Palace.

Achilles : Achilles is asking Panofer : "Why did you give up the tower ?"

Panofer : And Panofer answers Achilles : "Because of military necessity."

Severus (Quietly but firmly) · Where did you learn military science,

Panofer ?

(Panofer looks at him fixedly but does not answer).

Achilles : What necessity?

Hathor (Crying): To hand Marha over to the Romans.

Panofer : Have you lost your mind, Hathor ?

Hathor : We all know that you detest her like poison since the day she...

Panofer (Beseechingly) : Hathor !

Achilles : Then what they say is true .

Panofer : No. No. No. No.

Pompeianus : All Alexandria knows that she refused your bed.

Panofer : O : my God (He staggers. Apepi comes to support him).

Apepi : Enough . Enough.

Pompeianus : Why do you defend him ?

Apepi : Can't you see that he is suffering ?

Hathor : And Martha . Is she not suffering now in the hands of the Romans ?

Pompeianus : All people are talking about Panofer's desperate love .

Panofer : The nobility. The court . The royal retinue. The generals. We are sick and tired of all this . We crowned you Emperor of Alexandria. The crown of Pharaoh shall be worn only by an Egyptian . We said the crown of Pharaoh shall be worn by Constantine, son of the Egyptian Helena . After he inherits Rome and Byzantium he rules the world from Alexandria.

Manetho : These matters are to be settled after the siege is raised.

Achilles : If this is contrary to the will of the people , we shall give up Pharaoh's crown, Let us go back to the subject.

Panofer : What subject?

Achilles : Do you know that the Romans have occupied the tower of Pharos ?

Panofer : Yes .

Achilles : And that they have captured Martha ?

Panofer (Sighing in deep pain) : Yes .

Pompeianus : Why did you give up the tower ?

(Panofer ignores him and does not answer).

Achilles : Yes . Why ?

Panofer : Who is asking ?

Severus : A battle bugle ?

Manetho : No. The Royal call. From ancient times.

Achilles : For whom they play the royal call ? (All look in the direction of the right door. Enter Panofer).

Pompeianus (Mockingly) : The king : (Bows mimicking the royal salute ironically .Panofer ignores him and walks straight to Achilles who is sitting on the throne .

Philammon comes forward and kneels down before the Monk, kisses his hand and says : “ Bless me, Father.”

Panofer makes briefly the sign of the cross over his head and mutters a short prayer. Philammon stands up).

Manetho (In a half angry tone) : Why the bugle, Panofer ?

Panofer : Don't ask me. Ask the palace-guards.

Achilles (Coldly) : Panofer . Who authorised you to give orders to the army ?

Panofer (Looking at the double crown of Menes hung over the throne) :

Was this the agreement ?

Achilles : What agreement ?

Panofer : That you put the double crown of Pharaoh over your head ?

Achilles : This is the wish of the nobility.

Diogenes : Until when you remain passive, Achilles ?

Pompeianus : (Bursting with sardonic laughter) : Panofer, after leading the mob, is leading the army . The mad monk is conducting military operations :

Achilles (Descending angrily from his throne) : Who gave him the authority ? Africanus.

Go and join Damon of Armant . Tell him I command him to go back and defend Pharos Palace .

Africanus : Post haste, my lord.

Achilles : You Diogenes. Go and join Frisca. Tell him I command him to return to Pharos Palace. All must defend Pharos Palace . The tower must be recovered. If Pharos is lost. Then Alexandria is lost. Then everything is lost.

Diogenes : Quicker than the lightning, Achilles.

(Exit Africanus through the left door, then exit Diogenes. The officer salutes, then goes out through the right door. Hathor bursts into silent tears and hums dolefully a song of wakes of professional mourners while Tafeeta plays with the strings of her harpsichord).

Hathor : Farewell, my child :

(Alarm outside. All listen. Achilles mounts the throne).

Officer : She was at her post on Pharos Palace defending the tower. The Romans attacked fiercely. She sent to Panofer asking for reinforcements but Panofer did not send her a single soldier. He was standing on sands of Cleopatra's beach drawing incomprehensible designs with his cane when they broke the news to him, but he went on drawing his designs as though he heard nothing. When they repeated the news he turned to the Monk Arius and said : "Send Damon of Armant with ten thousand troopers to Canopus and send Frisca with ten thousand to Naukratis canal beyond the walls of the city. Let them wait there, for things shall come to pass." When we returned we found that the Romans had occupied the tower and captured Martha with five hundred of the national guard and shipped them off to the fleet of Diocletian.

Achilles : Is the tower still in the hands of the Romans ?

Officer : The tower is still in the hands of the Romans .

Africanus : And where is Panofer now ?

Officer : Since then he completely vanished.

Achilles : Poor Martha : She fell into their hands . God help her.

Pompeianus : This is utter madness. I told you the man is mad.

Severus : This is unbearable .

It with proud legions and high-helmed horsemen, but with the mob of Alexandria he has repelled the siege.

In the harbour.. at the city walls .. for eight long months the baffled Diocletian could not find a foothold where he could land his men, and whenever he was able to make a spearhead on the coast, Panofer came and cut it off like the tentacles of an octopus.

(Great noise outside. Enter Egyptian officer panting and in a confused appearance. He bows briefly to Achilles, then rises up quickly).

Officer : They have taken her. They have taken her.

Achilles : Taken whom ?

Officer : They have taken Martha.

Achilles : Who have taken Martha.

Officer : The Romans. The troops of Diocletian . (Achilles stand up thoroughly upset).

Voices : How ?

How ?

When ?

questioning God and raving deliriously : "O God, why did you choose to descend among the sons of Israel ? Why did you not descend in this holy valley of the sacred Nile ? Christ could not have been a Jew ! ". He was crying at the top of his voice : "God descended in Egypt! God descended in Egypt ! " while his tears flowed down on his bushy black beard and dripped on his frock. He almost reverted to the gods of his fore-fathers. When he called Mary we thought we heard him calling Isis. When he called Christ we thought we heard him calling Osiris. Then he fainted and fell down with a foaming mouth and only recovered consciousness when Martha came at nightfall and washed his feet with perfume like a demi-god in the agonies of passion, then departed with the break of day .

Manetho : All this is true, my lord.

Hathor (As though she had seen a miracle) ; O holy Isis : The Monk has a heart !

Tafeeta (Bursting with tears) : We knew not this . May our ignorance be forgiven.

Apepi : We would have been lost without Panofer. For eight long months he has repelled the siege, the longest siege in history.

(Everybody, dumbfounded, look at Philammon. Hathor beats her breast crying : "Philammon ! " Achilles stands up from his throne exclaiming : " Philammon !" Tafeeta gasps and cries : "Philammon" Severus and Diogenes Interfere to separate them).

Achilles : For heaven's sake keep quiet. Haven't we enough trouble as we are ?

Apepi : Philammon is right. These Roman gentlemen do not want to forget Rome even when they stand before the throne of Egypt. They are engineering trouble all the time . Panofer is a rough man, we all know this . But he is unswerving in matters. Philammena belonged to his Christian faith, , yet that was not help to her. Speak, Manetho. The day Philammena was executed, how did you find the Monk. (Achilles sits down).

Philammont : Let me speak. He was weeping like a frail woman. His tears flowed down on his bushy black beard and trickled on his frock. He only had one thing to say and kept repeating ; Have mercy on her soul, O Lord' place her by the side of Mary, Mother of Christ." He almost went mad. He kept

Pompeianus : We will never leave her to the justice of the Egyptians .

By Roman justice she must be tried.

Apepi : (**Protesting**) : My lord Achilles !

Achilles (**Pacifying everybody**) : There is no need for that, please.

Apepi : Listen, Pompeianus. Listen, Diogenes. We are all Egyptians here. Egyptians . Do you understand ? Domitius Domitianus is finished. You must forget him. Our lord Achilles is an Egyptian. Is that clear ? His justice is Egyptian justice. Here you are simply Romans in the service of Egypt. Is that clear ? There is no Roman justice in the Royal Palace . If you fail to understand this, we will bring you Panofer to make you realize it .

Diogenes (**Intervening**) : Let it be so. Let it be so .

Manetho : Curb your temper, Apepi.

Pompeianus (**Drawing**) : With this I shall reap the head of your monk Panofer. I am a Roman and no one can blame a Roman .

Phiammon (**Drawing and crossing swords with Pompeianus**) :
Stay where you are .We shall all die before one hair of his head is touched.

Pompeianus : We will lead a hundred equestrians to rescue her from
prison.

Manetho : To be tried in the court of Achilles ?

Severus : Let it be so : to be tried in the court of Achilles.

Manetho : Think twice, Achilles. A massacre might ensue.

Achilles (Anxiously) : Could it be done without bloodshed ?

Severus : We shall try .

Tafeeta (Sobbing, throws herself upon the steps of the throne) :

Kill him, my lord.

Achilles : No. No. (Taking her by the hand, he helps her to rise
and calms her down) Control yourself, Tafeeta. Sit down.
(She goes back to her place) .

Africanus : He carries himself in Alexandria as though he were the king.

Pompeianus : Why don't you arrest him ?

Achilles : No. Let us face facts. He is the king .

Manetho : If we arrest him there will be a revolt against the crown and
people will forget the siege of Diocletian.

Diogenes (Protesting) : You mean to say that Achilles is helpless ?

Achilles : Try to understand the situation, Diogenes .

Tafeeta (Taking up the same tune while Marina plays on her strings) :

The sun has sunk beyond the western wave ;

The Skyline caught the twilight's crimson blaze

And in my heart the embers glow

Since sank the setting sun of Philammena.

Marina : One word from the Monk would have saved her life.

Manetho : Panofer is always repeating two words like a parrot : Justice. The Father - land. Justice . The Fatherland.

Pompeians : This is the fate of Faustina, Achilles.

Achilles (Stung with pain, turns his face away) : Yes . Yes.

Severus : We must save my lady Faustina.

Africianus : She is in the prison of the star-chamber.

Pompeianus : No doubt a hostage.

Severus : No. She awaits trial .

Achilles : When will it take place ?

Apepi : Tomorrow .

Achilles (Wringing his hands with anguish) : What is to be done ?

What is to be done ?

Severus : It is impossible that we leave her to the mob.

defence and talked at length about God's infinite mercy and about his son the redeemer, saying obscure words about marriage whose bond is fastened in heaven and cannot be unfastened on earth. The magistrates, pretending to grasp his meaning, stupidly shook their heads like idiots and seemed to deliberate among themselves. Finally, Imri, the cup-bearer stood up and a deep silence followed. He pronounced in a resounding voice ; "The verdict of this court is that Philammena, daughter of Aury son of Anubis, of the district of Bacchus, lady-in-waiting to Faustina, enemy of the father-land, is found guilty of high treason and shall be put to instant death in the manner prescribed by the law for traitors. " Philamena then lifted up her face to heaven and made the sign of the cross, and the soldiers led her out amid the spiteful jubilation of the uproarious mob and the scathing remarks of the furious rabble.

Hathor : Then at night we went to the prison to visit her, but found out that she had already been executed at sundown and that her body had been sent to her brother Philammon.

(All eyes turn to Philammon who stands pale and rigid like a wax statue murmuring : "God's will is done ! God's will is done ! ")

nine magistrates who looked like an Ennead of devils just emerged from the bottom of hell: a baker, a miller and a carpenter, a fisherman, a procurer, and a donkey - driver, a cobbler, and a cab-driver, Just think, Achilles, this band of ruffians whom they called the People's Tribunal, was headed by Imri, the palace cup-bearer whom we dismissed a year ago because he looted our wine - cellars ... (She remains silent).

Tafeeta : And when the soldiers pushed Philammena behind the bars, the men raised their fists threateningly and women hurled at her filthy words of abuse and smutty jokes, while Philammena blushed for shame and tears gathered in her eyes. Imri smiled complacently, and a famous prostitute, name Toota, whom every Roman soldier knows well, stood up to represent the prosecution. This woman said that the people accused Philammena of high treason on three grounds : that she married one of the enemy, that she helped him to escape, and that she escaped herself to the camp of the enemy. Philammena stood with uplifted head looking at everyone with contempt. Then a Christian priest stood up as Counsel for the

Achilles (Smelling the frankincense) : Why the frankincense ?

Hathor : We were praying, my lord.

Achilles (Surprised) : In the Throne Hall ?

Hathor : For the soul of Philammena, my lord. .

(Achilles shakes his head in grief . Philammon hides his face in his hand and a deep gloom sets in) .

Achilles : Which of you saw the trial ?

Hathor : We were all there, my lord .

Manetho : (At the same time) : I was there with Philammon.

Achilles : How did it happen ?

Manetho : (Stands speechless, his eyes bulging with stupor).

Hathor : Speak, Manetho .

Manetho : What shall I say ?

Hathor : (Walking like a somnambulist and talking to herself) .

The court- room was quite bare, It was in the barracks of Camp Caesar. There were a hundred benches.

The crowd soon poured into the place which became packed with the angry mob. In the uproar were mixed the hoarse voices of furious men, the lewd laughter of indecent women and the shrill screaming of disgusting children . The atmosphere was choking with bad smells. On the rostrum sat

goes out , Hathor prays : “ o Isis ! Goddess of the sacred veil ! Bless her pure soul. Bless her mutilated body. Gather together her torn limbs as you have gathered those of your beloved husband. Lift her soul to the abode of the immortals, there to shine with the brightest stars of heaven by the holy intercession of your wondrous husband, Osiris Khenti Amenti, Lord of Hapu and Chief of the Westerners.”

Marina : Great zeus ! Answer the supplication of the holy Aphrodite.

Tafeeta : Great Ptah ! Answer the supplication of the holy Tefnut.

(Enter Emperor Achilles, Pharaonic dress but still retaining his Roman purple mantle, followed by Manetho who still retains his Greek costume , by Africanus, Apepi and Philammon who are all dressed in Pharaonic costume. Diogenes, Severus and Pompeianus follow, still accoutred in the Roman fashion. The women courtesy very deeply, almost touching the floor. As Achilles ascends the throne the Men also bow deeply. When Achilles makes a gesture with his hand the women rise up and the men stand erect.).

Marina : Whene'er a bark sails on the westward wave,

O mermaids of the sea, forsake your cave .

To bid it farewell in its western grave .

But oh ! without good-bye went Philammena.

Tafeeta : Whene'er the moon is down and black night hovers,

O mermaids of the Nile, forsake your rivers,

With tambourine awake the city-lovers.

To mourn with you the queen-moon Philammena.

Hathor : Enough of that, girls. Enough of that . Tears never bring back
the dead.

Tafeeta : There remains only one hope.

Marina : That A chilles strikes.

Tafeeta : Just one stroke.

Marina: To rid us of this Christian wolf.

Tafeata : It was upon his behest that they killed Philammena .

Marina : As they would kill an innocent dove .

Hathor : A sacred offering on Love's altar. (Going towards the right
door, she claps her hands crying : " Frankincense! " En-
ter a slave carrying a burning censer exhaling the smoke
of frankincense . The slave goes around the hall then

side of the throne sits Marina in Greek dress, holding a small Greek guitar. Flute music sad and soft, is heard from the neighbouring Reception Hall, punctuated by the sad deep beats of a distant drum. Hathor is silently sitting in Pharaonic dress on a sofa looking thoroughly afflicted and nervously wringing her handkerchief).

Tafeeta (Singing while playing) :

Whene'er the wailing wind means in the night .

The melancholy nightingales are put to flight .

Whene'er the rising sun pours in the light .

The sea - waves murmur calling Philammena.

Marina (Responding) :

Like autumn leaves my thoughts are shed and scattered .

My captive soul is bruised and bound and battered.

And in my tower'd palace dreams are shattered.

For she I love is gone, my Philammena .

Tafeeta : The garden of my love is dry and sere,

Dead are my roses, withered around the year,

And birds no longer twitter in my ear :

The one I love is gone, my Philammena.

ACT III

(The Throne Hall in the Palace of Achilles, Emperor of Alexandria. The Pillars are of the Pharaonic type with gilded lotus capitals. The two entrances on the right and the left are also of the Pharaonic type, equally high and both crowned by the emblem of the falcon Horus with outstretched wings. Each entrance is inlaid with gilded stalks always ending with a lotus flower. The fresco on the ceiling shows the zodiac, an exact copy of the zodiac in the Temple of Tentyra (Denderah) , but the dominant colours are turquoise and gold . Many lighted candles in brazen stalks of lotus hang in the corners of the hall. The Throne is placed in the centre of the back wall facing the spectators and on both sides of the throne there are two enormous windows whose glass shows delicately painted patterns. Steps covered with a most luxurious purple carpet lead up to the throne which has overhead the double crown of Menes, the crown of Upper Egypt and the crown of Lower Egypt. A Few pieces of Pharaonic furniture are scattered here and there . On the right side of the throne sits Tafeeta in Pharaonic dress, holding a huge Pharaonic harpsichord. On the left

proud of it because my pure love has made me see the light,
while your sinful love is hurling you into a bottomless pit .

Panofer : Oh ! The slut ! The Slut !

**Martha : (With a resounding voice) : Come, all of you ! Come to see
Panofer, the great monk, wallowing in the mud (Exit Martha
through the right door thoroughly agitated).**

**Panofer (After a moment of silence) : Oh, my God ! What have
I done ? What have I done ?**

**(As though talking to himself) I have served God . I have
served men. I have only asked for my right to live .**

Martha : You closed the doors of mercy, then you speak of love ?

I seek to repent and you say : thou shalt not be forgiven. Philammina asks to be pardoned and you say : justice before mercy.

Panofer (Forgetting himself) : One word from you could save her life.

Martha (Calling out at the top of her voice) : Come, all of you.

Come and witness. Panofer, the great hero, is bargaining over the life of a traitress.

Panofer (Lowering his head, covered with shame) : Forgive me.

Martha : I have forgiven you. Let this teach you to forgive others.

Panofer : Yes. Yes . I am damned . Only you can save my soul.

Martha : I Shall pray for you, Panofer, May you have peace.

Panofer : When shall we get married ?

Martha : I have chosen my lover.

Panofer (Anxiously) : Your lover ? Who is your lover ?

Martha : Christ is my lover.

Panofer (Furiously) : Heresy. Heresy . It is Constantine, you slut.

Martha (Biting her lip) : Yes, It is Constantine, and I am proud of it .

He came and went away like an iridescent angel, Yes . I am

You are an experienced woman. You know what life is . You have known many men. I have known no woman . Do you understand ? No woman. I have met a thousand women but took notice of none, until I saw you dancing in the Palace of Achilles.

Your wild perfume awakened in me something that devoured my soul and flesh, something that devours as faith devours, Yes, faith eats the heart, gnaws the mind, lacerates the body. So does sin. It is something devouring like faith. (He chases her across the room to take her in his arms) .

Martha : Don't come near me. (**Sarcastically**) What do you know about faith ?

(**Pointing to her heart**) It descends like an angel with luminous wings bringing peace and solace to the aching heart.

Panofer : Come to me. Without sin. Without sin, For you I shall cast away this frock.

We shall get married. Who said that love is a sin ?

Martha : What do you know about love , Panofer ?

Panofer : You will teach me, You will teach me.

Panofer : But men will never accept it .

Martha : Then I shall roam in the wilderness.

Panofer (Holding her arm) . If you do, I shall also roam with you to
the edge of the sandy infinite.

Martha (Suspiciously) : What are you saying, Panofer .

Panofer : Martha. Listen to me, I want to tell you something. (He
looks around him).

To you alone (He leaves her arm).

Martha : Go on. Speak..

Panofer : Try to understand.

Martha : I shall understand everything you say.

Panofer (Pointing to his heart) : I am in love with you.

Martha : Impossible !

Panofer : Hopelessly. My doom is sealed. Come here. Come nearer.

Let me touch your exquisite flesh, Let me inhale your odor-
ous breath. (He takes her in his arms and kisses her
arm from shoulder to wrist),

Martha : (Fleeing angrily) ; Go away from me.

Panofer (Imploringly) : Don't ever leave me . If you do I am ruined,
utterly ruined.

Martha : Panfoer !

Panofer : And that you are more seductive in your dancing costume than in this plain dress?

Martha : Have you gone mad ? What are you talking about ?

Panofer (Holding her face with his two hands) : Like a red ruby radiating blazing flames and inspiring hectic dreams.

Martha : I don't understand all this talk. Dancing .: Sorcery Beauty. I never thought that Panofer the Monk would pay attention to such things.

Panofer (Talking to the void) : Like a black diamond spreading fearful darkness that dissipates the light of day .

Martha (angrily) : Why do you remind me of my past sins ? Have you forgotten what I told you .

Panofer : What ?

Martha : That I shall go to a convent .

Panofer : That is impossible .

Martha : What right have you to prevent me ?

Panofer : They will never accept you .

Martha : God has accepted my repentance .

Martha (Bewildered) : Are you talking to someone ?

(Panofer stares at her)

Panofer : Martha !

Martha : Are you unwell, Panofer ?

Panofer : Are you happy Martha ?

Martha : Happy ? Yes. I am happy. Why do yo ask ?

Panofer (Drawing still farther from her) : Never mind . Never mind .

**Martha (Drawing near to him with great tenderness) : What ails you,
Panofer ?**

(Panofer stares at her and remains silent)

Martha : Why do you stare at me like that ?

Panofer (Holding her arm violently) : Do you know ...

**Martha (Screaming and laughing, disengages her arm) : You are
hurting me .**

Panofer : .. that you are the finest dancer in Alexandria ?

Martha : (Smiling) : Indeed ? I have already forgotten .

Panofer : And the greatest sorceress ?

Martha (Reproachfully) : oh, please. Do not revive the past.

Panofer : And the most exquisite woman ?

Martha : Here is to Egypt (She drinks).

Panofer (Drinks) : And here is to Achilles.

Martha (Drinks) : Here is to Constantine.

Panofer (Stung with pain, drinks) : Here is to Martha.

Martha (Drinks) : Here is to Panofer.

Panofer (Sighing sadly) : The sad Panofer.

Martha (Surprised) : What saddens the heart of Panofer :

**Panofer (Drinks pretending that he has not heard) : This one also is
to Martha.**

Martha (Drinks, still surprised) : And I drink to your health, Panofer.

**(Panofer draws far from her, His eyes vacantly turn in
the empty air and look at the ceiling).**

Panofer : He is back.

Martha (Unable to understand) : Who is back ?

Panofer : It is he. It is he. Avaunt. Away. Away.

Achilles : How dare you remove their forces from the tower. Don't you know that the fleet...

Panofer : Yes, I know, but they are Romans.

Manetho : Why did you not wait for Achilles' orders ?

Panofer : You expect me to leave them to Diocletian to bargain with them ?

Achilles : And, may I ask, who will defend Pharos Palace ?

Panofer : Apepi and Philammon.

Manetho : With the mob of Alexandria ?

Achilles (To Manetho) : Leave him alone. All civilians must be evacuated from the Palace at once. I shall lead the army myself. Come on, Manetho. Come on. (With bitter reproach) Panofer is an uncrowned king. (A guard sounds the bugle at the left door. Exit Achilles and Manetho through the same door).

Martha : Panofer. Achilles is incensed against you.

Panofer (Nodding thoughtfully) : Perhaps. Perhaps.

Martha : What did he expect ? You were only doing your duty.

Panofer : He is angry because of Faustina,

Martha : He is jealous of your power.

Panofer : No. No. He will thank me when he knows everything. Let us drink to victory.

(He fills up two huge silver goblets from the pitchers placed on the marble table and gives one to Martha. He raises his cup) Here is to Egypt (He drinks).

Panofer : Not quite.

Achilles : Speak.

Panofer : My lady Faustina.

Achilles (Confused) : Where is she ?

Panofer : We have arrested her.

Achilles (Hiding his face in his hands for a moment, then saying in a low voice) :

Send her to the Royal Palace.

Panofer : She is with the war-captives.

Manetho : Panofer ! How dare you ? She is still her majesty the queen.

Panofer : No. No. She refused the crown of Alexandria. She did not attend the coronation ceremony. She escaped to the camp of the Romans.

Manetho : Then hand her over to her husband Achilles.

Panofer : We are in a state of war. Her place is with the war-captives.

Manetho (Threatening) : You damned...

Achilles (In extreme anguish) : Enough, enough. Tell him the news, Manetho.

Manetho : The latest news : The Roman garrison in Busiris has surrendered to Prince Tadrus; that of Coptos to Prince Timagenes. We have forty thousand captives from Coptos and Busiris.

Panofer (Jubilating) : Blessed be the Lord ! Now all the country is in our hands. At last the great dream is fulfilled. (Murmurs a short prayer).

Achilles : Is it true what I have heard of Diogenes and Severus ?

Panofer : Yes. It is true.

Guard (Pulling her gently by the arm) : Let us go.

Philammena : No. No.

Guard (Pulling her roughly towards the right door) : Come on. Let us go.

Panofer (Full of dread and tenderness) : Don't be afraid. Don't be afraid.

**Philammena (Screaming as she goes out of the right door) :
Martha ! Martha ! Martha !
(Her voice vanishes gradually. Enter Martha hurriedly through the left door with the echoes of Philammena's call ringing in her ears. She fixes her eyes on the right door).**

Martha : That is Philammena's voice.

Panofer : Yes

Martha : What have you done to the poor girl ?

Panofer : Nothing.

Martha : Then why was she screaming ?

Panofer : Because she is going to prison.

Martha : Panofer !

Panofer : I said everything will proceed justly. Don't be afraid.

Martha (Wringing her hands not knowing what to do) : Release Philammena, Panofer.

Panofer : Let us forget about that.

Achilles (Coldly) : Have you finished ?

(Martha realizes Achilles' presence. She courtesies very deeply, exclaiming : "My lord Achilles !")

Panofer (Looking at heaven) : I leave her to justice.

Manetho : Perhaps Achilles has another view.

Panofer : Achilles views only what the People views.

(Achilles goes up and down pondering with obvious displeasure).

Manetho : Who rules the country, Achilles or Panofer ?

Panofer : The People rules the country.

Philammena (Sarcastically) : And Panofer rules the People. (In calm grief, suffering with dignity) Do what you like. I shall face the people and cry at the top of my voice : Come, Take. I accept my martyrdom. If I am a criminal, then my crime is to have loved greatly. Love knows no bounds, no difference of creed or race or colour, no bars between the rags of the poor and the purple of the mighty. Love surpasses all things terrene because it flows from the Godhead.

Panofer : Come along. Take her away. (Enter guard. Panofer whispers in his ear).

Guard : Indeed, Sir, indeed.

Panofer : Follow him. Philammena.

Philammena (Suspiciously) : Where to ?

Panofer : He knows where to go. Don't be afraid.

Philammena : I shall wait with my lord Achilles.

Panofer : No. No. (Achilles turns his back and looks petrified).

Philammena : I shall wait until Martha comes.

Panofer (Ironically) : My lord the Emperor, Philammena is a brave girl. She confesses. She will confess before the court (Cruelly) that she is a traitress.

Philammena (Proudly) : Yes, I shall confess. Do what you like. You call this treason? Since when love is treason ? I understand nothing about your politics. Fighting fighting, this is all I see around me. Egypt, Rome, Rome, Egypt. All this does not concern me. When I eloped with Armanus we hid out in the church. Armanus kissed the cross. He took the sacrament. We were married by the priest. We were dreaming of having fair children, of making a happy home. For me my home is my sheltering nest, my brave kingdom, my country green. Roman or Egyptian, who cares ? He is God's creature. We are all God's creatures. To him I vowed my life. To me he vowed his love. I want nothing else, nothing. nothing.

Panofer (Speaking like a judge) : Love is not love unless it is blessed by God. The country's enemy is God's enemy.

Manetho : Philammena simply made an error of judgment.

Panofer : She will be justly tried.

Manetho : No. No. I beg her life from our lord Achilles.

Panofer : I said she will be justly tried by the People's Tribunal, to be an example to all traitors.

Manetho : Panofer ! You will not leave her to the mob !

Panofer (Sarcastically) : But if she goes on despising us we shall treat her as an Egyptian traitor. Do not forget that she is Achilles' wife, and Achilles now is an Egyptian.

(Philammon is about to leave with Faustina through the left door. Philammena follows).

Panofer (Staying her) : Whereto, Philammena ?

Philammon (Before he disappears) : Leave her in my custody.

Panofer : Get along Philammon. **(Exit Philammon anxiously looking behind).**

Philammena : I shall follow my brother.

Panofer (Seriously) : Well said. How wise you are.

Philammena : Let me join my brother.

Panofer (Sarcastically) : Who taught you this wisdom ?

Philammena : Let me go.

Panofer : Did Armanus teach you a lesson in patriotism ?

Philammena (Defiantly) : You are wrong, Panofer. I wanted to join Armanus. but the soldiers protested and said "No women come on board".

Panofer : Ah ! So this is the reason why you came back.

(Sighing ironically) It is love. It is always love.

(Enter Achilles with Manetho and guards. Panofer bows and Philammena courtesies.)

Achilles (Smiling) : I hear words about love.

Severus (Angrily) : Yes. I refuse your hand.

Diogenes : Pompeianus was right.

Severus : No. No. Achilles will put everything right. (The Romans move to leave).

Panofer : Diogenes, before you go. Do you know Diocletian?

Diogenes : Yes.

Panofer : Personally ?

Diogenes : Yes, personally. Why do you ask ?

Panofer : Do you know that he is very cunning ?

Diogenes : Perhaps.

(Philammon approaches Panofer and whispers in his ear).

Panofer : Tell your lord Achilles.. (Hesitating) No need. No need. Go along before he lays his snares in your way. (They approach the left door) My lady Faustina waits. (Faustina stops midway).

(Exit Romans and Apepi through the left door. Philammon and Philammena are also about to leave but are stayed by Panofer. Bugle outside).

Panofer : One moment Philammon.

Philammon : At your service.

Panofer : On your way, put my lady Faustina with the war captives.

(Faustina spits contemptuously but no saliva comes out).

Panofer (Calmly) : She is a Roman. She will enjoy the privileges of an enemy prisoner. (Faustina waves her head and hand contemptuously).

a hunted man. Is there not an order for your arrest ? But we shall not hold you up at this critical time because you are a useful man; because we do not want to antagonize the mob.

Panofer (Cajoling him) : Don't be angry, my lord Severus. Try to understand the situation. It is an absolute necessity.

Severus : What necessity ?

Panofer : Let us speak frankly, You are Romans and we are Egyptians. You are partisans as you call it, but still you are Romans. To-day you may be against Diocletian. but tomorrow you may make up your differences with him. How can I leave the Palace in your hands ? No. No. Neither the Palace nor the walls of the city. Both must remain in Egyptian hands.

Severus : In short, we are captives.

Panofer : No. No. (Reproachfully) You have a suspicious mind, Severus. (Offering him his hand) This is a word of honour, Egyptian honour. Take the Roman garrison to the Palace of Achilles. He will dispose of you in the manner he likes. Perhaps he will ask you to defend the royal palace, or even the centre of the city. Anything but the coast and the city-walls. Are you convinced now ? You and your men are perfectly free. Do not then talk of Egyptian treachery. I gave you my word of honour. Do you refuse my hand ?

Apepi (Calmly) : Every sword back to its' scabbard. You have a choleric temper, Panofer.

Panofer (Going up and down weighing the situation) : I beg your pardon. Apepi...

Apepi (Coming forward) : Yes, Panofer.

Panofer : Can you defend the tower ?

Apepi : With civilians ?

Panofer : Until Achilles comes.

Apepi : When will he come ?

Panofer : He is on his way to us.

Apepi : Yes, I can.

Panofer : And you, Philammon, you defend the coast : the front of the Palace (To Apepi and Philammon) : Evacuate all the Romans from the Palace. Only the Egyptians will defend the Palace. All the Romans must withdraw to the interior of the city. None but the Egyptians shall remain in Pharos Palace. These are orders and they must be carried out strictly. Whoever resists, slay him to pieces.

Severus : Listen, Panofer. You are an ignorant man. You know nothing of the art of war. Don't you know that one Roman soldier is worth ten of your Egyptian rabble ? Alexandria will fall within one week of the siege. You bear the responsibility alone. If we were not making accounts with Diocletian we would have dealt with you adequately. Do not forget that you are

Diogenes : Let it be so. We shall not waste our time quibbling.

Severus : Achilles is the master of the country.. I shall surrender the standard to him personally.

Panofer : And where are the rest ?

Diogenes : They sailed to Diocletian.

Panofer : What ! sailed to Diocletian !

Philammon : Yes. They sailed to Diocletian.

Panofer : How many were they ?

Philammon : There were Armanus, Rufinus, ten centurions and three hundred footmen. The rest are in the tower.

Panofer (Angrily) : Why did you not arrest them ?

Diogenes (Sarcastically) : Why should we arrest them ? They are Romans. Free-born Romans. Do you understand ? They simply had a different point of view. They thought to serve Rome under the flag of Diocletian and we thought to serve Rome under the flag of Achilles.

Panofer (Furiously roaming about the room) : Vipers ! Vipers ! Martha was right. They are Romans serving Rome under the flag of Achilles. (Threatening with his fist) Apepi ! Philammon ! Arrest them. There are no Romans here. Achilles himself serves Egypt under the Egyptian flag.

Pompeianus (Draws) : Treachery ! Treachery ! On your guard, men. We are captives. (The Roman officers draw their swords instantly).

Panofer : No. No. All Romans go to Achilles. At once.

Diogenes : I said I am staying here with my men.

Panofer : And I said my men will defend the Palace.

Pompeianus (Sarcastically) : Your men ! Do not talk to us about your men. They are bands of mob armed with knives and axes.

Panofer (Furiously) : And yet they defeated you. I won't allow you I won't allow you. (General confusion)

Philammon : Be patient, Panofer. My lord Diogenes is right.

Panofer : Shut up. You are still green in judgment.

Apepi (Interfering) : The siege has begun, Panofer. This is not a battle for civilians.

Panofer : We are aware of that. Siege or no siege, the command must be changed.

Pompeianus : We are not captives, Panofer. We have come...

Panofer : Of your own free will. Yes. Yes. (He ponders).

Severus : We are Romans. Diocletian has disobeyed Rome, so we disobey Diocletian. This is the way we look at it.

Apepi : My lord Diogenes is right.

Panofer : Surrender your standard.

Pompeianus : No. The standard of the Romans remains in the hands of the Romans.

Severus : We are not captives, Panofer. We are partisans.

Panofer : Partisans. You say partisans. We are all subjects here, subjects to Achilles, Emperor of Alexandria.

Diogenes : You are still Achilles'wife Faustina.

Panofer : Let her give vent to her fury.

Faustina (Contemptuously) : Achilles is the puppet of the Egyptians. I am no longer his wife. You will all be led in the triumphal procession through the streets of Rome. Your heads will all be chopped off. As for you, dirty monk, you will be crucified on the road to Capua with slaves and brigands for vultures to feed on your carcass.

Panofer : Never mind. Never mind. (Turning to the group) Have you come to an agreement?

Apepi : This is General Diogenes. He is first in command here.

Panofer : Welcome to you, Sir. Welcome to you, my lord Pompeianus.
(Pompeianus looks at him superciliously and does not answer)

Philammon : And this is General Severus.

Panofer : Who does not know Severus the Conqueror ? You have agreed ?

Apepi : On everything.

Philammon : The Egyptian flag is now hoisted on the tower.

Panofer (Going round them and scrutinizing them with a questioning look) : Then you have accepted.

Diogenes : Yes, we have accepted.

Panofer : You will go at once to Achilles.

Diogenes : To Achilles ? Impossible. I am staying here with my men.

Pompeianus : My men will also defend the Palace.

Martha : Say it : the queen of prostitutes. I know that he is as lofty as the clouds, as unattainable as the mirage, as pure as the snow-caped pinnacles of Mount Sinai. That is why my soul was possessed by supernatural peace. Yes, this is the secret of my happiness : that I love in the spirit and not in the flesh. Do you understand now ?

Panofer (Tenderly) : Now, now. Go back to the company. They will miss you. I shall pray for you, Martha. (Exit Martha through the left door followed by Panofer's heavy breathing) No. No. Anything but the convent ! Anything but the convent ! (Enter through the left door Apepi with the Roman generals, among whom is seen Faustina and Philamma. One of the officers is carrying a Roman standard).

Panofer : Lady Faustina ! (He bows ironically).

Faustina (Angrily and arrogantly) : You filthy Egyptian ! (Murmurs of discontent).

Diogenes : There is no need for this, my lady.

Faustina : Shut up, you traitor.

Severus : You are now on Egyptian soil, Faustina.

Faustina (With disgust) : Shame ! Shame ! Severus, the conqueror of Gallia, surrenders the Palace. (She covers her face with her hands. With a trembling voice) : Traitors. All of you are traitors.

Panofer (Eagerly) : With whom ?

Martha : With Constantine.

Panofer (Drawing back) : Constantine !

Martha : Do not leave me.

Panofer : Martha !

Martha : From the first sight I knew I was enchained by his love. How my tears flowed and flowed, until my eyes became like dried up springs. Thorns of remorse grew in my heart, and pricked me like pointed thistles. I pray to Christ but I always see the face of Constantine.

Panofer : Enough. Enough.

Martha : Then a strange peace dwelt in my soul and saved me from the hounds of hell. His love purified me. I no longer thought of my body. Do you know how fresh we feel when we go out into wet weather when the spring showers have stopped raining ? This is how my body felt and with my body my soul. I knew that my tears have washed away all my sins. I knew that God has accepted my atonement. So. I vowed myself to Christ when the fighting is over.

Panofer : Stop it, you slut.

Martha : Panofer !

Panofer : You do not love Christ. You love Constantine.

Martha : Are you angry, Panofer.

Panofer : This is sheer madness. Constantine is in Byzantium the king of kings and you are here...

Panofer (Laughing hysterically) : Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! I suppose you will go to the convent in your dancing costume with your guitars and cithars and your band of chorus girls ! (Frowning) This is sacrilege.. sacrilege .. sacrilege. Do you understand ?

Martha : No, no, no.

Panofer : Do you think that the convent is like your Temple of Isis ? Have you forgotten who you are, Martha ?

Martha (Trying to kneel down before him but he prevents her) : Help me, Father ?

Panofer : (Helping her with his hand to rise) : No, no. Do not confess. Your sins are numberless : as countless as the sands of the sea; as countless as the stars of heaven. Do not confess. It is no use. I shall pray for you. That is all I can do for you. What happened to you, Martha ?

Martha (Sighing) : It is love, Panofer.

Panofer : Love ? And what is new in that ? You were born in the Temple of love.

(Gently caressing her hair with a mixture of tenderness and lust) You close your eyes on love. You open your eyes on love. You breathe love with every breath you draw.

Martha : No, Panofer, no. Do not remind me of my sins. This is something different.

Panofer : We shall see. We shall see.

Martha : From the first sight I fell in love with him. Panofer.

His eyes were blue, of the still sunny blue of Mariotis pool. His fair long hair reached down to his shoulders. His golden beard looked like waves of gold. It seemed to me I was talking to Prince Constantine. With panting breath I said : O Lord ! Why did you not appear to me before my days of thoughtless sin ? When I set eyes on you, love, like gentle lightning, lighted up my murky heart; and when you vanished from my sight my nights were sleepless and sunless were my days. I wept and wept until my eyes were dry and sere. Oh handsome Prince ! Oh holy spouse ! My dowry is my tears. To you I offer all my heart. Will you accept the offering ? He then smiled and patted my hand and answered thus : Precious is your dowry. Take this my ring, for you shall be my bride. And so I said : then you will be thereafter my lord and master. (Showing Panofer her left hand) Look at this ring ! Is it not beautiful.

Panofer (Gazing with amazement at her hand, he sees no ring) :

What ring ? I see no ring ? What happened to you, Martha ?

Martha (Like one waking from a dream) : Panofer ! After we seize the Palace, I shall go into a convent.

Panofer : What are you saying ?

Martha : I shall go into a convent.

Panofer : You go into a convent.

Martha : Yes, I.

Panofer : What are you talking about, Martha ?

Martha : The Virgin has accepted my repentance.

Panofer (Moving both hands before her eyes as though he wanted to wake her up from a hypnotic sleep) : This is magic ! This is magic ! This is magic ! You are under a spell, Martha.

Martha (With a resounding voice) : The Virgin has accepted my repentance. (Her voice falls) She lifted her finger, pointing to heaven, and said : My Son, if He pardons I pardon and if I pardon He pardons. I knelt down and kissed the trail of her gown.

Panofer (Bewildered) : Blessed be the Lord.

Martha : And when I asked Him...

Panofer (More bewildered) : You asked Him ?

Martha : Yes. He came and I asked Him. Don't you believe me ?

Panofer : Yes. No. No. I mean : yes. I believe you.

Martha : He came down from the heights, then He stooped down and held my hand saying "Rise up. Rise up. For the sake of the Magdalen all your sons are pardoned".

Panofer (Terrified as though he sees the devil) : You mean Christ !

Martha (Proudly) : Yes. He is now my Lord and Master.

Panofer (Terrified) : Martha ! This is heresy.

Martha (Smiling peacefully) : Do you know whom He looked like?

Panofer : Beware, Martha. Beware.

Martha : He looked like Prince Constantine.

Panofer : You.. saw.. the Virgin ?

Martha : Yes I saw the Virgin.

Panofer (Doubting the sanity of her mind) : Where ? Where ?

Martha : A little while ago. I fell asleep, then I woke up. Didn't you say that I was weary ? Didn't you say that I should have a rest ?

Panofer : Yes. I said so.

Martha : I listened to your advice. I went out to the palace-garden to have a rest. There I laid down under a fig-tree and fell asleep. In my sleep I saw the Virgin all dressed in green. Why do you teach us wrong thinge?

Panofer : All dressed in green ?

Martha : Yes. She was not in a blue gown as you always teach us. She was in a green gown. On her brow there was a crescent with three stars.

Panofer : That is not the Virgin.

Martha : Have you seen the Virgin ?

Panofer : No. No. Only in pictures.

Martha : I saw the Virgin and she was in a green gown. She smiled at me and beckoned bidding me approach.

Panofer : Did she say anything ?

Martha : When I approached I asked her : "Is it too late ?"

Panofer : Too late ? Too late for what ?

Martha : She answered : "No." I asked her : "Is there still hope ?" and she nodded, covered with smiles, saying : "Yes. Oh, yes".

Panofer (To Arius) : Go along with him, Arius. Let nobody do him any wrong. (Exit Arius and Officer. Panofer talking to himself) Martha was right. No negotiations. To-day we raise the Egyptian flag over the palace-tower. (Enter Martha through the left door. She crosses over to Panofer in a strangely serene calm).

Martha (Shyly) : Father Panofer !

Panofer (Tenderly) : Martha !

Martha : Bless me, Father.

Panofer : What is that on your face ?

Martha : Is there anything on my face ?

Panofer (Surprised) : Yes. I see a halo of light.

Martha (Exulting) : Blessed be the Lord.

Panofer (Still surprised) : Have you been praying ?

Martha : Bless me, Father.

Panofer (Turning away obviously tortured) : God bless you. In his boundless mercy may He bless all sinners.

Martha (Shyly) : Yes, I was praying, Why do you avoid me ?

Panofer (Looking intently at her face) : Why is this unusual peace ?

Martha (Dreamily) : I see the light.

Panofer : What light?

Martha : I asked her ...

Panofer : Asked whom ?

Martha : The virgin. Virgin Mary of course. Don't you believe me ?
I saw her and asked her.

Write that Achilles is chosen by the Egyptian people and therefore can only be deposed by the Egyptian people. Also write, Arius, that Egypt has honest enough judges to try the murderers of Rusticanus. Do not forget to say that Panofer is nothing but a poor monk who has no worldly desires... (Biting his nether lip) I mean who desires nothing more than the Kingdom of Heaven. (Staring at Arius and asking bitterly) Is it not so, Arius ? (Arius moves towards the right door) Arius ! Begin the missive : "From peace-loving Egypt, Independent and Sovereign (Exit Arius) (Enter through the right door two mariners and a soldier in a hurry crying : "The Roman Fleet ! The Roman Fleet has appeared". Panofer makes a gesture bidding them to be quiet).

Officer (Warningly) : Think well, Panofer.

Panofer (Roaring) : Is it part of your mission to threaten too?

Officer : No. No. My master, the Emperor, is a peace-loving man.

Panofer (With diabolical defiance) : Tell your master the Emperor : if he wishes to have Achilles, let him come himself and take him. (Softening) No. Tell your master to go back to his country if he truly loves peace. Men of Egypt !

(Enter rushing through both doors crowds of soldiers and citizens). To the tower. To the tower. Follow Philammon.

(Exit crowd chanting the anthem : "Glory be to Pharaoh". Enter Arius carrying a pen and an outspread scroll of papyrus, which Panofer examines carefully, then signs and hands over to the Officer saying : "Fine ! That is fine !").

Officer : My master, the Emperor, did not mention surrender.

Panofer : This is worse. Your master the Emperor wants treason. He wants me to join him and to destroy the nationalists, so that peace and security may prevail in his "beloved province of Egypt".

Officer : Is that not what the Egyptians want ? that they should be ruled by an Egyptian.

Panofer (With cunning sarcasm) : How shall we write back, Arius ?

Arius (Sending his sarcasm) : We give him what he wants.

Panofer (As though dictating) : Then write, Arius :

To my lord and master, Diocletian, August Caesar of the East and sole Emperor of the two hemispheres. In the name of repentant Egypt I kiss the fringes of your purple mantle. No, no. That is not enough. I kiss the dust on which you tread. (Bursting with laughter) Ha, ha, ha, ha!

Officer (Angrily) : You are ridiculing my master, the Emperor, Beware, Panofer.

Panofer (Pacifying him) : Don't be angry, Don't be angry.

Officer : Then you refuse ?

Panofer (Dictating seriously) : Write, Arius, that peace and security perfectly reign in our beloved Egypt under the banner of our beloved Egypt. Write that all Alexandria cheers with the voice of one man : "Long live Emperor Achilles !" and that Panofer also cheers : "Long live Emperor Achilles !"

"It is now our certain belief that the problems of our beloved sons of Egypt, exemplary in loyalty to the glorious Empire, can never be understood except by an Egyptian. Since you, Panofer, enjoy the confidence of our beloved Egyptian people, we have thereupon deposed the unjust and rebellious son of Rome, Lucius Domitius Domitianus, better known to you by the name of Achilles, and it is our pleasure to instate you in his place as Prefect of Alexandria and Viceroy of Egypt on two conditions : First, that you surrender to us this traitor together with his rebellious associates, yielding all those who have taken part in the foul assassination of our faithful servant Rusticanus to the justice of glorious Rome; Secondly, that peace and security should prevail in our beloved province of Egypt. Should you need a striking hand, you will find our fleet waiting outside the harbour for you to command".

Arius : Then... the Roman fleet has actually arrived.

Panofer (Laughing sarcastically) : The sly fox. The sly fox. The cunning Diocletian. He is trying to bargain.

Arius : He speaks of anxiety and unrest. He does not recognize the revolution. He speaks as though he is still the master of the country.

Panofer : He is trying to bribe me, Arius. Ha ! ha ! ha ! If you surrender we make you Prefect of Alexandria and Viceroy of Egypt. Ha ! ha ! ha !

Officer : Which of you is Panofer ?

Panofer : I am Panofer.

Officer (Taking out of his doublet a sealed message which Panofer breaks and peruses) : My master, the Emperor, is waiting for the answer.

Panofer : Where is your master, the Emperor ?

Officer : The Roman fleet is waiting outside the harbour.

Arius : That is a lie. There is nothing outside the harbour.

Officer (Politely) : Beyond the horizon, venerable monk.

Panofer (Reading slowly and aloud) : "From Diocletian, Emperor of glorious Rome, to the pious Monk Panofer:

"Our greetings to you and the greetings of the Roman People to the beloved Egyptian People".

"It has come to us that you are beset by various anxieties and causes of unrest. We have taken note of the many acts of persecution, tyranny, and injustice that have been lately inflicted on our beloved Egypt, the gem of the Empire. We wish it to be Known to all Egyptians that Roman Justice is unscrupulously impartial and for ever awake, ready to smite evil doers and blast the enemies of Roman peace; that the unsheathed sword of Romulus will never go back to its scabbard until every injustice is redressed and all our subjects feel safe to worship their various gods in perfect freedom".

Panofer (With a dazed head) : No. She knows nothing.

Arius : You break your pledge to God.

Panofer : I shall put away the monk's apparel.

Arius : No. No. Never lose hope in God's mercy. Leave everything.
Retire into a monastery, and pray and pray and pray.

Panofer : Leave everything ? Impossible. We must finish what we
have started.

Arius (Approvingly) : Yes. You are right.

(Philammon appears at the left door)

Philammon (Looking puzzled) : A messenger from Diocletian. He
asks to see Panofer.

Panofer : From Diocletian ?

Philammon : So he says.

Panofer : Have you examined his credentials ?

Philammon : Apepi examined them.

Panofer : (Stepping forward) : Arius, ask him what he wants.

Philammon : He wants to see you personally, Panofer.

Panofer : Grant him safe passage. Has the Roman fleet arrived ?

Philammon : No. Nothing yet in the horizon.

Arius : It is a stratagem. Turn him away. Arrest him.

Panofer : No. No. Give him safe passage. Remember this.
A messenger's person is sacred.

Arius : No doubt Diocletian is threatening fire and destruction.

Panofer : Why did he not go to Achilles ?

(Enter a Roman officer. Philammon waits at the door).

Arius (Drawing back) : Panofer !

Panofer (Stammering) : Come. Let us pray for Martha.

Arius : Yes, indeed. She needs our prayers. (He mutters).

Panofer : She has known many men. (He mutters).

Arius (Raising his eyes to heaven) : God's mercy is infinite.

Panofer : Stay where you are. (Kneeling down before him).

Arius (Puzzled) : Panofer !

Panofer : Pray for me, my son.

Arius : Panofer !

Panofer : Yes. Yes. Panofer is in love. Hopelessly and irretrievably in love. Have you heard me ? I am in love. I love Martha. I loved her since the day I saw her in the Palace of Achilles. Do you remember how she danced for Achilles ? (Stung with pain) For Constantine ? Her body twisted in mortal coils like a seductive snake. Oh, the rhythm ! the rhythm ! Do you remember the rhythm ? And her perfume. It awakes my senses, like a thousand red roses. No. It is black magic. Like a thousand snakes twisting round my body, squeezing, squeezing, squeezing. I no longer pray, my son. (Looking at the ring on his left ring-finger) Oh, mother of God ! Boundless is your mercy. (He bursts into tears, sobbing aloud).

Arius : My God. This is the curse of the Patriarch !

Panofer : The curse of the Church.

Arius : Rise, Panofer, rise. (Helping him to rise) Have you told Martha anything about this ?

Arius : What is the matter, Panofer?

Panofer (Pointing to his heart) : My heart, My heart.

Arius (Shouting) : Send for a doctor !

**Panofer (Laughing hysterically) : This is madness, madness, utter
madness.**

Arius : What is it ? Speak, man.

Panofer : You will never understand. You will never understand.

Arius : Speak, for God's sake. I beseech you. What is it ?

**Panofer (Scours the room staring in the void and pointing to the
ceiling and the corner. The devil ! The devil ! Look ! Look !**

Arius (Bewildered) : What has come upon you, Panofer?

**Panofer : Don't you see it ? It is there. Floating in the air. Here.
Lurking right in that corner. There, there. Hidden in the
ceiling. Can't you see ? (Examining his cape) Right here in
this frock. Yes, in this frock. (Pointing to the left door) No.
No. It has left. It has gone out of that door.**

**Arius : You are delirious. Pull yourself together. The doctor will soon
come.**

Panofer (With hollow laughter) : Come here, my son.

Arius (Drawing near) : Do you want something ?

Panofer : Have they ordained you to receive the confession ?

Arius (Surprised) : Yes. Why do you ask ?

**Panofer : You are twenty years younger than I, but never mind. Come.
Come. Let me confess to you.**

Panofer (Cruelly) : Justice is above mercy.

Martha (Sighing) : Love is blind, Panofer.

Panofer : Yes. Yes. Love is blind, Martha. (He feels weak and staggers. Arius rushes to support him by the arm).

Martha (Anxiously) : What is wrong ? Are you ill?

Arius : Are you sick, Panofer.

Panofer : No. No. Just a passing fit.

Arius : Your face is pale.

Martha (Putting her hand on his forehead) : Your forehead is burning. You have a fever. (She wipes his sweat).

Panofer (Recovering and pulling himself together) : Yes, Martha. Love is blind. Love is deaf and dumb. Love listens only to its own reasons. (Thundering) So is my love for Egypt. It is blind, deaf and dumb. it listens only to its own reasons. Philammina escaped to the camp of the enemy. I have no mercy for traitors.

Martha : Think of her poor brother.

Panofer : Enough. Enough of that. Go, now. Go.

(Exit Martha with her followers through the left door.

Panofer is alone with Arius. He is overtaken again by the fit and almost collapses but is supported by Arius).

Arius (At the top of his voice) : A doctor. A doctor. Call for a doctor.

(A bustle is heard near the right door. A head appears through the door then disappears, obviously to bring medical assistance).

Panofer (Sadly) : No. No. There is no medicine to cure my sickness. I am lost, lost, lost.

Panofer : Marcus Sextus has twenty men-of-war. If they join us we might be able to prevent the siege.

Martha : Let it be as you think.

Panofer (Looking at her face with extreme tenderness) : Martha, your eyes...

Martha (Turning away her face) : Yes, Panofer.

Panofer : Your eyes are swollen. Have you been weeping ?

Martha (Wipes her eyes with her sleeve) : No, no.

Panofer : You look tired, Martha.

Martha : Yes. Yes.

Panofer : You should take a rest.

Martha (Aside with a low hysterical voice) : Eternal rest.
(To Panofer) After Victory we shall all rest.

Panofer : Philammon and Apepi are at the tower. Join them. The people shall fight side by side with the army.

Martha : What about the question of Philammena ?

Panofer (Angrily) : I said no intercession for traitors.

Martha (Trying to calm him down) : Philammena is simply a mad girl.

Panofer : She will have a fair trial.

Martha : You are not going to leave her to the mob ! They will tear her to pieces if she falls in their hands.

Panofer : I said she will have a fair trial.

Arius : Do not plead for a criminal.

Martha : I plead for mercy.

Panofer : To the palace-tower, brave citizens.

Martha : To the coast-wing, brave citizens.

Panofer : No, Martha. To the palace-tower.

Martha : Have you seized the coast-wing?

Panofer : No. No. That we attack last.

Martha : What is your idea?

Panofer : There are fifteen hundred Romans in the tower and three generals.

Martha : Diogenes and Pompeianus?

Panofer : And Severus too.

Martha : All the more reason why we shall attack the coast-wing. This way we intercept them. They will be stranded in the tower.

Panofer : I said no. We are negotiating with them to surrender the Palace.

Martha : What negotiations. Kill them off. Kill everyone of them!

Panofer : No, Martha. They might join us.

Martha : We don't need them.

Panofer : Yes, we shall need the fleet.

Martha : Is the Admiral with them ?

Panofer : Yes, he is. Diocletian sailed from Latakia a week ago. He has a hundred men-of-war. Diocletian is leading the expedition himself. (General agitation. Confused words. Shouts of "Down with the tyrant" "Down with the butcher" ! Martha makes a sign to keep them quiet).

not a light to guide. It is a fog that makes us go astray. Follow your heart, Arius. Do not ask : where is the right road. Just follow your heart, Arius. By faith I fight; by faith the Patriarch preaches peace. One of us will go to hell. Perhaps both of us. Come on. Waste no time, my lads. To you swords. To the gruesome battle. Philammon, take your men and join Apepi.

Philammon : Panofer !

Panofer : Yes, Philammon ?

Philammon : For the tenth time, I want a promise that Philammena be secure.

Panofer : I promise nothing except justice.

Philammon : Write to Achilles.

Panofer : No, no, no. I cannot mediate for a traitor.

Arius : Come on, brave heroes. To victory behind Panofer, our hero of heroes. All the people shout : "Panofer and liberty ?"
(Exit Philammon through the left door followed by his soldiers. As soon as they disappear, Martha rushes through the right door carrying a flag and followed by an armed crowd of citizens. Martha is wearing a long black garment of the type worn by Egyptian peasant women).

Voices : Martha and liberty !

Panofer (Greeting Martha) : All the people cheer : "Martha and liberty !"

Arius : Martha and Panofer !

Martha (Shouting) : Egypt and liberty ! Remember nothing except Egypt and liberty.

(The crowd cheers : "Egypt and Liberty !")

Arius : What has come upon you, Panofer ?

Panofer : But the Patriarch forgets that we are one of the scourges God has sent upon the Romans. With sinners He destroys sinners. God is eternal peace, and yet he suffers war to ravage the world. He is eternal goodness, and yet He suffers evil to prevail. He is eternal mercy, and yet He lets loose the hounds of hell. This is God's justice. He punishes us on earth and in heaven.

Do not think too much, Arius, or you will be confused and damned. This is the great riddle. How can the perfect create the imperfect ? How can good beget evil ? Once upon a time I heard a monk, who was about your age, saying : "He who can remove evil but does not do so is himself evil". He was piteously raving. He kept on asking : "Why does God not remove evil ? Is He lacking in goodness ? Is He lacking in power ? " Then I said : "Peace, young man. For some purpose God created evil and left Satan to corrupt the world". Do you know, Arius, how he answered ? He said : "Then He is trying with us. Then we are mere puppets on His stage and He pulls all strings to construct a show coherent to His mind Alone". I said : "No. No. This is heresy. He suffers with us, because He is within us". To this he answered : "Then He is the play-wright, the actor, and the spectator, all at once". I say do not reason much. Reason is

Philammon : No. Arius, but your turn will certainly come.

Panofer (Still stunned) : My God ! The curse of the Church !

Philammon : He also said that you corrupt the faith of Christ.

Panofer (Dreamily) : What have I done ? Is not redemption the faith of Christ ? All I said was : every Egyptian who redeems Egypt with his blood will go to paradise.

Philammon : And he declared that you are defrocked.

Panofer (Looking angrily at his clothes) : Impossible ! No one can defrock me. (Examining his left ring-finger dreamily). This ring which I wore the day I was betrothed to the Virgin, I shall never take off until the day of my death.

Arius (Sarcastically) : Our father the Patriarch is raving. He wants to drive the Romans out by fasting and praying. I heard him once say : "God alone will send his scourges upon the Romans and rid the country of their evil. All we have to do is to pray contritely and await God's will." When I asked him : "Why did God not send his scourges upon them till now ?" he looked at me suspiciously and said : "Are you trying God, Arius ? If we were not sinners like the Romans, my son, He would have saved us from them long ago".

Panofer : The Patriarch is right, Arius. You do try God with your questioning spirit and your cold ratiocinations.

Second Soldier : Yes. Yes, by Jupiter.

Apepi : This is a miracle.

Panofer : Or a trick.

Second Soldier : No, by Jupiter. This is true. They want to negotiate the surrender of the Palace.

Panofer : Arius, come here. No. No. Apepi, you come here. Ask Diogenes to meet you outside the tower. (Exit Apepi through the left door followed by the Egyptian crowd and the Roman soldiers. Panofer and Arius alone. Enter Philammon through the right door panting and extremely terrified, followed by three Egyptian soldiers brandishing their arms).

Philammon : Panofer ! Panofer ! Woe to you Panofer !

Panofer : What happened ?

Philammon : Don't you know ?

Panofer : Speak, man. What happened ?

Philammon : The Patriarch

Panofer : Where is he ?

Philammon : When he saw thousands of Egyptians carrying arms and disregarding his commandments, he was seized by rage, shouting in the Chapel at the top of his voice : "Panofer is an accursed spirit forever raging and roaming restlessly over the earth. He will never find rest except in the bottom of hell"

Arius : Did he say anything about me ?

Second Soldier (Flabbergasted) : The rest. The rest.

Fourth Soldier : If I am penniless, I go with Christir 3

Third Soldier : What about the fifth ?

Fourth Soldier : Jasmina ?

Third Soldier : Is her name Jasmina ?

Fourth Soldier : That is the wife I run away from. **(Singing) :**

Maria has a lovely treat;

Sophia is a warm retreat;

Rosina is plump and sweet;

Christina's a poor man's treat;

Jasmina's a shrew to beat.

(Enter Panofer, Arius, and Apepi, drawn, through the right door, leading a band of armed mob. A fight ensues, lasting only two minutes, after which the Roman soldiers lay down their arms. Some of them shout "We are on your side").

Panofer : Leave them alone. They are drunk.

Apepi (Pointing to the crowd) : Follow me.

Panofer : Proceed carefully, Apepi.

Second Soldier : They are all in the tower.

Panofer : To the tower.

Second Soldier : You do not need to assault them.

Panofer : What do you mean ?

Second Soldier : Severus, Diogenes, and the Admiral are for Achilles.

Apepi : Marcus Sextus !

Third Soldier : I am for myself.

Fourth Soldier : And I am for all.

Second Soldier : This is a problem. How do you solve it ?

Fourth Soldier : It is very simple. I fight with the winner.

Third Soldier : And I never fight at all (He makes a gesture denoting that he always dodges in a real fight).

First Soldier (Frowning) : I am for Diocletian.

Second Soldier : What are you waiting for ? Go. Run along before the Egyptians catch you.

First Soldier : What will you do ?

Second Soldier : As soon as they arrive we shall lay down arms of course. (Exit First Soldier through the left door).

Third Soldier : Rufeia is a sweet girl. (Pointing to the marble tables and screaming : "Wine ! Wine !" They all rush to the pitchers and the goblets and drink greedily).

Second Soldier : Like sugar-candy.

Third Soldier (To Fourth Soldier) : Do you have a girl friend?

Fourth Soldier : Ha. ! ha ! ha ! Five. Four Egyptians and a Greek.

Third Soldier : Amazing !

Second Soldier : This is a problem. How do you solve it ?

Fourth Soldier (Taking a coin out of his pocket to illustrate his method) : Very simple. I throw up the coin. If it is heads, the night is with Maria. If it is tails, the night is with Sophia. If it falls on its edge, the night is with Rosina.

Philammina (Proudly and with disgust) : Yes, the Egyptian. Better than your Roman women. I follow my husband to the end of the world.

Armanus : Pharos Palace is overrun by the mob. If you do not hurry to the tower they will soon overtake us.

Pompeianus : What about our men ? What shall we do with them.?

Severus : They are free-born Romans. No forced loyalty. Those who want to join Achilles, let them stay in the tower.

Pompeianus : What about those who want to join Diocletian ?

Marcus Sextus : I shall give them a man-of-war to sail in.

Pompeianus : Agreed.

Armanus : Let us go. Let us go.

Pompeianus : No. I am staying here. I have changed my mind. Marcus Sextus is a shrewd man. If Achilles is left alone with the Egyptians he will be at their mercy.

Armanus : What shall I do, my noble Commander ?

Pompeianus : Sail at once with Rufinus to Diocletian. He needs your experience.

(Exit Roman generals hurriedly through the left door. Enter through the right door, almost instantaneously, four Roman soldiers).

First Soldier : Are you for Achilles ?

Second Soldier : I am for the Egyptian Rufus.

First Soldier : And you ?

Rufinus : It is time to come to a decision. Pompeianus.

Pompeianus : I am for Diocletian.

Rufinus : And you Severus.

Severus (With hand on hilt) : I am a free-born Roman and I shall never return to Rome before the tyrant Diocletian falls. I am for Achilles.

Rufinus : What do you say, Diogenes.

Diogenes : I am with Severus. If my capital is not Rome, then let it be Alexandria. I am for Achilles.

Rufinus (To Marcus Sextus) : And my lord the Admiral ?

Marcus Sextus : I am for Achilles, because Achilles is for Rome.

Pompeianus : How is that ? I thought you said...

Marcus Sextus : Achilles needs us to protect him from his Egyptian wolves. Achilles needs Romans.

Pompeianus (Deliberating) : Ah ! I see.

Rufinus : I am with Pompeianus.

Armanus (Stepping forward and unsheathing his sword) : And I am with Pompeianus.

Pompeianus] : Armanus !
Diogenes]

Armanus (Coming forward and leaving Philammina behind) : Yes, I am able to escape from the Lazaretto. Philammina helped me out and escaped with me.

Rufinus : The Egyptian !

Voices: A Christian ?

Diogenes: No. No. You do not understand Diocletian. I know him better. All he is interested in is power. He brings offerings to Jupiter and the Roman gods to please the Romans. He condones the excesses of the Christians to please the slaves of the Empire. But in his heart of hearts he holds only one thing sacred, and that is Diocletian. He looks calm and clement, but in reality he is more cruel than his two partners. Maximian and Galerius. He never takes by force what he could take by diplomacy and gentle words. Yet he is fiercer than a tiger when he meets with effective resistance. When he wants to destroy an opponent, he gets Maximian and Galerius to arrange for massacres and assassinations, then he interferes like a merciful father to repair the damage caused by his partners. This is how the Dalmatian slave came to be the Emperor of Rome .

Rufinus: That is true. Frisca is a secret Christian. So is his daughter Valeria. These are not mere rumours. They are facts. Do you know that four of his eunuchs in Nichomedia are Christian ?

Diogenes: Everyone knows that Frisca and Valeria have filled public offices with their fellow-Christians.

Pompeianus: And the royal centurions. Half of them now are of this accursed fraternity.

Rufinus: Alas ! the twilight of the gods has set in. Diocletian has let loose the Christians and permitted them to hold their rites in the open. They have increased and multiplied and become a public menace, both rich and poor flock to their faith. The army itself is full of their venomous propaganda.

Diogenes: Reports come every day of soldiers laying down arms and refusing to fight, claiming that killing is against their Christian conscience. What keeps silent, Marcus Sextus ?

Pompeianus: Marcus Sextus is thinking of his dear fleet.

Marcus Sextus: Yes. The fleet has become a hot-bed of Christian mutiny. I think Rome stands on the edge of a disaster. If this mutinous spirit spreads amongst the soldiers, we shall not be able to defend the Empire against the incursions of the barbarians.

(Armanus and Philammena appear at the right door unobserved).

Rufinus: You know, I am beginning to suspect that Diocletian is (His voice falls as though letting out a secret) a Christian .

Even the great Julius and Augustus himself did not attribute to themselves divine titles. But Diocletian learned all this empty pomp from the kings of the orient since his wars with the Persians. We have lived to see the free-born Romans ruled like the slaves of the east.

Severus: The tyrant has put an end to the Republic.

Diogenes: And destroyed the Senate.

Severus: Yes. Yes. Diogenes. He forfeited the liberties of the Romans and sent their patricians into exile .

Pompeianus (Sighing in grief) : Worse. Worse. He moved the Capital of the Empire from eternal Rome to Asia Minor. Diogenes. Severus. Enough of this. To me this was the most horrible crime perpetrated by this foreign slave. Nevertheless, my mind is made up. I shall fight under his banner until it pleases the great Jupiter to rid us of Diocletian.

Severus: I am a free-born Roman. I shall never fight for the rule of eunuchs in the Eastern Empire.

Rufinus: I, Rufinus, high-priest of the great Jupiter, hate Diocletian more than anyone does ; and yet I say we must fight under his banner for Rome's sake. I ask you : who threw discredit on the great gods ? It was Diocletian. Who let accursed Christianity creep like a venomous snake everywhere in the Empire ? It was Diocletian. And yet I say : for Rome's sake fight under his banner.

Severus: Rufinus. I heard it said that his wife Frisca was secretly converted to Christianity .

Diogenes: If ? Consider it already lost .

Pompeianus: Then we shall not be able to divert the India trade-route to Libya .

Severus: Listen Pompeianus. We have completely lost control of the interior of the country since our garrison of Thebes surrendered. All that remains to us is this wing of Pharos Palace. Let us face it.

Diogenes: I say we should evacuate this hall. The Egyptians have seized the palace-garden, the stables, the cellars, and the kitchens. In fact, all we have now is the tower and the coast-wing. If we hold out we must expect to bleed heavily.

Severus: Pompeianus, my opinion is to surrender the Palace and side with Achilles.

Pompeianus: This is utter madness, Severus. Emperor Diocletian has sailed with his fleet from Nichomedia. If we hold out two days reinforcements will certainly come.

Severus (Contemptuously) : You know my opinion of your August Emperor. I shall never fight under the banner of this Dalmatian slave. You have more reason to resent Diocletian than we have, Pompeianus. Did not your uncle Anulinus buy him as a child from the slave-market?

Pompeianus: Do not remind me, Severus. That was in Dioclé where he was born. My uncle bought his father and mother for fifty pieces of silver. The whole family: father, mother and son for fifty pieces. And now think of it. He is the master of the world. Do you know what they call him now ? Your Majesty !

ACT II

(A hall in the Pharos Palace - where Ras-el-Teen Palace now stands - with one door on the right and another on the left. A door in the centre leads to a terrace overlooking the Palace garden. Close to the middle of the right and left walls are two identical narrow but elongated marble tables with high, curved legs. Each table carries an enormous mirror which is set into the wall. Near the back wall stand two marble benches somewhat spaced and in the corners there are armchairs made of alabaster. The hall has four columns of the Roman style in its four corners. At the deep end of the right wall is a high Roman arch obviously leading to a corridor, and opposite it is an identical arch in the left wall. The Roman generals : Severus, Diogenes, Pompeianus and a number of staff-officers are with Marcus Sextus, admiral of the Roman fleet at Alexandria and Rufinus, high-priest of Jupiter, discussing the surrender of the Palace) .

Pompeianus: And the situation in Busiris ?

Severus: Very critical.

Pompeianus: And in Coptos ?

Severus: Worse .

Pompeianus: If we lose Coptos .

tians and sends his drunken soldiers to desecrate and sack their churches. Also do not forget to mention the bribes he used to extort from wealthy Egyptians to spare them his ugly persecution. Mention everything in detail ...

(Bustle outside. Enter Philammon in a great hurry through the right door panting and extremely pallid) .

Philammon: Sir ! Sir ! Rusticanus is murdered. They found his body on the great marble steps of the Palace with a dagger in his back. **(General confusion).**

Achilles (After a moment of silence) : Write nothing, Manetho. **(Shaking his head regretfully)** Rome will now think that we are a band of killers and assassins. In the morning we shall deliberate what to say to Diocletian and the Senate. But until the morning comes, let everything proceed according to plan.

(CURTAIN)

Africanus: What is the meaning of these enigmas ? Woe to us if we listen to soothsayers .

Achilles: Go , now, Martha. Get ready for the party. Go with her Philammon and tell them to be hospitable to her, then come back as soon as you can. (Martha, bowing, almost touches the ground. She retreats with her back to the right door preceded by her female assistants. Achilles looks at Constantine, then at the vanishing Martha) One more word, Martha. You may also tell Alexandria that there is a place for Christ among these gods (He points to the busts of the Roman gods. Martha takes another deep bow, then leaves followed by Philammon) . Apepi, come here .

Apepi (Approaching) : Sir.

Achilles: Immediately after the party you begin the arrests. Start with Rusticanus.

Apepi: Certainly, Sir.

Achilles (Slowly as if dictating) : And you, Manetho, write a letter to Diocletian, Emperor of Rome, concerning Rusticanus. Tell Diocletian that we have dismissed and arrested him because it was proved to us beyond all doubt that he, though Commander of the garrison of Alexandria, speaks insultingly of the gods of the Egyptians and, instead of maintaining peace in the city, he foments endless trouble. Tell him that he daily violates the old Imperial licence granting absolute freedom of worship to all citizens of the Empire and that he is constantly plotting to prepare massacres for the Chris-

Gr. She examines his face, half conquettishly and half in deep earnest, and strikes him on the cheek with her silk scarf).

Martha: And who is this handsome cavalier ?

Achilles: How curious you are, Martha!

Martha (Speaking like a fortune-teller) : I read great secrets in his eyes.

Achilles: So you read fortune as well as dance.

Martha: Yes. I learned soothsaying in The Temple of Isis. I read in his eyes that he will change the face of the earth.

Panofer (Goes to one side of the stage and mutters in an audible voice. Spellbound, his eyes move between Martha and the ceiling) : A vision ! A vision !

Africanus: What does he say?

Panofer: I see a jet-black dove coming from the orient, from the Temple of the Sun; thirsty, thirsty, she flutters over the water; she falls into the sacred pool, then comes out as white as the snow on the pinnacles of Mount Sinai, as effulgent as the Holy Ghost. She perches on the altar of the Lord, singing : " I am the Offering, Hallowed be His name".

Africanus: The man is raving.

Achilles: What do you say, Panofer?

Panofer: Nothing, Sir. Nothing.

Martha (Equally spellbound as though she understands his words) : Amen ! Amen !

Achilles (Embarrassed) : Quite obvious. Quite obvious. But if your lady Faustina prefers another dancer, what am I to do ?

Martha (Back to her rage) : Prefers ? Prefers ? **(Proudly)** I am the best dancer in Alexandria. The question is :? Martha is a Christian. **(Showing with diabolical defiance a small gold cross hanging on her breast).** This is it. Have you seen it ? No Place in the court for a Christian dancer. That is Faustina's opinion. All Egyptians know that. If that is also Achilles' view let him speak out frankly. Alexandria is waiting for the answer .

Achilles (Looking in bewilderment to Constantine and the others) : What can I say ? It is not my custom to interfere in such matters. But do not be disturbed, Martha. You shall dance to-night in the court party. **(Soft rhythmic string-music is faintly heard from the interior. Martha performs a brief dance across the whole stage and concludes the last movement by prostrating herself at the Prefect's feet. The Prefect takes her by the hand and helps her to stand up, patting her hand). (This scene can be further enlivened by two female dancers, of Martha's troupe, flitting through the right door in Craeco-Roman dress to join their mistress in a ballet dance).**

Achilles: You may tell Alexandria that there is a place in the court for a Christian dancer.

(Martha, magnetized, draws very closely to Prince Constantine, as though attracted to him by a magic pow-

main unperturbed, smiling placidly) .

Achilles (Making a gesture to the two guards to leave) : Leave her alone. (Exit the two guards through the right door).

Come here. Draw nearer. Who are you ? What do you want ?

Martha: Are you the Prefect ?

Achilles: I am the Prefect .

Martha (Confused by his imperturbability) : I .. am .. I am Martha. Martha the dancer.

Achilles (Looking at her intently) : Ah, we have heard much about you. You are more famous in Alexandria than the Prefect.

Martha (Shyly) : I beg your pardon, Sir.

Achilles: What is it you want from the Prefect ?

Martha (Back to her former rage) : They refused to let me in. Hathor, the high-priestess of the "goddess" Isis (biting her nether lip at the word "goddess"), agreed with me to dance tonight in the court party. I came with my band and instruments and the chorus-girls assisting me, but when we tried to go into the reception hall the guards stopped us saying that I am not to enter the Palace by order of Faustina ... I mean my lady Faustina, your wife. They tried to throw me out by force. (Proudly) But I am Martha (her hands clench convulsively); Martha .. a tigress when provoked (she suddenly moves in a calm seductive rhythm with her hands vampishly interlacing behind her head), but, when pleased, as gentle as the April breeze .

great Byzantium, rightful seat of the saintly Helena; and when I have restored the unity of the world under one sceptre, I swear to move the seat of the Empire to Alexandria. Only then shall I wear the Double Crown of Pharaoh, my noble ancestor. Let this be my solemn pledge to you .

Apepi (Dreamily) : Glory be to Pharaoh !

Philammon: Lord of the two lands.

Manetho (Enthusiastically) : Alexandria is your crown .

Apepi: Egypt is your throne .

Philammon: The whole earth is the dust you tread on .

Manetho (Recovering his former mood as though from a delirium and soliloquizing in a low voice) : Thus we used to sing for Aemilianus.

(A great noise is heard near the right door and the voice of a woman in fury screaming "Let go : Let go my arm; I must see him", mixed with male voices crying "Impossible". "Come back; come back". Enter Martha the dancer, dressed in dancing costume, rushing inside and crying; "Noble Prefect ! Noble Achilles! She is followed by two guards who look perplexed, their clothes disordered as a result of the dancer's physical rage. Martha is a violent young woman, about twenty-five, full of animal femininity. In her turbulent disposition and shifting moods, she can be as gentle as the April breeze and as ferocious as the wild tigress. Her entrance causes a general commotion. Only Achilles and Constantine re-

high-priests must be present in person. Remember that Achilles will sit on the throne of Pharaoh. If they do not appear in the investiture, their subjects will never accept your authority as lawful.

Manetho (Disturbed) : What is this, Africanus ?

Panofer (With a thundering voice) : No one but an Egyptian shall sit on the throne of Pharaoh.

Arius: No one but Constantine shall sit on the throne of Pharaoh .

Manetho: Achilles, you shall wear the Imperial Crown, but not the Crown of Pharaoh.

Achilles: Yes. Yes. I shall rule in the name of Empress Helena the Egyptian.

Panofer: Until Constantine comes back to us ...

Apepi (With a thundering voice) : To sit on the throne of his ancestors.

Arius: (With a thundering voice) : This was our pledge to the people.

Achilles: Yes. Yes.

Panofer (Enthusiastically) : The Great Constantine.

Arius: God's flaming sword.

Constantine: I Constantine, son of the noble Constans and the pious Helena, will not come back to you until I recover my father's throne and rule with righteousness and justice from farthest Britain to drowsy Hibernia and the Pillars of Hercules. I shall not come back to you before I recover the Imperial Crown of Rome, my rightful inheritance usurped by the butcher Maximus; not before I have driven the slave Diocletian out of

Manetho (Sadly) : But the worshippers of Ammon, Ptah, and Thoth will not follow him to death without hesitation .

Apepi (Disgusted) : My lord Maenetho sees nothing but darkness everywhere .

Manetho (Angrily) : Watch your manners, young man.

Apepi: If we listen to him we will do nothing.

Manetho (Appealing to Achilles): Sir, do you allow this ?

Achilles: More respect to the wisdom of old age, Apèpi.

Manetho: The country is torn by a hundred factions who distrust each other. They all hate the Romans but each of them wants independence for its own advantage. Each faction asks : what will become of us if others seize power .

Panofer: Secret agents work in the dark, setting one Egyptian against another. Those of Thoth hate those of Ammon; those of Ammon hate those of Ptah; all hate the Christians and the philosophers hate all. The city is full of foreign gods .

Manetho: Keep calm, Panofer. Do not fan the fire.

Achilles: Very soon all shall live in peace. Foreigners as well as Egyptians shall live in peace. Freedom of faith for all. Justice and equality for all.

Manetho: For this we fight.

Achilles: Manetho. Ask the high-priests of Ammon, Thoth, and Ptah to tour the country urging their adherents to support Prince Tadros.

Africanus: Not yet, Achilles. Have you forgotten the coronation ceremony ? They can only leave after your coronation. All the

The greedy Zenobia sold us to the Romans. She extended her dominion to Egypt and accepted to rule us in the name of Emperor Aurelian. A foreigner chasing a foreigner, most naturally takes his place. I depend on no allies. I depend only on myself and the gracious gods .

Achilles: No, Manetho, no. You are too pessimistic. Had this great queen known that your common struggle was the only way to freedom, she would have spared you all those disasters.

Apepi: With 50,000 warriors we can defend the South .

Manetho: Zealous words of zealous youth. You mean with pacts and alliances we try to defend the South. Not more than seven years after the failure of Timagenes, Firmos of Alexandria led his revolt and expelled the Romans. But he made the same mistake .. the same mistake. He depended on Palmyra's troops and on the Blemmyes tribes. In my opinion, Zenobia should withdraw her troops from Rafa and Sinai to defend her own country and to defend Antioch and Palmyra.

Constantine: Manetho is right. You should open a second front in Syria. Send to Zenobia to besiege Palmyra and to try to capture the great arsenals funded by Diocletian in Antioch, Emesa, and Damascus. Timagenes will defend the Thebaid all by himself and Prince Tadros must shift his headquarters to Tanis, east of the Delta. Tadros is the idol of the Christians and they will follow him to death without hesitation.

Zenobia? Waballath. The Nubians. The Blemmyes. Alas !
All this reminds me of poor Aemilianus and his sad revolt .

Africanus (Reproachingly) : Manetho !

Manetho: Shall I hold my tongue, Achilles ?

Achilles: In short, Manetho would rather have us wait.

Constantine: Until when ?

Manetho: Until we have trained an army of peasants, at least 100,000 men. Only the Egyptians will liberate Egypt. Have you forgotten Aemilianus ? He was strong and sure of himself; as strong and sure of himself as you are, Achilles. But he thought of Alexandria and forgot Upper Egypt. When the Axiomites invaded the Thebaid and he withdrew his forces from Alexandria to repel them, he left it defenceless for Theodotus to recapture and raise to the ground. Then think of the noble Timagenes. Consider why he failed. Only seven years after the tragedy of Aemilianus, when this great Egyptian prince revolted against Emperor Claudius he had to appeal for help to Zenobia, Queen of Palmyra, who sent him general Zabda With 70,000 men.

Damon (Enthusiastically) : Say not a word against the noble Timagenes. Did he not rout Phrobus' army at Babylon ? And was not Egypt about to achieve her independence?

Manetho: "About". This is precisely what I meant. Each time "about" to achieve her independence. But has she achieved it ? No.

Touaregs will emerge from the desert to combat the Romans in Numidia and the Atlas Mountains.

Constantine: Our chances are great. The little fleet, loyal to Empress Helena, has secretly sailed from Byzantium. Nineteen men-of-war will reach Canopus tomorrow. You will supply them with Egyptian uniforms. I want no leakage of the news. It will jeopardize the position of Helena and will give Diocletian a pretext to destroy the Empress.

Achilles: Indeed, Sir. If everything goes well, Alexandria is sure to fall into our hands in twenty-four hours.

Manetho (Shaking his head ruefully): The problem is not in Alexandria.

Constantine: Where is the problem?

Manetho: Speak, Achilles.

Achilles (Patting him on the shoulder): You have no need to worry, Manetho.

Manetho: The problem is in Luxor and Raza.

Achilles: But the Blemmyes tribes have pledged themselves not to invade Luxor from their positions near the Red sea as they did in the time of Aemilianus' Revolt, and the Nubians promised not to push further north than Aswan.

Manetho (Gloomily) : Then prepare yourselves for the auction. Achilles bribes the Nubians and the Blemmyes to remain neutral. Diocletian bribes them to invade Aswan and Luxor. What do you think will happen if Diocletian's bribe exceeds that of Achilles. Then how do you trust Waballath, son of

nus has proved to me that you were responsible for the riots that took place in the temple of Jupiter and Juno .

Panofer: The gods of the Romans are the gods of the enemy .

Achilles: You forget that they are the gods of the men I command.

Panofer: (Does not answer)

Achilles: This is why I signed a warrant for your arrest .

Panofer (Taken aback with bewilderment) : But

Achilles: Make out your plans with Africanus, then hide out before daybreak. You are warned not to be seen in Alexandria by my soldiers after sunrise. Achilles rules by one law : freedom of worship for everyone, justice and equality for all. Where were we Manetho ?

Manetho: Here is a proclamation to all Roman soldiers of divided loyalty between Achilles and Diocletian, pledging security of person and property if they lay down arms and take no side in the battle. (Unrolling another scroll) And this is the decree appointing Prince Timagenes governor of the Thebaid and Upper Egypt. The remaining decrees are in your office .

Achilles: Send a copy of this to everyone concerned.

Manetho: Shall I notify Diocletian ?

Achilles: As from tomorrow, it will be no concern of Diocletian's in Nichomedia whom we appoint to office in independent Egypt .

Constantine: Any news from your allies, Achilles?

Achilles: All is in perfect unison. They will all rise at the same time: Julian in Carthage, Kama in Mauretania, and fifty thousand

procession of the slave Diocletian and burn offerings to the idols of Rome. If they find me out they would tear me to pieces. But the Egyptian Helena has taught me to wear a hundred masks until God's will be done.

Arius (With a terrible voice) : Christ also said : "Think not that I am come to send peace on earth : I come not to send peace, but a sword" .

Panofer: But the Patriarch does not understand this. He is living in an ivory tower. He speaks of the strength of the meek, of the power of the disarmed, of the conquests of the spirit. Fortunately, my followers everywhere are ready to carry arms. However, His Holiness promised to help in another way. He promised to order all Christian soldiers to lay down arms and leave the Emperor's legions to live for Christ.

Constantine: For this we shall fight .

Apepi: I humbly beg your pardon, Sir. Not for this, but for Egypt we shall fight. (Everyone looks at him) .

Achilles: Tomorrow each shall worship his god in peace. Africanus, when we finish, go with the Monk to my office and discuss the plan with him. Give him all the arms he asks for to distribute among his men. One last word, Panofer.

Panofer: Yes, Achilles

Achilles: Raise your arms against the enemies alone.

Panofer: This is what I do.

Achilles: No. Your fiery spirit needs to be strongly bridled. You complain of persecution, and yet you persecute others. Rustica-

use. (While Panofer recites the verses from the Sermon on the Mount, Constantine Kneels down; Achilles and Philammon follow his example, muttering a short prayer; they all rise when they finish).

Constantine (Hiding his face in his hands) · Enough, enough. Religion is one thing and the State is another.

Panofer (To Achilles in amazement) : So you are one of us, Achilles ?

Achilles (In profound grief) : Yes. Yes. (He looks at Manetho, Damon, Frisca and Apepi distractedly, then walks like a somnambulist to the busts of the Roman gods nearest to him and gently passes his hand over their faces). How happy you must be, Manetho, to be able to worship your god in the open. And you, Apepi, you walk proudly and unafraid to the Temple of your god Troth whenever it pleases you. As for me, I worship my God in closest secrecy, when I am left alone to myself in my bed-chamber. Even in my bed-chamber I fear the watchful eyes of my pagan wife, Faustina. In the halls of my own palace I look right and left that I may not be seen by anyone. I, the Prefect, Emperor Diocletian's deputy, I have to burn offerings to these idols because my Emperor worships the gods of Rome. Miserable me. Miserable me.

Constantine: And I, Constantine, am I less miserable than you, Achilles? My mother, the pious Helena, nurtured me since the cradle in the faith of the One God and of our Saviour Jesus Christ. Yet I have to conceal my faith when I walk in the

Panofier (Sadly) : Twenty sided with his Holiness the Patriarch and twenty sided with me. Our father the Patriarch said : "No Christian shall carry arms. Passive resistance is the way to salvation". I said : "The Romans sow the seeds of evil in the country and therefore they must be uprooted". His answer was: "Christ said: Ye have heard that it hath been said An eye for an eye, and a tooth for a tooth : But I say unto you that ye resist not evil: But whosoever shall smite thee on the right cheek, turn to him the other also' ". I said we must hate the enemies of the country. He answered : "Your lord and mine said : 'Ye have heard that it hath been said: Thou shalt love the neighbour, and hate thine enemy. But I say unto you. Love your enemies, bless them that curse you, do good to them that hate you, and pray for them who despitefully use you, and persecute you' ... Blessed are the meek: for they shall inherit the earth... Blessed are the peacemakers: for they shall be called the children of God .. Blessed are ye, when men shall revile you, and persecute you, and shall say all manner of evil against you falsely, for my sake' " When I said : "The Romans plunder our riches and use us as beasts of burden" the Patriarch repeated : "And if any man will sue thee at the law, and take away thy coat, let him have thy clook too. And whosoever shall compel thee to go a mile, go with him twain' ". We argued to no end. It was no use, no use, no

in the Holy Concilium. His religious ideas do not appeal to them. But this young monk is fire and thunder when he speaks to the multitudes. When he is full of pathos, their tears flow down on their cheeks; when he is full of wrath, their blood burns in their veins. He also can argue with the holy fathers for ten hours and never flinches. I say there is a spark of the Godhead in him, (He shrugs his shoulders) but they do not like him much in the concilium.

Constantine (Showing interest) : What displeases them in his religious ideas ?

Arius (Lifting his finger as if he were talking from the pulpit) : I say that God did not suffer in Christ. I say that Christ who was crucified and who suffered was a mortal man of flesh and blood, that the mortal body is only a shadow, a mere appearance. But the essence of Christ is the Spirit and the Word of God, and the essence cannot be crucified nor can it suffer. I say he was only crucified in appearance. I say that Christ the Word was raised to heaven, but Christ the mortal man was crucified on earth. Yet the simple-minded imagine that the Spirit of God suffered in the body of Christ and that Christ was raised to heaven soul and body .

(Achilles, Constantine, and Philammon look disturbed).

Constantine: No wonder they do not like his ideas.

Achilles (To Panofer) : Why did you bring him here, Panofer?

Panofer: Because he is my right arm in organizing popular resistance.

Achilles: And what is the opinion of the Concilium ?

out by Apepi and Philammon directed by Damon of Armant. The rest of the plan is with my lord the Prefect (Bowing deeply to Achilles) I mean my master Emperor Achilles of Alexandria .

Achilles (Chiding him, gently): Not so soon, Africanus, not so soon. (Enter officer through the right door and announces : "The Monk Panofer:. The Prefect nods. Exit officer and enter Panofer, a monk-with a black, bushy beard, a black tunic, a black cape, and a black turban on his head, age about forty with Panofer enter a young monk, slightly over twenty, dressed exactly like him. They hail in the Egyptian manner).

Achilles: What was his answer, His Holiness the Patriarch?

Panofer: He said he cannot do it. He said he serves with the spirit and not with the Flesh, but he will pray for you, Achilles. He said he will shut himself up in the white chapel for three days to fast and pray for you. (Seeing Prince Constantine he is struck with amazement) Lord and Master ! (He rushes to him and kisses his hand).

Achilles (Warning him with his finger on his lips, then pointing to the young monk): Who is your friend ?

Panofer (Still gazing at Constantine) : Perhaps my Lord Constantine can persuade our father the Patriarch. (Turning to Achilles, then to the young monk) This is .. Arius. He is my gift to you, Achilles. The Monk Arius, the shining star of the new generation of the order. They do not like him much

him, some equally surprised) . This is indeed a great surprise .

Manetho: Control yourself, Apepi. This is the night of great surprises and you will have much work to do. I know that you have been waiting impatiently for this moment, but do control yourself. (Unrolling a third scroll which Achilles takes, scrutinizes muttering "Fine ! Fine" then gives it to Africanus) : This is the decree dismissing Rusticanus and appointing Africanus in his place as commander of the garrison of Alexandria. (A fourth scroll is examined by Achilles who gives it directly to Damon of Armant).

Achilles (To Damon) : Damon, go through the names. 38 names. Arrest them all to-night, immediately after the party.

Damon: Immediately, sir.

Achilles: Africanus.

Africanus: Yes, Sir.

Achilles: You may tell them now.

Africanus (Addressing himself mainly to Manetho, Damon, and Frisca) : Everything is set : The hour and the minute. The dawn is the zero hour. The three commanders Agrippa, Lysias, and Maximius will occupy Canopus, Cleopatra, and the harbour respectively. You Frisca will be stationed in the lazaretto and you Damon will occupy Camouz. You may not leave your posts before the garrison completely surrenders. Agapius will spread his cavalry legion from Bacchus to the harbour. As for the arrests, they will be carried

to be persuaded.

Manetho (Unrolling Panofer's warrant of arrest) : The warrant to arrest Panofer. I have sealed it .

Achilles (Examining it) : No objection. (Sighing) It is better that he should bear the blame (Achilles passes the scroll to Africanus whispering in his ear; Africanus in turn passes it on to Philammon, who takes it reluctantly).

Africanus (Laughing, then in a low voice) : I see you hesitate, Philammon. If Christ gives an order and the Prefect gives another, which of the two would you obey?

Philammon (Embarrassed) : Christ. I mean the Prefect. I mean to say Christ .

Africanus (Laughing, with a significant look) : If you continue to be so undecided, you will please both Christ and the Prefect.

Philammon (Smiling) : I understand, Sir.

Achilles (Seriously but calmly) : The other warrant, Manetho Is it ready?

Manetho (Unrolling the papyrus) : Yes, Achilles. (Achilles scrutinizes it and is about to pass it on to Africanus. Manetho shakes his head in sad warning). Have you fully considered the matter, Achilles?

Achilles (Smiling, shakes his head in the affirmative) : Stop worrying, Manetho. (He passes the scroll to Africanus who reads it then Gives it to Apepi)

Apepi (Frustratedly surprised after reading the scroll): By the great Osiris I am ordered to arrest Rusticanus ! (They all look at

names they take from their holy book, such as Luke, Matthew, John, Mark, Zacchary, Miriam, Martha ...

Achilles: What a strange idea !

Manetho: And that every Christian carry the sign of the cross branded on his wrist.

Constantine: For what purpose ?

Manetho: He says this way it would be easier to distinguish them and segregate them. Now, he says, the followers of Christ still go on calling themselves Atum, Pahor, Panofer, and this makes it extremely difficult to distinguish them from the followers of Ammon, Thoth, and Ptah. He also wants to ban the Egyptians calling themselves by Greek and Roman names. He describes this as cheeky presumption that ought to be stopped .

Constantine: This man is mad.

Achilles: Even the Emperor himself cannot issue such a law. However, this is my wife Faustina's idea.

Manetho: Rusticanus also says that if the riots do not come to an end, he will have to ask for the arrest of the Patriarch himself and all the members of the concilium and propose the revocation of the imperial licence granted to the Christians to hold their religious rites publicly, even if he had to go to Nicomedia in person to persuade Diocletian.

Achilles (Sarcastically but calmly) : Or to Rome to persuade the Senate. Diocletian will have to come himself to Alexandria

:

Manetho (Advancing with Constantine and conversing with him like old friends) : And how is my mistress, Empress Helena?

Constantine: The inconsolable Helena is still seeking solace in the memory of a vanished glory and dreaming of a greatness dimly foreshadowed.

Achilles: My lord Constantine, this is Damon of Armant.

Constantine: We have heard much about your valour in fighting the Blemmyes, noble General. (Damon bows).

Achilles: And this is Frisca, conqueror of the Nobadae .

Constantine: And you, sir, your loyalty to Achilles has been the talk of every court. (Turning to all of them) Empress Helena sends her greetings to you and to her beloved Egyptian people. She hopes that you will firmly rally round Achilles and that you will follow her counsels faithfully so that Alexandria might become again the seat of the world .

Manetho: All her orders are strictly obeyed, my noble Prince. Shall I proceed, Achilles?

Achilles: Yes, indeed.

Manetho (Unrolling his papyri) : This is a decree prepared by Rusticanus for the arrest of the Monk Panofer” He asks you to seal it . My lady Faustina too asks that Martha, the dancer, be exiled from the country. Oh, yes. Rusticanus also has another strange request. He wants a decree issued, no, a law passed compelling the Christians to call themselves and their new-born infants by the strange new

altar, kill as many as we can, then set fire to the place.

Achilles (Nodding thoughtfully) : Sunday is many many days ahead .

Africanus: My lord Achilles has a surprise for you. Here he comes.

(Enter through the left door Prince Constantine, son of Emperor Constans, a tall and extraordinarily handsome young man of about twenty-three. As soon as he appears Manetho, Damon, and Frisca start and stare with surprise, at once pleased and awed. Manetho rushes to him and kisses his hand).

Manetho: My lord and master Prince Constantine !

Damon (Staring at him) : Crown Prince of Byzantium !

Constantine (Making a gesture with his hand) : No. No. No.

Frisca (Aside) : Son of the Egyptian Helena.

Damon (Aside) : Unhappy Empress.

Frisca (Aside) : Her sorrows are felt by every heart. Abandoned by the ambitious Constans to please the treacherous Diocletian, she is now cloistered in her little palace on the shores of the Bosphorus, shedding bitter tears over her ruined home and pouring curses on Theodora who usurped her place. If it were not for the wicked Diocletian, the Egyptian Helena might have now been seated on the throne of the Empire,

Achilles (Overhearing them) : Enough. Enough. My lord constantine has come to us incognito. You are warned not to speak a word about his arrival. He lives in Africanus' quarters under the name of the officer Narcissus. He will go back to the court of Diocletian in Nichomedia in a day or two .

through the left door. Philammon is also about to leave, but is stayed by Manetho. Enter rather hurriedly through the right door Damon of Armant and Frisca, two Egyptian generals).

Damon: We are deeply sorry we are late. Has the Prefect come.

Manetho: Welcome Damon. Welcome Frisca.

Frisca: When Will he arrive?

Manetho: Any minute now.

(Enter through the left door the Prefect Domitianus, popularly known as Achilles, a Roman of a quiet disposition, age about fifty, accompanied by Africanus, Commander of the Palace garrison, Alexandrian-born but of unidentified nationality, probably a Moor. All present salute in the Egyptian fashion).

Manetho: My lord Achilles, I have brought all the documents.

Achilles: Later, Manetho, later. (Beckoning to Apepi to come nearer) What news of Rusticanus, Apepi ?

Apepi (Approaching) : His fury mounts higher and higher every day . His thirst for blood has become unquenchable. He now openly sets Romans against Egyptians and insults our gods on every occasion. As for the Christians, he is seized with a paroxysm when they are mentioned. He is now planning a massacre of Christians in the district of the Prophet Daniel next Sunday . I am ordered by him to invade their church with twenty cavalry men, on the pretext of searching for a Christian who has deserted from the army, and smash their

Philammon: Setting fire to churches and monasteries.

Manetho: Even the sacred temples of the immemorial Egyptian gods were not spared. They stationed their horses in the great Temple of Ptah, and after setting fire to the Temple of Isis, they enthroned on the altar of the great goddess a Cyprian prostitute, utterly naked, and brought her offerings in the midst of roaring laughter and cries of ridicule **(He perspires heavily and is overtaken by vertigo).**

Philammon: How can we ever forget.

Manetho (Forgetting himself): And the pertinence. How can we ever forget ? **(Coming back to his senses).** No, no. Let us not dwell on these unhappy memories. We are all loyal subjects to the Emperor. All loyal to Rome. **(Loud bugle. Each straightens himself. Manetho to Armanus and Philammon) :** Stop bickering, my sons. We are all brothers. **(Enter Apepi through the left door to take Armanus' place) .**

Apepi: General Rusticanus has sent me to take your place **(Almost whispering)** because of the mission. The Monk, Penofer, has an audience with the Prefect. Don't arrest him in the Palace, I warn you. Wait until he goes out .

Manetho: You will soil the honour of the Empire if you arrest the Prefect's guest. **(Mockingly)** Besides, if you do, you will cause us endless trouble with the mob who worship him .

Apepi (To Armanus) : I will send you the warrant properly signed. **(He hands to Manetho a rolled papyrus. Exit Armanus**

when my step-father made me a page in the retinue of the Prefect. On the day of his coronation, Aemilianus sat on the imperial throne in that wretched hall and I saw him wear the imperial purple, while I carried the censer and walked behind the high-priest singing in the choir your abominable anthem : "Glory be to Pharaoh ! ... "

Philammon (Forgetting himself) : "Lord of the two lands ! Egypt is your seat ! Alexandria is your crown ! The whole world is the soil on which you tread !"

Armanus (Sarcastically): Pharaoh ! Pharaoh ! Where is Pharaoh now ? But one year had passed and Alexandria was all in ruins : fire and ruins everywhere.

Manetho (Stung by the memory) : Fifty thousand stout heroes fell at the walls of Alexandria in the harbour, in the streets behind barricades, at door- steps ...

Armanus: Indeed, fifty thousands of your mutinous Egyptian rebels and our perfidious Roman traitors and of mercenaries of every kind fell in the infamous battle. I saw my step-father fall at the palace-gate. Had not my mother escaped with me to the camp of the conqueror Theodotus, bearer of the Emperor's sword, I would have died a traitor among traitors.

Manetho (Shaking his head full of rueful memories) : I still remember this unhappy city overrun by Theodotus' soldiers, drunk with wine and blood

Philammon: Slaughtering women and old men .

Manetho: Carrying children on their spears like hoisted flags

"You have the courage of the inexorable Achilles; you have the strength of the doughty Hercules". I am sure if you did not fear his sword you would say to him "You are as Almighty as Jupiter himself". But the noble Domitianus will not be corrupted by your flatteries because he is a Roman soul and flesh.

Philammon (Insinuating) : Exactly like our master, Diocletian.

Armanus (Looks at him suspiciously) : What do you mean, Philammon ?

Philammon (Still equivocally) : Have I made a mistake ?

Manetho (to Armanus) : No insinuations meant, my son. We are all loyal subjects to the Emperor of Rome .

Philammon: He is blinded by his anger .

Armanus (Continues) : Of course. I am nothing but a junior officer who has no right to speak his mind in the presence of Manetho, the Grand Chamberlain. But this is the truth. Before Domitianus, did you not deceive the poor Aemilianus and proclaim him Emperor of Alexandria ? **(Pointing in the direction of the coronation hall)** Did you not crown him there, right there in the coronation hall, and incite him to unsheath his sword and defy his master, Emperor Gallienus? Where is poor Aemilianus now. A skeleton with a severed head, tombless and accursed. An infamous name inscribed in the scroll of traitors. Even now, I remember the broad-fronted Aemilianus walking in the pomp of purple through the halls of the palace, with rows of courtiers on both sides taking deep bows. **(Dreamily)** I was then a boy of eight,

lammaena.

Philammaena: Yes, my lady .

Faustina: Is Isidorus among the guests ?

Philammaena: Yes, my lady. So is his wife. I sent the invitation to the high gymnasium.

Faustina: Cancel the invitation .

Manetho (Protesting) : No. No. The Rector of the University of Alexandria always attends court ceremonies and festivities.

Faustina: I said cancel the invitation, We shall teach this troublemaker not to disturb our master the Emperor with absurd petitions for a legislative assembly in Alexandria, (Sarcastically) pleading that it was a gift of Pharaoh to his people from ancient times that was taken away by the Romans .

Philammaena (Perplexed) : But my master the Prefect

Faustina: Your master the Prefect is a kind-hearted man. He feeds serpents. Let us go through the guests-list. (Sighing) In the Past Philammaena did all these trifles, but now I must attend to everything myself. I must. One has to be very careful: (Her voice falls) even the butlers, the cup-bearers, the cooks... (Exit Faustina with Hathor through the left door, followed by Philammaena. Distant bugle).

Philammon: The Prefect Achilles.

Armanus (Sarcastically) : Achilles ! Achilles ! Domitius Domitianus is his name: a true son of Rome; Emperor Diocletian's deputy. But he will not be deceived by your tricks and wiles. You say to him : (Changing his voice to imitate flatterers)

nine. **(Sighing)** She was the cleverest-girl of them all and, when she picked up everything, she left us. They said she fell in love with a Christian publican in the district of Cleopatra, but I knew since, that Martha is crazy only about two things : **(Laughing)** art and sex.

Faustina (Angrily) : I know that she is a dangerous woman. She is the rage of the town, why do the mob worship her ? Manetho, ask the Prefect to exile her from Alexandria. No, from the country.

Manetho (Stunned): Martha is a complicated woman, but she committed no crime.

Faustina: I said ask the Prefect to exile her .

Manetho: What will people say ?

Hathor: Martha is a good girl. She shares her riches with the poor .

Faustina: Precisely. This is why we should put an end to this witch .

Hathor: Is that a crime ?

Faustina: They say that she cures the sick .

Hathor (Laughing): So much the better. That saves the Prefect sending doctors to the slums.

Manetho: The lady Faustina is right. This spreads superstitions among the simple-minded. I once heard it said that Martha is a saint who wanders in the dark and visits the hovels of the poor before the dawn to leave them their daily bread. But to exile her is another matter.

Armanus (Contemptuously) : This is Christian propaganda, my lady .

Faustina: We shall see. We shall see. This is an order, Manetho. Phi-

Hathor (Coldly) : If you wish, Faustina .

Faustina: Tafeeta, Philammena, Marina, go and fix the curtains in the reception hall .

(Exit Tafeeta and Marina through the right door) No, you wait, Philammena.

(To Hathor) Who is the dancer in tonight's party ?

Hathor: Martha .

Faustina (Both anxiously and wrathfully) : Martha ? The Christian Martha ? Couldn't you find anyone better than this Christian prostitute?

Hathor: She is not Christian .

Faustina: Then why does she call herself Martha ?

Hathor: Her real name is Mryt Ammon, the Beloved of Ammon, so people nickname her Martha. However, Christian or no Christian, she is the best dancer in Alexandria.

Faustina: No. Hathor. I refuse. She lives by black magic. The mob worship her. The nobility prostrate themselves to kiss her feet. Even the Roman patricians leave their wives to drink wine in her shoes. Haven't you heard the obscene songs sung by the soldiers about her ? "Christ has a beautiful paradise; Come and visit his paradise with Martha: . She is a dangerous woman .

Hathor: There is no need to exaggerate, Faustina. You know very well that the Christians detest love. Martha learned the sacred dance in the Temple of Isis. I taught her all the rites myself since her mother brought her to the Temple at the age of

flesh and blood ; but you cunning Alexandrians call him Achilles to dupe him.

Philammon: Speak softly .

Armanus: Let me speak .

Philammena: It is my lady Faustina, the Prefect's wife .

{Enter Faustina, the Wife of Domitius Domitianus, age about thirty, beautiful and arrogant. She is followed by two ladies-in-waiting, Tafeetā, an Egyptian, and Marina, a Greek, both about twenty-five. In her retinue there is also Hathor, high-priestess of the goddess Isis, a woman of fifty who still retains some damaged vestiges of a once unequalled beauty. Hathor speaks to Faustina with marked self-assurance emphasizing her words with movements of her hands and head, but her voice is inaudible. Philammena courtesies, while Philammon, Armanus, and Manetho salute Faustina).

Faustiana: Philammena, have you sent out the invitations to all the ladies of the court ?

Philammena: Yes, my lady ' since the morning .

Faustina: And how are you, Manetho ?

Manetho: Quile well, Faustina.

Faustina: And my new dress ?

Philammena: It is ready, my lady, and I have removed the Egyptian pleats around the waist.

Faustina (To Hathor): From now on the fashions come from Rome
Enough of this courtesy to the Egyptians .

Manetho: We are all the Emperor's loyal servants, Rusticanus.

Rusticanus: What god do you worship, Manetho ?

Manetho: Don't you know ?

Rusticanus: Remind me .

Manetho: I worship Thoth, like Apepi, your faithful aide-de-camp.

Rusticanus: Then why has insurrection spread among the sect of the god Thoth ?

Apepi (Correcting him politely): Insurrection has spread among all the sects, my noble commander.

Rusticanus: You are right, Apepi. Thoth, Ammon, Ptah, Christ, your philosophers of Plotinus. Treason is rampant everywhere. There are traitors in every nook. I shall eradicate them. But the most horrible of them all are the Christians. They multiply with frightful rapidity . Even Rome is full of them. Everywhere the mob rally around them. They have infiltrated even into the Imperial Court. But I swear I shall eradicate them, **(With hand on hilt) utterly, I say utterly, before this cancer destroys the Empire. (Exit Rusticanus through the left door, followed by Apepi. Distant bugle).**

Manetho (Sighing): Ye gods, save us from this scourge .

Armanus (Frowning): What did you say, Sir ?

Manetho (Faltering): I meant the insurrection. I meant the scourge of the insurrection. **(Second bugle) .**

Philammena: The Prefect !

Philammon: The Prefect Achilles !

Armanus: You mean the Prefect Domitius Domitianus. He is a Roman

Philammon(quickly): No Sir. No Sir. I am the Emperor's most humble servant. Your most obedient servant, Sir.

Armanus (Joyfully but in a low voice) : Grace be to Jupiter. (He looks thoughtfully at the bust of Jupiter):

Rusticanus: What did you say ?

Armanus: Nothing, my noble Commander.

Rusticanus (To Philammon): Are you a Christian ?

Philammon (Hesitatingly): Yes Sir .

Apepi (Interfering): But he is loyal to our master the Emperor .

Rusticanus (To Manetho with affected politeness, pointing to his papyri) : If you please, as soon as the Prefect comes, show him the warrant for the Monk's arrest to sign it. Treason ! Mutiny ! Treason and mutiny everywhere. Even in the Prefect's palace itself. Maybe in his privy council. But thanks to the gods, (He puts his hand on the hilt of his sword) the army is still intact. If I had had my way, I would have torn this horrible Monk to pieces, torn the Patriarch to pieces, torn all the Christians to pieces, (Forgetting himself in the crescendo) torn all the Egyptians to pieces.

Apepi (Smiling politely): Sir !

Manetho (Sarcastically): I do not think that our master the Emperor would be pleased to hear such words.

Rusticanus: I beg your pardon, Apepi. I did not mean the loyal ones, like yourself, (Turning to Manetho with a vague questioning look) and like Manetho ?

hear your monks say: "Marry her in Church".

(Footsteps outside)

Philammon (Warning): Hush. Back to your post.

(Each of them assumes his former posture) .

(Enter through the right door Rusticanus, Commander of the garrison of Alexandria, a-hundred-per-cent Roman, age about fifty, followed by his aide-de-camp, Apepi, a handsome Egyptian officer of about thirty, who is exceedingly cunning. Apepi had enlisted in the Roman army and gained Rusticanus' absolute confidence, They are followed by the aged Manetho the Prefect's Grand Chamberlain, over seventy, who moves slowly with all the dignity and impressive appearance of old age . Manetho wears a long, white, fluffy beard and is carrying rolls of papyri. As Rusticanus enters, Armanus and Philammon salute him in the Roman fashion).

Rusticanus (To Armanus and Philammon): To-night you arrest him.

Armanus (Puzzled): Arrest whom, Sir ?

Philammon (Equally puzzled and at the same time): Arrest whom my noble commander ?

Rusticanus: The Monk, you idiot. The Monk, you idiot.

Philammon (Terrified): Panofer ! (Philammena nervously shrinks, but subdues her pain while Armanus looks boyishly gleeful).

Rusticanus (Noting their different reactions, to Philammon sarcastically) :

Any objection ? Are you one of them ?

that Holy Concilium gave it out last week that Christians may not marry pagans .

Philammena: Then poor Maria will not be able to marry Apepi, Rusticanus' aide-de-camp.

Philammena: No. No. The ban applies only to marriages between Egyptians and foreigners. As for Egyptians, the Concilium is divided in opinion. His Holiness the Patriarch and a minority on his side want the ban to be categorically enforced on all mixed marriages between Christians and pagans even among Egyptians. But the Monk Panofer caused a great hubbub and left the concilium crying: "This is treason. This is treason against Egypt" .

Armanus: I call this treason against the Emperor. I call this mutiny. Who rules here ? The Emperor of Rome or your cunning Concilium and your bands of mutinous monks and your secret congregations who meet in catacombs among the ruins, and in the necropolis of the city and talk of a new crucified god who was levitated to heaven. If the Prefect knew about this, he would certainly order the Patriarch himself to be arrested. Mixed marriage is a custom sanctified by our Emperor Constans, Jupiter's faithful servant, who, on visiting Egypt thirty years ago, was ravished by the beauty of the Egyptian Helena, mother of our lord Prince Constantine, made her leave the convent and share with him the throne of Byzantium. When he conducted her to the Temple of Venus, we did not then

Philammina (Rushing to Philammon): Well ? Have you come to an agreement ?

(Philammon does not answer but gesticulates shaking his head and shoulders purporting : No).

Philammina: What happened, Philammon ?

Philammon: I said : "Each keeps to his religion.. He said : "No".

Armanus (Dryly): The Monk stipulates that I become a Christian. (He stretches his lips with disgust) Impossible.

Philammon: The Monk says: "New orders" .

Armanus (Approaching them): I said : "We will be married in the Temple of Venus". He said: "you will be married in Church". I said: "Neither Temple nor Church; We will be married by the notary public". He said: "You will be married in Church". I said: "Then we will be married in both Temple and Church".

His answer was : "You will be married in Church and in nothing else". **(Angrily)** What does he think, this b... **(He proudly restrains himself)** I am a Roman and I keep to the religion of Jupiter, the religion of my ancestors. I say each keeps to his religion and the children choose for themselves. Have you seen greater tolerance than this ? Who are the fanatics ? The Romans or the Egyptians .

Philammina (To her brother): What happened, Philammon ? Didn't John of Fayoum marry his pagan cousin Nephthys .

Philammon: All this is quite well-known. But the Monk Panofer says

maraissee enjai taik-mait-ooro.. (Her voice falls) Pait aihnâk maraif shopi, em-evreety khain et-vai, naim heejain pi-kâhi .. (Her voice gradually vanishes) Pain-ôyk entai ressti meef nân em-vo-oo.. (She continues to mutter audibly for a few seconds) Amen .

(She rises, hides the cross in her clothes, and takes out a picture of the Virgin after rummaging her clothes for it while muttering to herself: "The picture of the Virgin .. Where is it". She then goes to the bust of Diana and places the picture on Diana's head, kneeling down and praying).

Philammena: Oh Mary, Mary, Mother of God, for the sake of your beloved Son, open Arman's eyes to see that God is One and that Jesus Christ is His true son.

(Her voice fades away. She murmurs a few seconds' then proceeds with a clear voice) . Teach him to forsake his idols and bless our love in the name of Him Who carried the cross to redeem us from everlasting fire. (Footsteps outside. Angry voices and fulminating discussions. She rises terrified and hides the picture in her clothes. Enter Armanus and Philammon through the right door. Armanus looks furious and resumes his previous posture at the left door. Philammon, an Egyptian officer in the Royal Guard, is about thirty and is dressed, like Armanus, in Roman attire. He stands sentinel at the right door) .

every day in spite of your silly beliefs. When shall we get married, my sweetheart ?

Philammena (Walking away and looking up to heaven as though in a trance) : When you realize that there is only one God, Arman. When it so pleases God. **(Laughing gently)** Or should I say when it so pleases Jupiter ?

Armanus (Distastefully) : What has Jupiter to do with marriage? Oh, you Christians! You drag in Jupiter in everything. You should pray for the blessings of Venus, you idiot.

Philammena: Hurry, hurry. If you want us to get married you must hurry.

Armanus (With disgust) : The one god ! The one God !

(Exit Armanus through the right door)

(Philammena looks quickly right and left with great caution and looks through the left door to make sure that no one is watching her, then gives a sigh of relief. She takes out of the folds of her dress a wooden cross, one foot long, and places it on the bust of Jupiter then kneels down and prays with joined palms, her eyes fixed to the cross) .

Philammena: Our father which art in heaven, Hallowed be thy name. Thy kingdom come. Thy will be done, on earth as it is in heaven **(Her voice gradually fades away until it is heard no more, then it rises again audibly as she repeats the Lord's Prayer in Coptic) .**

Painyôt ait khain ni-viouwwee maraif-tovoo enjai paikran,

Philammena : Rape ! Rape ! That is all you know, you Romans ! Even your gods

Armanus (Warning) : Philammena !

Philammena : Forgive me. For a moment I forgot that you are a Roman, and that we are in the Viceroy's palace. However, let us stop this nonsense, Armanus. My brother Philammon is waiting for you .

Armanus : Where is Philammon ?

Philammena : At the Great Gate with the Monk. (She utters the word "Monk" ecstatically) .

Armanus : How can I leave my post ? The other shift will not be here before an hour.

Philammena : It will be perfectly safe. It will only take you a quarter of an hour. I have much work to do with my lady Faustina, the Prefect's wife. Hurry . You must hurry .

Armanus : All right. All right. (He takes her in his arms and kisses her without making any attempt to put away his sword or spear. He is intoxicated with the kiss). Philammena, sweetheart! When shall we get married ? (Pressing her violently, he feels a hard body hidden within the folds of her dress. (He leaves her angrily) . What is that you are hiding in your dress ?

Philammena (Defiantly) : Arman! you know very well what I am hiding in my dress.

Armanus : Forgive me, Philammena. My love for you grows stronger

Armanus (Musically) : Philammena, Philammen, not too fat and not too lean.

Philammena (Warning With her finger) : Hush! Is our master here ?

Armanus (Leering) : There is no one here. Come. Come here my little duck. (He opens his arms without moving) Come in my arms, Philammena .

Philammena : Not unless you unbuckle your sword and put away your spear .

Armanus: Unbuckle my sword ! Put away my spear !

Philammena : Yes, Unbuckle your sword and put away your spear .

Armanus (Approaches her laughing coarsely): Two spears have I. Which of them do you want me to put away ?

Philammena (Shyly) : Stand off, you rogue. (Reproachfully) Listen, Arman. If you do not stop your dirty-minded obscenities, I shall never marry you. (Shrugging her shoulders) But you are a Roman and lewdness is in your blood .

Armanus : Your prudish Egyptians are not so innocent, you know .

Philammena (Sighing) : If I did not love you, Arman

Armanus (Still laughing coarsely) : Come here. Don't let my spear frighten you .Come. Give me a (He makes a noise with his lips meaning : "a kiss") .

Philammena: I said put away your arms you get a (She makes the same noise).

Armanus (With the same coarse humour) : A Roman soldier never puts away his arms, even if he were in bed with Venus .

Philammena : And an Egyptian Venus never surrenders herself to Mars until he puts away his arms .

Armanus : Have you forgotten that Mars raped Venus ?

ACT I

(A hall in the Palace of the Roman Prefect, L. Domitius, popularly known as Achilles, at Alexandria. The date is A.D. 296 The Columns in the four corners of the hall are of the Corinthian Type. The fresco of the ceiling and the decorative patterns on the doors are all gilded. The door on the right leads to the reception hall, that on the left to the coronation hall. On both sides of each column, there are niches carved in the walls, and in each niche a marble bust of a Roman deity. The busts are, in order, those of Jupiter and Juno, Mars and Venus, Apollo and Diana. The two front columns have one bust each, placed on the interior side of each column. Otherwise, the hall is completely bare. The floor is made of immense quadrangular tiles, alternately black and white. Armanus, sometimes called Arman for Short, a Roman officer of the Royal Guard, age about forty, is standing sentinel at the left-hand door, fully armed and restlessly knocking the floor with his long spear .

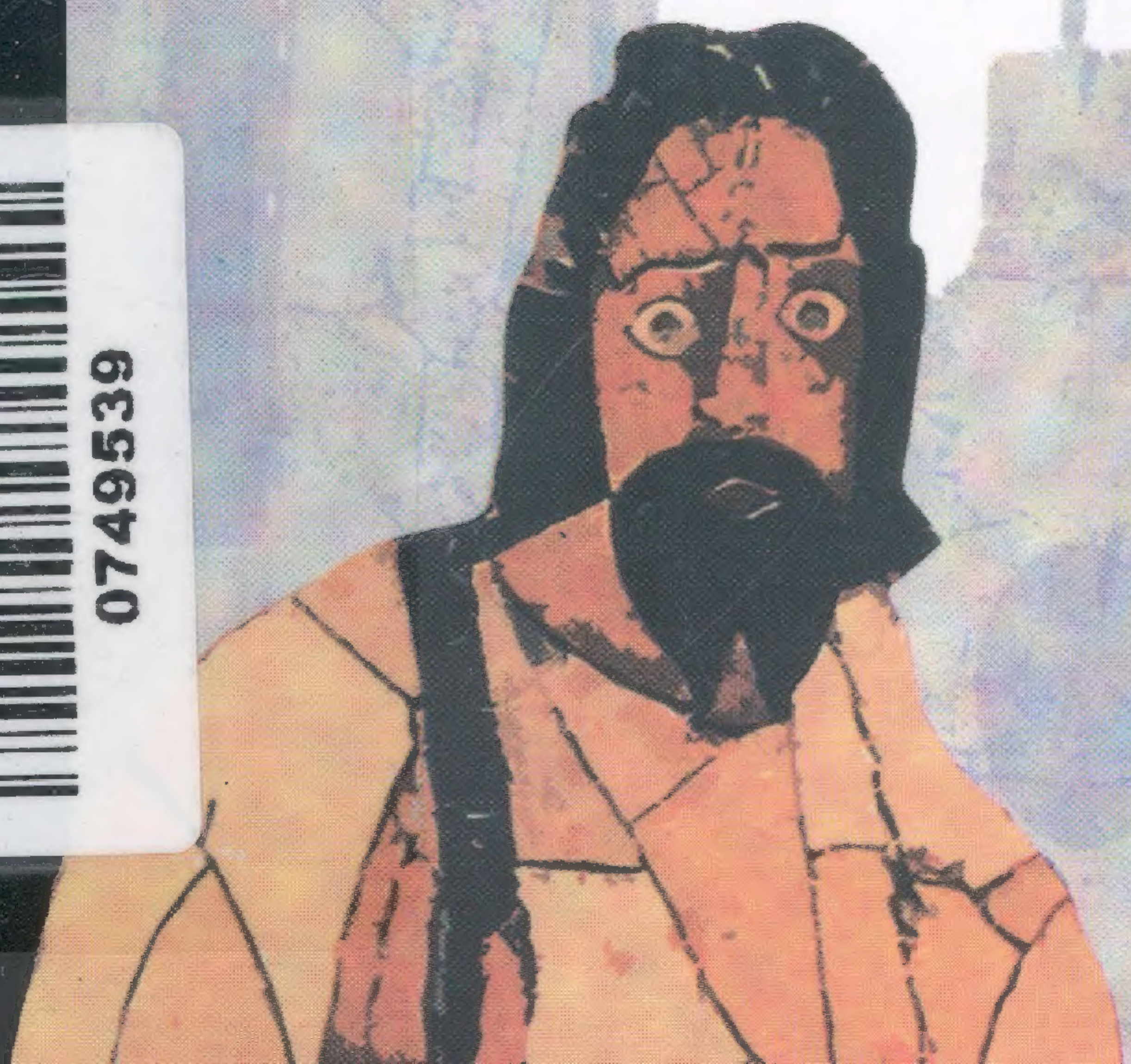
Philammena, pronounced Philammeena, a lady-in-waiting to Faustina, the Prefect's wife, is a young Egyptian maiden of about twenty-three. She looks caustiously right and left and, on seeing: (Stands Armanus, stands still, obviously embarrassed).



Louis Awad

The Monk

A Historical Drama in Three Acts



Bibliotheca Alexandrina



0749539

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي